

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

كلية: أصول الدين والشريعة

والحضارة الإسلامية

قسم: الدعوة والإعلام والاتصال

جامعة الأمير عبد القادر

للعلوم الإسلامية

قسنطينة

الرقم الترتيبي: ...../2001

رقم التسجيل: .....

## الفكر الإصلاحى عند الشيخ أبى الیقظان

رسالة مقدمة لنيل شهادة الماجستير شعبة: الدعوة والإعلام والاتصال

تقديم الطالبة: زكية منزل غرابة

أمام اللجنة	الاسم واللقب	الرتبة	الجامعة الأصلية
الرئيس	فضيل دليو	أ. محاضر	جامعة منتوري قسنطينة
المقرر	محمد زرمان	أ. محاضر	جامعة باتنة
العضو	مولود سعادة	أ. محاضر	جامعة الأمير عبد القادر ع.إ.
العضو	مصطفى باجو	أ. محاضر	جامعة الأمير عبد القادر ع.إ.

المنافشة: 26 جوان 2001م / 1422هـ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

جامعة الأميرة  
الاسلامية

# الإهداء

إلى الحبيب المصطفى.....

محمد صلى الله عليه و سلم.

إلى السيدة الفاضلة التي تعبت لأجلي ، إلى التي أوصى بها - النبي ﷺ - ثلاثا....

أمي فطيمة.

إلى روح والدي الكريم.....

أبي مولود.

إلى اخوتي و أخواتي .....

خاصة عدرة - حورية-

إلى اللواتي عرفت معهن معنى الأخوة الصادقة.....

سعاد - سوسن - عزيزة - شريفة - وحيدة - سعاد.

إلى اللواتي استقبلني بصدر رحب عضوا في غرفتهن.....

سعاد - جمعة - نوال - دليلة .

إلى الأخوات.....

صبرينة - ابتسام - نصيرة - ندى - نوال.

إلى عصافير البيت.....

خديجة - سليم - إيمان - محمد - يوسف - حنان - بلال -

سارة - أمينة.

إلى أصحاب الرغبة الجامحة في طلب العلم.....

أهدي ثمرة جهدي.

زكية مترل غرابة.

# شكر وتقدير

لا يسعني في الأخير، وبعد أن أنهيت مسيرة البحث في موضوع الفكر الإصلاحية "لأبي اليقظان"، إلا أن أتوجه بشكري الجزيل أولاً إلى الله عز وجل الذي أمد في عمري إلى أن رأيت ثمرة جهدي بين يدي، ثم إلى أستاذي المشرف الدكتور "محمد زرمان" على قبوله الإشراف على هذا البحث منذ كان فكرة إلى أن أصبح على ما هو عليه الآن.

كما أتوجه بالشكر إلى كل من الأساتذة الدكاترة: "باجو مصطفى"، "بوحجام محمد ناصر"، و"مولود سعادة"، والأستاذ "بابا عمي موسى" أمين جمعية التراث "بغرداية"، على توجيهاتهم، التي أسدوا بها إلي.

أشكر في هذا المقام أيضاً عائلة "شريف يوسف" بالقرارة" والتي قدمت لي كل المساعدات وأخص بالذكر الدكتور "يوسف"، "زوليخة"، "عائشة"، "محمد"، "سعيد"، فلهم مني جميعاً خالص الشكر، ولا أنسى أيضاً كل من عائلة "جهلان"، وعائلة "يحي حمدي أبو اليقظان" على كرم استقبالهم.

أشكر أيضاً السيدات والسادة: بمكتبة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية: "صوفيا" - "عرجونة" - "عمي حمادة" - "عبد العزيز" - "سليم"، على مساعداتهم لي. أشكر أيضاً أخي "فرحات" على ما قدمه إلي من مساعدات كلما اقتضت الحاجة إلى ذلك. وأخيراً أتوجه بالشكر إلى السيدة "نسيمة قراص" التي تابعت طبع هذه البحث حتى النهاية.

زكية مترل غرابة

## رموز استخدمت في البحث

مخ : مخطوط.

د ط: دون طبعة

د ن: دون ناشر

د م: دون مكان النشر

د ت: دون تاريخ

ت : توفي

ع : عدد

ص : صفحة

م.و.ك: المؤسسة الوطنية للكتاب.

ش.و.ن.ت: الشركة الوطنية للنشر والتوزيع.

\* : توضيح معلومة، أو التعريف ببلد.

مج : مجلد

ج : جزء

( ) : حذف فقرات.

# مقدمة

جامعة الأمير عبد القادر  
العلوم الإسلامية

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله و الصلاة والسلام على رسول الله، و بعد :

فانه إزاء السقوط الحضاري الذي شهدته الأمة الإسلامية منذ قرون ، قامت محاولات عديدة هنا وهناك للنهوض ، والعودة إلى مسرح القيادة ، حيث جهد خلالها رجال الأمة، ومفكروها على إحياء الدين في نفوس المسلمين ، وبسط نفوذه على واقعهم من جديد، بعد أن أصاب الأمة الوهن، وعجزت عن حماية مكتسباتها ، فكانت بدايتها مع "محمد بن عبد الوهاب" (ت1792م).

وإذا كانت هذه المحاولات، قد ترددت بين النجاح والفشل بقدر فهمها لواقعها وإطارها المرجعي، فإن في استحضارها، وتحليلها ما يبصر بالكثر من قواعد التغيير و قوانينه ويرشد إلى كثير من المسالك الآمنة و تجنب المزالق.

و الجزائر كإطار مكاني لعمليات الإصلاح، تألق بها نجم العديد من الشخصيات التي أخذت على عاتقها مسؤولية الحفاظ على هوية المجتمع، و أصالته انطلاقا من الواقع المزري على كافة المستويات، ومن أمثال هؤلاء نذكر "عبد الحميد بن باديس"، "محمد البشير الإبراهيمي"، "إبراهيم بيوض"، و "أبو اليقظان" و غيرهم كثير.

وبناء على هذه القناعة و مساهمة منا في تصحيح المسار وتقويمه على كافة المستويات السياسية و الاجتماعية والثقافية، اخترنا لهذا الغرض شخصية من الشخصيات الجزائرية البارزة، ألا وهي شخصية "أبي اليقظان" لدراسة بعض الجوانب المتعلقة بفكره.

فما هي كبريات المحاور التي جسمت فكر الرجل الإصلاحية؟، وهل يعتبر فكره الإصلاحية امتدادا لأفكار غيره من المصلحين في الجزائر، انطلاقا من تصريحه في افتتاحية إحدى صحفه من أنها «و ان كانت كلسان حال الأمة الميزابية، إلا أنها قبل كل شيء لسان حال الفكر الإسلامي عموما و الجزائري

خصوصاً»<sup>1</sup>؟ وإلى أي حد أسهم "أبو اليقظان" في نهضة الفكر الجزائري الحديث؟ وهل يمكن اعتباره مفكراً مقلداً أو مجدداً، وهل تأثر بالفكر العربي القديم و الحديث؟ بعبارة أخرى هل كان شخصية مستقلة في تفكيرها أم أنه يتشابه مع الكثير من المفكرين؟

### أسباب اختيار البحث:

لعل الدافع الذاتي كان الأول وراء اختياري لهذا الموضوع، لما كنت أشعر به من ميل خاص نحو شخصية "أبي اليقظان"، فقد تجلّى لي من خلال قراءة بعض ما كتب، صدق اللهجة، ولمست في شخصيته مبادئ وقناعات هي من مقومات الشخصية الجزائرية.

على أن هناك دوافع موضوعية أذكر منها:

1- أن "أبا اليقظان"، شخصية متعددة المواهب الفكرية، والقدرات العقلية، فالإلى جانب كونه شاعراً ومؤرخاً وأديباً، فقد كان مفكراً مصلحاً، ومع ذلك فلبن جوانب تفكيره الإصلاحية لم تحظ باهتمام الدارسين الكافية.

2- قلة البحث حول "أبي اليقظان"، ونقص ذلك عدم وجود بحوث أكاديمية تتعلق بالجانب الفكري للرجل، فما وقع بين أيدينا من كتابات لم تتعد دراسة نتاج الرجل حدود الدراسة الأدبية.

3- ارتباط هذه الشخصية بجمعية العلماء المسلمين الجزائريين التي استطاعت أن تعمل على تغيير الواقع الجزائري في جوانبه المختلفة، ورغم ذلك لم يوف الرجل حقه من الدراسة.

4- محاولة تدعيم المسار الذي دعت إليه وزارة الشؤون الدينية بضرورة الاهتمام بعلماء الأمة ومفكريها، إذ الحقيقة الملموسة أن الدراسات التي أنجزت اتجهت إلى شخصيات المشرق، وإذا ما وجدت، فقلما تركز على رجال الإصلاح في الجنوب.

<sup>1</sup> أبو اليقظان، «الافتاحية»، ودي ميزاب، ع1، (1-10-1926م).

## أهداف البحث:

- إن إشكالية أي بحث تسعى للإجابة عما يريده الباحث، والذي به تتحدد الأهداف المرسومة، وبحثنا هذا يرمي إلى تحقيق ما يلي:
- 1- التعرف بشخصية "أبي اليقظان" و صحفه الثمانية.
  - 2- محاولة جمع ما تفرق من أفكار "أبي اليقظان" ضمن الإطار المحدد للبحث: التربوي، الثقافي، الاجتماعي والاقتصادي والسياسي.
  - 3- التعرف على مدى إسهامات "أبي اليقظان" في إثراء الفكر الإصلاحي في الجزائر بناء على ما ذكره في افتتاحية صحيفة «وادي ميزاب».
  - 4- التأكيد أن للجزائر رجالات في الإصلاح.

## مجال الدراسة و حدودها:

أما فيما يتعلق بمجال الدراسة، فإننا جعلنا الصحف التي أصدرها "أبو اليقظان" مجالا للبحث، وكانت المقالات الصحفية التي كتبها مادة أساسية في الدراسة دون غيرها من الأنواع الصحفية (تعاليق، أخبار، نقل عن جرائد أخرى، ما كتبه غيره) إلا عندما تقتضي الضرورة ذلك، أما حدود الدراسة فإننا اقتصرنا على الفترة الممتدة بين 1926م تاريخ صدور أول صحيفة إلى سنة 1938م تاريخ مصادرة آخر عدد من صحفه، وقد ركزنا على الصحف باعتبارها الوثيقة التي جسدت أفكار الرجل في مرحلة من أخصب فترات حياته، ولأن كتاباته في مجال التأليف كانت متباينة الأهمية تبعا للظروف الصحية التي مر بها.

و أشير إلى أن المقالات التي اعتمدها في البحث هي تلك التي صدرت بإمضاء "أبي اليقظان" صراحة، وكذا تلك التي لم تكن كذلك، بناء على تصريح "محمد ناصر" من أنه كل النصوص، غير الممضاة هي "لأبي اليقظان".

## الدراسات السابقة:

لقد أمكننا البحث عما كتب عن "أبي اليقظان" الوقوف على مجموعة من الدراسات منها:

- "الشعر الجزائري الحديث اتجاهاته وخصائصه الفنية 1925-1975م": دراسة "لمحمد ناصر" صدرت عن دار الغرب الإسلامي ببيروت في طبعتها الأولى عام 1985م، وقد سعت إلى التعريف بالشعر الجزائري الحديث المكتوب باللغة العربية، وتناولت المؤثرات الأساسية في الاتجاهات الفنية للشعر الجزائري الحديث، واتجهت إلى دراسة ونقد الخصائص الفنية للشعر الجزائري، و في إشارته إلى شعر "أبي اليقظان" خلص الباحث إلى أن شعره في مجمله يتراوح بين البحر الكامل بسنة 36,64 % وبحر الرمل بنسبة 20,09 % ، و تشير إلى أن الدراسة عبارة عن بحث قدمه الباحث لنيل شهادة دكتوراه دولة في الأدب العربي بجامعة الجزائر.

- "المقالة الصحفية الجزائرية نشأتها، تطورها، أعلامها بين 1903-1931م": "لمحمد ناصر" من جزأين، دراسة اهتمت بفن المقال الصحفي الجزائري، وتطوره في الفترة المحددة للبحث، وتعرضت للمناخ السياسي والاجتماعي الذي عاشت فيه الصحافة العربية الجزائرية، وأثر الصحافة المشرقية فيها، وسلطت الضوء على اتجاهات المقالة الصحفية في معالجتها لبعض القضايا والمواضيع المختلفة: الديني، الإسلامي، الاجتماعي...، من جهة، وعلى دراسة تطور المقال الصحفي الجزائري من ناحيته الزمنية والفنية، والأساليب التي استعملتها المقالة الصحفية الجزائرية طوال هذه الفترة. وفي إشارته لما كتبه "أبو اليقظان" في إطار هذا النوع الصحفي (من المقالات) أن أفكارها متفتحة، رغم العزلة و الاغتراب، و كانت ملتزمة إذ لم تخرج عن كون مواضيعها دعوات إصلاحية.

- "ديوان "أبي اليقظان" : صدر عن جمعية التراث بغرداية عام 1989م، وهي دراسة تقدم بها "محمد ناصر"، وقد تعرض فيها إلى المؤثرات المختلفة التي ألهمت "أبا اليقظان" الشعر، وقد عددها الباحث في المؤثرات النفسية والثقافية والاجتماعية، وبين أن شعره كانت تجتذبه نزعات ثلاث: نزعة إصلاحية، ونزعة وطنية، ونزعة التغني بالطبيعة، ومما خلص إليه "محمد ناصر" في عرضه لمضامين شعر "أبي اليقظان"، أن شعره قد مر بمراحل ثلاث.

المرحلة الأولى: وهي مرحلة الدراسة بين سنتي 1908-1913م، حيث كانت تجربته الشعرية فجأة لم تخرج من ناحية المضمون عن المضامين التقليدية، وهي من ناحية الشكل مغرقة في التقليد.

المرحلة الثانية: وهي مرحلة السفر إلى "تونس" بين سنتي 1913-1920م وهي المرحلة التي عرف فيها شعره تطورا ملحوظا.

المرحلة الثالثة: فتعرف بمرحلة النبوغ واستغرقت الفترة بين 1920-1965م، وهي المرحلة الأكثر عطاء بالنسبة "لأبي اليقظان" الشاعر.

أما المرحلة الرابعة: مرحلة ما بعد المرض وتمتد بين 1965-1973م، أين اشتد فيها مرض "أبي اليقظان"، حيث عرف شعره خلالها ضعفا شديدا، وكثرت في أبياته الأخطاء العروضية.

- "أبو اليقظان وجهاد الكلمة": دراسة اتجهت إلى تقصي الجوانب الصحفي في شخصية "أبي اليقظان" في الفترة الممتدة بين 1926-1938م، وقصدت إلى تحليل أفكاره كما جاءت من خلال أهم مقالاته، وبيان أسلوبه الصحفي وخصائصه، وعمدت إلى التأريخ لكل صحيفة من صحفه الثمانية من حيث ظروف نشأتها والعقبات التي واجهتها، وقد انتهى الباحث إلى أن الرجل سار في الخط الذي رسمه لصحافته، و جند عقيدته و وطنيته الراسختين في

سبيل الإصلاح طيلة مشواره الصحفي لم يخضع قط لضغوطات المستعمر واستفزازاته.

"أبو اليقظان و نثره": بحث قدمه "محمد زغينة" لنيل شهادة دكتوراه دولة بجامعة باتنة للآداب عام 1998م، تطرق فيه الباحث إلى دراسة نثر "أبي اليقظان" في اتجاهاته المختلفة السياسية والاجتماعية وغيرها، وتعرض بالبحث أيضا إلى خصائص نثره الفنية، ومما خلص إليه الباحث أن "أبا اليقظان" متعدد الجوانب الأدبية، كثير الاستنباط للأشكال النثرية، بالإضافة إلى ما يلحظ لديه من تجديد في المضمون حين يخرج عن المؤلف، ويرسم بريشته عبثية الحياة الاجتماعية، ولا معقولة تصرفات بعض أفراد المجتمع الجزائري آنذاك.

"أثر القرآن في الشعر الجزائري الحديث 1925-1976م": من جزاين وهي دراسة صدرت عن المطبعة العربية سنة 1992 بغرداية تقدم بها "محمد ناصر بوحجام"، وقد حاول من خلالها التعرف على مدى أهمية الاقتباس من القرآن وخطورته على الموهبة الشعرية والإبداع الفني وعلى الأدب بصفة عامة، وعن الأسباب التي دفعت الشعراء إلى الاقتباس من القرآن والجوانب التي استأثرت باهتمامهم، وفي إشارته لشعر "أبي اليقظان" في السياق العام لشعر غيره خلص الباحث أن هؤلاء الشعراء استطاعوا بتعاملهم مع القرآن باستلهاهم روحه والنسج على منواله أن يفضحوا كثيرا من دسائس الاستعمار ومؤامراته وأهدافه التي ترمي إلى طمس معالم الشخصية الإسلامية العربية في الجزائر، وإن الغرض من الأثر المقتبس كان أخلاقيا وتربويا وإصلاحيا.

و بالإضافة إلى هذه الدراسات الأكاديمية فقد وقفنا على كتابات مختلفة حول "أبي اليقظان" وهي منشورة في مجلات متنوعة كمجلة الأصالة، الثقافة، الموافقات...

وكما نلاحظ فإن جميع ما كتب عن "أبي اليقظان" قد ركز على دراسة إنتاجه الأدبي، ولم يلتفت إلى الجوانب الفكرية لديه، وهي الزاوية التي عزمنا على التطرق إليها، وبما أن صحفه شكلت مجالا خصبا لأفكاره الإصلاحية فقد اخترنا «الفكر الإصلاحي عند الشيخ "أبي اليقظان" ليكون عنوان الدراسة التي سنبحث فيها.

وأشير إلى أن اهتمامي بفكرة الموضوع تعود إلى فترة ما بعد التدرج، حيث عرضت الموضوع على أستاذي المشرق الدكتور "محمد زرمان" الذي شجعتني على المواصلة في إنجازها، وكذا الاهتمام الذي تلقينته من طرف كل من الأساتذة الدكاترة "مصطفى باجو"، "محمد ناصر بوحجام"، وكذا أمين جمعية التراث الأستاذ "بابا عمي موسى" إذ وافقوني على صلاحية في مجال تخصصي، لما له من أهمية في دراسة تجارب رجال الإصلاح، باعتبار أن لهؤلاء رصيذا حيا و غنيا بالدروس و العبر ما كتب إلا لتبصير الأجيال، ولما لهذه التجارب و الأفكار من أهمية في تدعيم مكتبة الدعوة والإعلام على وجه الخصوص .

### خطة البحث:

محاولة منا للإجابة على تساؤلات الدراسة وضعنا لهذا الغرض هذه الخطة ضمن فصل تمهيدي وفصول ثلاثة.

الفصل التمهيدي: ويدور حول العصر والشخصية، حيث تعرضنا من خلاله إلى المباحث التالية:

المبحث الأول: عن الأوضاع العامة في "الجزائر" وذلك قصد التعرف على الأطر المكانية والزمانية التي وجهت فكر "أبي اليقظان".

المبحث الثاني: عن حياة "أبي اليقظان" وأثاره وقد رصدنا أهم محطات حياته والعوامل التي أثرت في فكره، والجوانب التي أبرزت شخصيته.

المبحث الثالث: وقد دار الحديث فيه عن مفهوم الإصلاح عند "أبي اليقظان"، والوسائل التي كان يراها كفيلة لتحقيق النهضة الشاملة. أما الفصل الأول: فهو عن الفكر الإصلاحية عند "أبي اليقظان" في المجال التربوي والثقافي، وقد عمدنا إلى رصد مضغ الاهتمام في هذا الإطار، وقد ضمنته المباحث التالية:

المبحث الأول: حول فلسفة "أبي اليقظان" التربوية، وقد أبرزنا فيه أهمية التربية والتعليم عند "أبي اليقظان"، وموقفه من التعليم الفرنسي، وأهم آرائه التربوية.

المبحث الثاني: وقد دار حول الصحافة ودورها الإصلاحية في فكر "أبي اليقظان"، حيث أوضحنا فيه دوافع دخول "أبي اليقظان" ميدان الصحافة، ومكانة وشروط نجاح العمل الصحفي كما يراها الرجل، وختمنا المبحث بنظرة عن أهم موضوعات الصحافة اليقظانية كجانب تطبيقي لما يجب أن تكون عليه الصحافة في نظر "أبي اليقظان".

المبحث الثالث: وهو عن إحياء اللغة العربية وبعثها في فكر "أبي اليقظان"، وأبرزته النقاط التالية:

صلة اللغة العربية بالعقيدة الإسلامية، وعلاقتها بالشخصية الوطنية والقومية، وواقعها بين الاستعمار وحمايتها، وأخيرا عن دورها كأداة للعطاء الحضاري.

وأما الفصل الثاني: فعن الفكر الإصلاحية عند "أبي اليقظان" في المجال الاجتماعي، وقد فصلنا الحديث فيه من خلال المباحث التالية:

ففي المبحث الأول: تعرضنا للآفات الاجتماعية ومختلف النزاعات والمظاهر السلبية التي قاومها "أبو اليقظان"، وطرق النهوض بالمجتمع كما يتصورها الرجل.

أما المبحث الثالث: فهو عن الشباب، ومكانته في فكر "أبي اليقظان"، وكيف يجب حفظه وصيانتته من المؤثرات الغربية الوافدة.

وأما المبحث الرابع: فقد تحدثنا فيه عن الوحدة الاجتماعية كما يراها "أبو اليقظان" وإسهاماته.

وعن المبحث الخامس: فقد أدرجنا فيه أهم الآراء الاقتصادية التي رصدها فكر "أبي اليقظان" بضرورة إنشاء مصرف أهلي من جهة، وإيراز أسس التجارة الناجحة من جهة أخرى

وأما عن الفصل الثالث فهو عن الفكر الإصلاحي عند "أبي اليقظان" في المجال السياسي وقد ضم مباحثًا ثلاثًا:

تناول المبحث الأول منه علاقة "أبي اليقظان" بالسياسة وموقفه منها، وأما المبحث الثاني فكان حول محور السياسة الداخلية وقد وقفنا فيه على بعض القضايا والأحداث كمسألة التجنس، والانتخابات، والمؤتمر الإسلامي، في حين كان المبحث الثالث حول السياسة الخارجية وفيه تعرضنا لاهتمامات الرجل بأحداث وقضايا إخوانه في المغرب العربي وفلسطين والعالم العربي الإسلامي، وأما الخاتمة فهي خلاصة ما توصل إليه البحث من نتائج.

كما نشير إلى أننا قد أرفقنا البحث بقسم خاص بالملاحق، وآخر بالتراجم والفهارس.

### المنهج المستخدم:

بما أن طبيعة الموضوع تتحكم إلى حد بعيد في نوع المنهج المتبع، فإننا استخدمنا المنهج التاريخي حينما تعرضنا للإمام بالعصر الذي عاش فيه "أبو اليقظان" وحياته قصد معرفة، الأطر المكانية والزمانية التي أثرت في فكر الرجل، واستخدمنا إلى جانب ذلك المنهج الاستقرائي وذلك حينما تعلق الأمر بدراسة أفكار "أبي اليقظان" وتحليلها ومقارنتها بأفكار غيره كلما اقتضى المقلم ذلك.

## المصادر والمراجع:

فأما عن المصادر التي اعتمدها البحث، فلقد كان التحليل مركزا بصورة أساسية على المقالات الصحفية التي كتبها "أبو اليقظان" في جرائده الثمانية، دون غيرها من الجرائد وهي (وادي ميزاب ، ميزاب، المغرب، النور، البستان، النبراس، الأمة، الفرقان) وهي كثيرة ومتنوعة المواضيع.

أما المراجع فقد مكنتنا المخطوطات التي كتبها من استجلاء سيرته الذاتية و مسيرته الصحفية، وذلك من خلال مخطوطه عن "تاريخ صحف أبي اليقظان"، و"نشأتي"، و"أهدافي العليا بالعمل في هذه الحياة".

وأما ما تعلق بمضمون البحث فإن المراجع التي اعتمدها متنوعة بتنوع مباحث الموضوع وهي مثبتة في فهرس المصادر و المراجع .

## الصعوبات:

بعدما تمكنت من جمع مادة البحث والمتعلقة بصحف "أبي اليقظان" التي كانت متناثرة بين "الجزائر العاصمة" و"القرارة"، واجهتني صعوبة كبرى تتعلق بكتب "أبي اليقظان" خاصة تلك المخطوطات التي تؤرخ لحياة الرجل، حيث خبرت أثناء تواجدي "بالقرارة"، -وقد تزامن سفري مع شهر رمضان- أن ورثة "أبي اليقظان" مقيمون "بعمان" وأن الحصول عليها مرهون بتواجدهم بالبلدة صيفا فقط، مما جعلني أعاود السفر مرة ثانية إلى "القرارة" في سنة 1998م، على أن الصعوبات بقيت متوالية فقد اشترط علي نجله "عبد الحميد" الذي كان يحتفظ بمؤلفات "أبي اليقظان"، بعدم تصوير أي شيء منها، فكان لزاما علي أن أكتب ما يقتضيه البحث، ولم يكن ذلك بالسهل مع ارتفاع درجة حرارة صيف الصحراء، كما أنني لم أكن لأحصل على أي مؤلف إلا بعد أن أحدد عنوان المخطوط الذي أريده.

## الفصل التمهيدي:

### العصر والشخصية

- المبحث الأول : الأوضاع العامة في الجزائر.
- المبحث الثاني : حياة "أبي اليقظان" وآثاره .
- المبحث الثالث : مفهوم الإصلاح ووسائله عند "أبي اليقظان" .

## المبحث الأول : الأوضاع العامة في "الجزائر"

تمهيد:

ليست الغاية من الحديث عن الوضع القائم في "الجزائر" خلال النصف الأول من القرن العشرين، محاولة لتكديس مجموعة من الحوادث التاريخية، إنما القصد من وراء ذلك هو قراءة فكر الرجل في سياقه التاريخي و إطاره الحضاري، وتقييمه طبقاً للفترة التي عاشها .

كما نرى أنه لا يمكن فهم أفكاره الإصلاحية، حق الفهم إلا من خلال فهم طبيعة الواقع الذي بث فيه هذه الأفكار، و هدف إلى إصلاحه.

ومنها تكمن أهمية استقراء الواقع الذي كان مجالاً لأفكار "أبي اليقظان" الإصلاحية في جوانبها الثقافية والتربوية، والاجتماعية والسياسية، وهذا ما سنحاول توضيحه من خلال هذا المدخل .

### أ: الأوضاع السياسية :

لقد ظل الشعب الجزائري طيلة عهد الاحتلال يقاوم السياسة الفرنسية، وقد اتسمت هذه المقاومة في أول عهدها بطابع المواجهة المسلحة، حتى إذا ما استنفذ الشعب معظم جهوده أمام التفوق العسكري للاحتلال، اضطر إلى تغيير خطة المقاومة .

وقد عرفت سنوات ما بعد الحرب العالمية الأولى مرحلة تحول حاسم في تاريخ "الجزائر"، إذ عادت المواجهة بين الجزائريين وقوات الاحتلال مع ظهور الأحزاب السياسية، وجمعية العلماء المسلمين الجزائريين، وسنحاول التعرض لهذه العناصر بشيء من الإيجاز .

- الحركات السياسية : عرفت الساحة الجزائرية ظهور العديد

من الأحزاب السياسية هي :

1. حركة "الأمير خالد" : جاءت هذه الحركة نتيجة تراجع "فرنسا"

عن تحقيق وعودها عقب انتصارها في الحرب، حينذاك، أدرك "الأمير خالد" أن الحقوق لا تعطى وإنما تؤخذ بالكفاح، فقرر تأسيس حركة سياسية يتولى رئاستها بنفسه تحت اسم " وحدة النواب المسلمين " وذلك سنة 1924 م .

وقد نادى "الأمير خالد" ببرنامج إصلاحي قائم على المساواة التامة بين الجزائريين والفرنسيين ووقف القوى العقابية الخاصة التي كانت مخولة لحكام البلديات المختلطة، المساواة التامة بين السكان الجزائريين دون تمييز و كذا المساواة بين الجزائريين و الفرنسيين في الوظيف<sup>(1)</sup> .

<sup>1</sup> سعد الله ، د، أبو القاسم، الحركة الوطنية الجزائرية، 1900-1930م، ج2، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط4 1992م، ص366.

غير أن "فرنسا" ظلت مشتبهة في حركة "الأمير خالد"، فعملت على إبعاده إلى "فرنسا" وألبت ضده عملاءها، مع ما كان من العداوة بينه وبين دعاة الإدماج من ممثلي الحزب الليبرالي.

وعندما ازداد نشاط "الأمير خالد"، اضطرت السلطات الفرنسية إلى نفيه إلى المشرق أين حوكم "بالإسكندرية" أمام المحكمة القنصلية الفرنسية في أوت 1925م بدعوى الفرار من منفاه بأوروبا، ليحكم عليه بالسجن لمدة 5 أشهر<sup>(1)</sup>، ثم استقر بعدها في "سوريا" أين توفي هناك عام 1936م. ولم يكتب له إمكانية العودة إلى "فرنسا" أو "الجزائر".

**2. الحزب الليبرالي:** برز هذا الحزب في إطار حزب فدرالية نواب مسلمي "الجزائر"، وقد ظهر في 11 ديسمبر 1927م "بالجزائر العاصمة"، ولم يختلف برنامجهم عن برنامج "الأمير خالد"، "سوى في نقطة واحدة وهي دمج "الجزائر" بفرنسا" دمجا كاملا ومنح الجنسية للجزائريين بغض النظر عن التمسك بالأحوال الشخصية الإسلامية<sup>(2)</sup>. وقد عادت قيادة هذا الحزب إلى الدكتور "ابن التهامي" وانضم إلى هذا الحزب العديد من الكفاءات من أطباء ومحامين، واشتهر منهم فرحات عباس، و"محمد الصالح بن جلول"<sup>(3)</sup>.

وتعود أصول هذا الحزب إلى انتخابات 1919م عندما انقسمت كتلة النخبة إلى قسم بزعامة "الأمير خالد"، وجناح آخر بزعامة "ابن التهامي" حيث تنافس الفريقان من أجل استقطاب أصوات الجماهير، غير أن موقف الليبراليين الموالي للفرنسيين، والذي لم يجد صداه لدى الجماهير كان من

<sup>1</sup> الخطيب، د، أحمد، حزب الشعب الجزائري، ج1، م، و، ك، الجزائر، ط1، 1896م، ص61.  
<sup>2</sup> الخطيب، د، أحمد، جمعية العلماء المسلمين الجزائريين وأثرها الإصلاحي في الجزائر، م، و، ك، ط1، الجزائر، 1985م، ص41.  
<sup>3</sup> سعد الله، د، أبو القاسم، الحركة الوطنية الجزائرية، 1930-1945م، ج3، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط4، 1992م، ص391.

وراء خسارة هؤلاء، ليعود اللبرانيون إلى مسرح الأحداث عام 1924م، بعد نفي "الأمير خالد".

3. نجم شمال إفريقيا وحزب الشعب : بدأ نشاطه سنة 1926م في شكل جمعية لمسلمي "المغرب" و "الجزائر" و "تونس"، وكان مبدؤها: "أن مسلمي الشمال الإفريقي لا يقومون بواجبهم فقط بل بأكثر من واجباتهم، ولهذا فإنهم يطالبون بكل حقوقهم"<sup>1</sup>.

وتحولت الجمعية من حركة عمالية نقابية إلى حزب سياسي تحت اسم "نجم شمال إفريقيا" وأوكلت الرئاسة الفعلية إلى "الحاج عبد القادر"، و"مصالي الحاج" كأمين عام، بينما عادت الرئاسة الشرفية إلى "الأمير خالد"، مع الإشارة أنه ابتداء من عام 1927م انسحب عنه أعضاءه التونسيون والمغاربة ليصبح شيئا فشيئا منظمة جزائرية بحتة<sup>(2)</sup>.

ونظرا لثورية هذا الحزب، فقد كانت أهدافه واضحة تجسدت خاصة في المطالبة بالاستقلال التام "للجزائر" \* ، ومن ثم فقد شكل هذا الحزب مصدر إزعاج للسلطات الفرنسية، مما حدا بها إلى اعتقال زعيمه، وما فتئت السلطات بعد ذلك أن حلت تنظيمه، وفي سنة 1937م استأنف الحزب نشاطه تحت اسم جديد وهو "حزب الشعب" برئاسة "مصالي الحاج"، وبقي متمسكا بنفس المطالب التي جاءت في برنامج "النجم"، غير أن سياسة القمع ضد تنظيم الحزب ظلت متوالية، وانتهت باعتقال "مصالي الحاج"، بدعوى إعادة تأسيس جمعية منحلة.

4. الفيدرالية الشيوعية الجزائرية: أنشئت هذه الفيدرالية عام 1924م، بمجهودات بعض الفرنسيين الجزائريين، ومن أهم الشخصيات التي انخرطت فيه نذكر "حاج علي عبد القادر"، و"محمد بن الأكل".

1. قداش، محفوظ قناش، محمد، نجم الشمال الإفريقي 1926-1937م، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1984م، ص41

2. الجيلالي، صاري، قداش، محفوظ المقاومة السياسية: الطريق الإصلاحي و الطريق الثوري 1900-1954م، ترجمة عبد القادر بن حراث، م، و، ك، الجزائر، دط، 1987م، ص58.

\* ينظر هذه المطالب: زوزو، د، عبد الحميد، دور المهاجرين الجزائريين بفرنسا في الحركة الوطنية بين الحربين 1919-1939م، ش، و، ن، ت، الجزائر، دط، ص71، والخطيب، د، أحمد، حزب الشعب الجزائري، ج1، ص230، وقناش، محمد، الحركة الاستقلالية في الجزائر بين الحربين، ش، و، ن، ت، الجزائر، دط، 1982م، ص37-38

ويعتبر الحزب الشيوعي الجزائري امتدادا طبيعيا للحزب الشيوعي الفرنسي، وكان يرى أن الاستعمار الفرنسي ما هو إلا مظهر من مظاهر الاستغلال ولا يمكن إزالته إلا من خلال حكومة عمالية ثورية، تزيل مظاهر الظلم، بفضل نضال الطبقة العمالية الواعية، ولأن الشيوعيين لم يكن لهم أدنى اتصال بالجمهير الشعبية في "الجزائر"، فلم يكن أحد يهتم بما يجري بين منخرطيه.

- جمعية العلماء المسلمين الجزائريين: جاءت هذه الجمعية تجسيدا للذات الحضارية للجزائريين<sup>(1)</sup>، وقد صادفت ظروف التحضير التي مهدت لميلاد جمعية العلماء المسلمين احتفال "فرنسا" بالعيد المئوي للاحتلال كإعلان عن السيطرة التامة على "الجزائر".

وقد سبق الإعداد الكبير لهذا الاحتفال، حملة دعائية قامت بها مختلف أجهزة وسائل الإعلام، حيث بلغت نفقات التحضير له ما يزيد عن الثمانين مليون فرنك فرنسي<sup>(2)</sup>، ودعيت لحضوره الدنيا كلها على حد تعبير "البشير الإبراهيمي"<sup>(3)</sup>.

وبات واضحا أن هذه الاحتفالات، والتي جلب إليها الجيش بملابسه وموسيقاه كانت تعبر عن حقد صليبي دفين دلت عليه تصريحات قادرات "فرنسا" واستفزازا لمشاعر الجزائريين.

ورغم النتائج السلبية التي أسفرت عنها الاحتفالات من مساس بمشاعر الجزائريين، فإنها كانت في الوقت نفسه عاملا قويا عجل بظهور جمعية العلماء المسلمين، إذ كان لا بد من رد فعل عنيف يفسد على الاستعمار احتفاله، وقد كان نادي الترقى المحضن الذي تبلور فيه مشروع جمعية العلماء المسلمين الجزائريين وخرجت إلى حيز التنفيذ بعد أن كانت

<sup>1</sup> عوض صالح، معركة الإسلام والصليبية في الجزائر، ج1، الزيتونة للإعلام والنشر، باتنة، الجزائر، ط2، 1992م، ص229.

<sup>2</sup> المدني، أحمد توفيق، كتاب الجزائر، م، و، ك، الجزائر، ط2، 1984م، ص70-71.

<sup>3</sup> الإبراهيمي، محمد البشير، «أنا»، مجلة مجمع اللغة العربية، الهيئة العامة لشؤون المطابع العربية، ع21، القاهرة، 1966م، ص143.

مجرد فكرة<sup>(1)</sup>، ففي الخامس من شهر ماي 1931م عقد العلماء اجتماعهم وأعلنوا عن تأسيس جمعية العلماء المسلمين برئاسة "عبد الحميد بن باديس" الذي كان غائبا، و"البشير الإبراهيمي" نائبا.

وقد ضمت الجمعية في عضويتها اتجاهات متنوعة، كان بعضها إصلاحيا والآخر من رجال الدين المحافظين<sup>(2)</sup> وهي بذلك تكون قد تأسست على أنقاض الخلافات المذهبية والتفرقة الفكرية<sup>(3)</sup> التي تضر ولا تنفع.

وتعتبر الجمعية امتدادا للحركة الإصلاحية في "الجزائر"، ومعها بدأ الشروع الفعلي لتطبيق المشروع الإصلاحية في "الجزائر"، والذي أخذ طابعا منظما بعد أن كان مجرد جهود فردية.

وقد نص قانونها الأساسي على أنها مؤسسة ثقافية مهمتها الاضطلاع بمحاربة الآفات الاجتماعية، وإحياء اللغة العربية وتصحيح المفاهيم الخاطئة، وقد لخص أحد أعضائها أهدافها في "إحياء الإسلام الصحيح بإحياء الكتاب والسنة ونشرها بين الناس حتى يرجع لها سلطانها على نفوس المسلمين وإحياء اللغة العربية وآدابها وإحياء التاريخ الإسلامي ورجاله الغر الميامين"<sup>(4)</sup>.

وتختفي وراء الأهداف القريبة أهداف بعيدة المدى، وهو العمل على استرجاع "الجزائر"، وتكوين دولة مستقلة<sup>(5)</sup> ومهما يكن فقد قامت الجمعية بدور كبير في توعية الشعب بمقوماته وحقيقته وجوده، وعملت على ربطه بتراته كجزء من البناء الذاتي للهوية الوطنية.

<sup>1</sup> جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، سجل مؤتمر جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، دار الكتب، الجزائر، دط، 1882م، ص53-54.

<sup>2</sup> بو الصفصاف، د، عبد الكريم، جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ودورها في تطور الحركة الوطنية في الجزائر، دار البعث، قسنطينة، الجزائر، ط1، 1981م، ص95.

<sup>3</sup> ابن العقون، عبد الرحمان بن إبراهيم، الكفاح القومي والسياسي 1920-1936م، ج1، م، و، ك، الجزائر، دط، 1984م، ص185.

<sup>4</sup> خير الدين، محمد، مذكرات، ج1، م، و، ك، الجزائر، دط، ص149، وجمعية العلماء المسلمين لجزائريين، سجل مؤتمر جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، ص176.

<sup>5</sup> بو الصفصاف، د، عبد الكريم، جمعية العلماء المسلمين الجزائريين وأثرها في تطور الحركة الوطنية في الجزائر، ص181.

## ب: الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية:

يمكن القول أن الواقعيين الاجتماعيين والاقتصاديين في "الجزائر"، ما هما في الحقيقة إلا صورة ناطقة للوضع السياسي الذي تمكن الاستعمار من خلاله أن يسيطر على البلاد سيطرة تامة، جعلت الشعب الجزائري يستسلم لمصيره المحتوم، وسنحاول أن نتعرض في هذا العنصر لمظاهر التخريب الاجتماعي والاقتصادي فيما يلي:

فلقد كان من أبرز ما ميز الحياة الاجتماعية في "الجزائر" خلال النصف الأول من القرن العشرين، انقسام المجتمع إلى طبقتين متميزتين: الطبقة الأولى: ويمثلها الإقطاعيون والبرجوازيون، وقد تمكن هؤلاء من السيطرة على كافة الأراضي الخصبة واستولوا على معظم النشاط التجاري والمالي في "الجزائر"، كما تجاوز الفعل الاستعماري إلى إبعاد الجزائريين من الوظائف الإدارية<sup>(1)</sup>، حتى لا يسمح لسواهم بتسيير شؤون البلاد.

وعلى الرغم من أن الأوربيين كانوا من جنسيات مختلفة، فإن هؤلاء شكلوا فئة تميزت بالانغلاق على نفسها، تجمع بينها رابطة مقدسة ذات شعار مربع الاستبداد، الاستحواذ، الاحتقار، التتكيل<sup>(2)</sup>.

ومما زاد الأمر تعقيدا انضمام اليهود إلى هذه الطبقة الدخيلة، بحكم قانون التجنيس الجماعي الذي صدر عام 1870م، حيث أظهرت هذه الطائفة اليهودية في "الجزائر" ميلا واضحا إلى الفرنسيين وأعانوهم على استنزاف خيرات البلاد<sup>(3)</sup>.

<sup>1</sup> تركي، د، رابع، عبد الحميد بن باديس: فلسفته وجهوده التربوية، ش، و، ن، ت، الجزائر، دط، ص38.

<sup>2</sup> المدني، أحمد توفيق، هذه هي الجزائر، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ط1، 1956م، ص36.

<sup>3</sup> بوعزيز، د، يحي، «موقف الجزائريين من تجنيس اليهود الجماعي»، مجلة الثقافة، ع80، ديسمبر-جانفي، 1976م، ص39.

أما الطبقة الثانية: فتشمل سكان البلاد الأصليين، وكان هؤلاء يعانون أنواع الحرمان، من بطالة متفشية، وفقير مدقع، وجهل عم الكبار والصغار، وهي في اعتقادنا نتيجة طبيعية لواقع، ظلت فيه "فرنسا" طيلة سبعون عاما، تنهب العرب وتسلبهم، وتطاردهم، وتشردهم قصد تعمير القطر الجزائري بالإيطاليين والإسبانيين<sup>(1)</sup> ومظهر آخر يؤكد هدف الاستعمار من تفكيك البنى الاجتماعية للبلاد، فقد تراخت العلاقات داخل القبيلة، ومالت القبيلة لأن تصبح مجرد مرجع شكلي، بل مالت إلى الاختفاء<sup>(2)</sup>، وخلق قوى جديدة على حسب الطبقة الأصلية.

ومن غير شك أن الأسباب التي خلقت هذا التمايز بين الفئتين تعود إلى سيطرة المعمرين على معظم النشاط الزراعي، إذ بلغت جملة الأراضي التي استحوذ عليها هؤلاء 23.7000 هكتار سنة 1927م<sup>(3)</sup>، الأمر الذي وجد فيه الجزائريون أنفسهم مضطرين إلى اللجوء إلى المناطق القاحلة الجرداء، وأضحى ما يقارب نصف سكان المدن يسكنون أكواخا من صفيح وخشب ومنهم من سكن الكهوف وأرصفة الشوارع<sup>(4)</sup>، وكثيرا ما لجأ أغلبهم إلى العمل كأجراء أو خماسة لدى المعمرين، وكان من نتائج هذه السياسة أيضا أن أصبح عدد البطالين والفقراء يفوق أربعة ملايين أي ما يقارب نصف مجموع الشعب<sup>(5)</sup> الجزائري.

ولم يكن الجانب الصناعي بأحسن حال من الجانب الزراعي، فقد حالت تصرفات الإدارة الفرنسية، دون قيام نشاط صناعي في "الجزائر"، ذلك أنها تعلم أن ذلك يؤدي حتما إلى تقدم البلاد وارتفاع المستوى المادي للمواطنين الجزائريين.

<sup>1</sup> فرحات، عباس، ليل الاستعمار، ترجمة أبو بكر رجال، مطبعة فضالة، المحمدية، المغرب، دت، ص 50.  
<sup>2</sup> عدي، د، الهواري، الاستعمار الفرنسي في الجزائر: سياسة التفكيك الاقتصادي- الاجتماعي، 1830-1960م، ترجمة جوزيف عبد الله، دار الحدائق للطباعة للنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، دط، 1983م، ص 109.  
<sup>3</sup> تركي، د، رابح، عبد الحميد بن باديس رائد الإصلاح والتربية في الجزائر، م، و، ك، الجزائر، ط4، 1984م، ص 91.  
<sup>4</sup> الخطيب، د، أحمد، الثورة الجزائرية: دراسة وتاريخ، دار الملايين، بيروت، دط، 1958م، ص 145.  
<sup>5</sup> نفس المرجع والصفحة.

وبالفعل فإن "الجزائر" لم تعرف أية صناعة تذكر سوى بعض الحرف اليدوية المحلية مثل نسيج الزرابي، وحياسة الأصواف للاستهلاك المحلي<sup>(1)</sup>، وعلى الرغم من وجود هذه الصناعات التقليدية، فإنها "لم تستطع أن تصمد في وجه الصناعات التي اشتهرت "باريس" في إنتاجها"<sup>(2)</sup>

ونتيجة ذلك، فقد أصبحت "الجزائر" مجرد سوق للتجارة الفرنسية وأحد الموارد الهامة<sup>(3)</sup> التي توفر المواد الخام التي تحتاج إليها الصناعة في "فرنسا".

وأدى تردي الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية إلى تردي الوضع الصحي للسكان الجزائريين، إذ كثرت الأمراض المختلفة، وقد أوضح أحد الأطباء الأخصائيين في إحصائية عن مرض السل بالقول " أن القطر الجزائري بملايينه العشرة من السكان يحتوي على نفس العدد من المسلولين الموجودين "بفرنسا" ذات الأربعين مليوناً"<sup>(4)</sup>.

ولم تكن المنشآت الصحية بأحسن حال أيضاً، إذ لم يكن بمستشفيات القطر الجزائري كله سوى 25.600 سرير، ناهيك عن الوضع المزري الذي تعيشه هذه المنشآت، وقد أكد أحد ساسة فرنسا في تصريح له عن الوضع الذي تعرفه مثل هذه المنشآت بالقول " لقد وجدت هذه المستوصفات الأهلية عند قدمي "للجزائر" في حالة لا يستطيع أي قلم وصفها، أبنية نخرتها الرطوبة، غالباً تجد في كل منها نحو العشرة أكوام من الحجارة المبنية، ترتفع نحو ستين سنتيمترات عن الأرض، وفوقها تجد بياضاً مزعجاً وتلك هي الفراشات..."<sup>(5)</sup>.

<sup>1</sup> المدني، أحمد توفيق، هذه هي الجزائر، ص126.

<sup>2</sup> العسلي، بسلام، الله أكبر وانطلقت ثورة الجزائر، دار النفائس، بيروت، ط2، 1986م، ص31.

<sup>3</sup> تركي، د، ربيع، التعليم القومي والشخصية الوطنية، ش، و، ن، ت، الجزائر، ط1، 1975م، ص86.

<sup>4</sup> المدني، أحمد توفيق، هذه هي الجزائر، ص150، والخطيب، د، أحمد، الثورة الجزائرية، ص160.

<sup>5</sup> المدني، أحمد توفيق، كتاب الجزائر، ص71.

هذه صورة مختصرة لواقع اجتماعي واقتصادي عبث بهما الاستعمار الفرنسي، لتحقيق مراميه، وكان من نتائج ذلك بروز ظاهرة الهجرة، إذ كان من الطبيعي بعد أن سيطر المعمرون على معظم الأراضي الخصبة والقطاعات الحيوية للبلاد، وتمكن الاستعمار من القضاء على الظروف التقليدية لحياة الجزائري المادية والروحية، أن يبحث له عن مصدر للرزق والعيش الكريم.

ونتيجة عوامل متعددة، عرفت "الجزائر" هجرة عدد كبير من الجزائريين إلى خارج الوطن، بلغت مع نهاية الحرب العالمية الأولى ما يقدر بـ 92.000 عامل<sup>(1)</sup>.

وكانت وجهة الجزائريين إلى خارج الوطن مختلفة، ففي الوقت الذي قصد فيه البعض دول المغرب العربي، "كتونس" و"المغرب"، والمشرق العربي "كسوريا" و"لبنان"، فإن الغالبية العظمى منهم كانت وجهتها نحو "فرنسا"، وقد بلغ عدد الذين عبروا البحر الأبيض المتوسط إلى الشاطئ الأوروبي في عام 1937م حوالي 46.562 مهاجر<sup>(2)</sup>.

وإذا كان الجزائريون الذين قصدوا المشرق العربي أو المغرب العربي، قد تمكنوا من الاندماج والانسجام بشكل طبيعي مع إخوانهم العرب، نظرا لوحدة الدين واللغة والمصير المشترك، وتمتعوا بحرية وبسمعة عظيمة، وحصلوا على هذه الامتيازات لشهرتهم كأبطال للجامعة الإسلامية<sup>(3)</sup>، فإن إخوانهم ممن توجهوا نحو "فرنسا" قد وجدوا صعوبة في التكيف مع الواقع الجديد نظرا للبون الشاسع بين حياة هؤلاء وأولئك.

<sup>1</sup> الخطيب، د، أحمد، جمعية العلماء المسلمين الجزائريين وأثرها الإصلاحي في الجزائر، ص 84.

<sup>2</sup> بوحوش، عمار، العمال الجزائريون في فرنسا، ش، و، ن، ت، الجزائر، 1979م، ص 138.

<sup>3</sup> سعد الله، د، أبو القاسم، الحركة الوطنية الجزائرية، ج 2، ص 124.

ومهما يكن فإن إطلاع المهاجرين الجزائريين على حياة غيرهم، شكل رافدا مهما، سمح للجزائري المهاجر أن يعي ذاته، ويقارن بين واقعه وواقع غيره، وكانت هجرته من أهم العوامل التي أدت إلى تقوية التواصل الفكري بين أبناء المغرب العربي والمشرق عن طريق المهاجرين الذين توجهوا نحو المشرق<sup>(1)</sup>، وساعدت المهاجرين الذين توجهوا نحو فرنسا من الإطلاع على الاتجاهات السياسية المختلفة في جو من الحرية المفقودة في بلادهم، كما تمكنوا من التعرف على عقلية الطبقة العاملة من الأوروبيين<sup>(2)</sup>، مما زادهم وعيا بضرورة المطالبة بحق تقرير مصيرهم.

عبد القادر للعلوم الإسلامية

<sup>1</sup>. سعد الله، د، أبو القاسم، الحركة الوطنية الجزائرية، ج2، ص125.  
<sup>2</sup>. زوزو، د، عبد الحميد، دور المهاجرين الجزائريين بفرنسا في الحركة الوطنية بين الحربين، ص16.

### ج : الأوضاع الثقافية :

نرى لزاما علينا، ونحن نتحدث عن ردود فعل المقاومة الجزائرية في المجال الثقافي والفكري، أن نتعرض لمظاهر الهدم التي استهدفت الثقافة العربية الجزائرية كأحد أهداف السياسة الاستعمارية لفرنسة المجتمع الجزائري وإدماجه.

فلقد بات من المؤكد أن الهجمة الفرنسية لم تكن ذات أهداف عسكرية فحسب، وإنما كانت تحمل في ثناياها نوايا صليبية أكدتها تصريحات قادتها<sup>(1)</sup>.

وكان الإسلام أول ما استهدفته أيادي الاحتلال، في محاولة لطمس معالمه، إذ بادرت السلطات الفرنسية منذ الوهلة الأولى إلى تهديم المساجد، وتحويل بعضها الآخر إلى إسطبلات وكنائس أو ثكنات عسكرية.

وذهبت السلطات إلى أبعد من ذلك في محاولة منها لتمسيح الوسط قبل تمسيح الروح<sup>(2)</sup>، فقد شنت حملة واسعة النطاق عن طريق الإرساليات التبشيرية التي عرفت باسم " الآباء البيض" وكانت أن أظهرت هذه الأخيرة "نشاطا في ميادين الخدمات الاجتماعية وتغلغت في المناطق الأكثر فقرا لإغراء الأهالي بالمساعدات المادية، واستدراجهم إلى الدين الجديد"<sup>(3)</sup>.

وقد عرفت المكتبات الجزائرية المصير نفسه، كلون من ألوان الإبادة الثقافية، حيث تعرضت معظم المكتبات إلى الاعتداء الاستعماري، إذ كان الجنود أحرارا في نهب وتدمير وثائق الدولة الجزائرية<sup>(4)</sup>.

<sup>1</sup> عن هذه التصريحات ينظر: الأشراف، د، مصطفى، الجزائر: الأمة والمجتمع، ترجمة حنفي بن عيسى، م، و، ك، الجزائر، دط، 1983م، ص51.

<sup>2</sup> بقطاش، خديجة، الحركة التبشيرية الفرنسية في الجزائر 1830-1872م، مطبعة دحلب، الجزائر، دط، 1992م، ص31.

<sup>3</sup> ابن نعمان، د، أحمد، الأطروحة البربرية في الجزائر، منشورات دحلب، الجزائر، دط، 1991م، ص50.

<sup>4</sup> سعد الله، د، أبو القاسم، تاريخ الجزائر الثقافي 1830 - 1954م، ج5، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط1، 1998م، ص303.

أما المؤسسات التعليمية، فلم تتج هي الأخرى من صور الاضطهاد والمضايقة الاستعمارية، حيث تعرض معظمها إلى الغلق، وسلم البعض الآخر منها إلى الإرساليات التبشيرية لتساهم من خلالها في عملية تخدير النشء، ولم تسلم من المضايقات سوى بعض الزوايا والكتاتيب القرآنية التي بقيت تمارس نشاطها بعيدا عن السلطات الاستعمارية.

وبالموازاة مع هذا العمل، قامت السلطات الفرنسية بإحكام قبضتها على الأوقاف الإسلامية فتعطل بذلك نشاط العديد من المراكز، ذلك أن مثل هذه المؤسسة كانت بالنسبة للجزائريين " مصدر الحياة الدينية والعلمية والاجتماعية"<sup>(1)</sup>، وكثيرا ما كانت الأوقاف المورد الرئيسي الذي يتقاضى منه المعلمون والقضاة والمفتي رواتبهم.

وتطبيقا لسياسة الفرنسية، قامت السلطات الفرنسية بنشر وفتح المدارس للتعليم الفرنسي ولم يكن الاحتلال يهدف بفتحه أبواب التعليم أمام بعض أبناء "الجزائر" تثقيفهم أو تعليمهم، بقدر ما كان يعمل للكيد للعربية والنبل منها في عقر دارها<sup>(2)</sup>، ذلك أن عمله هذا إنما يندرج ضمن خطته الاندماجية من جهة والحرص على جعل اللغة العربية "سمة من سمات الضعة والهوان وعلامة على الانتماء إلى الطبقات الكادحة المغمورة التي لم تتح لها أن تتعلم في المدارس الفرنسية"<sup>(3)</sup>.

والملاحظ أن الجزائريين ظلوا حذرين من هذا النوع من التعليم الفرنسي، إذ كانوا يمنعون أبناءهم من التردد على مثل هذه المدارس خوفا من تيار الفرنسية، وقد فسر "مصطفى الأشرف" ذلك بالقول "أن الأسباب

<sup>1</sup> سعد الله، د، أبو القاسم، تاريخ الجزائر الثقافي، 1500-1830م، ج1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط1، 1998م، ص231.

<sup>2</sup> العسلي، بسام، عبد الحميد بن باديس وبناء قاعدة الثورة الجزائرية، دار النفائس، بيروت، لبنان، دط 1982م، ص 47.

<sup>3</sup> الحاجري، د، محمد طه، جوانب من الحياة العقلية والأدبية في الجزائر، معهد البحوث والدراسات العربية، دط 1968م، ص97.

التي جعلت الأهالي يلزمون موقف الحذر من التعليم الفرنسي هو صمود الثقافة العربية<sup>(1)</sup>، ونحسب أن الروح الدينية التي كانت متأصلة في نفوس الجزائريين كانت أيضا من وراء هذا العزوف عن المدارس الفرنسية. وفي هذا الإطار فرضت سلطات الاحتلال تعليم اللغة الفرنسية، وأحلتها محل اللغة العربية حتى صيروها لغة المدرسة ابتداء من روضة الأطفال إلى الصفوف العالية في الجامعة<sup>(2)</sup> كما أقر بذلك "الفضيل النورتلاني"، وفي مقابل ذلك تعرضت اللغة العربية لحملة واسعة للقضاء عليها، فمنعت في المدارس ولاحقت السلطات معلّمها، وأصدرت القوانين لمعاقبة مستخدميها، وكان قرار "شوطان" الذي صدر عام 1938م أكبر ضربة وجهت ضد اللغة العربية حيث اعتبرت "اللغة العربية لغة أجنبية"<sup>(3)</sup>.

كما عمد الاحتلال إلى تغييب تاريخ "الجزائر"، عن طريق فرض تعليم التاريخ الفرنسي في مختلف أطوار التعليم، قصد ترسيخ فكرة أجدادنا الغالبيين<sup>(4)</sup>.

وبلغت خطة الاحتلال لمحو الثقافة الجزائرية، أن منع إصدار أي صحيفة من شأنها تنقيف و توعية الجزائريين، وعمد إلى إصدار صحيفة "المبشر" عام 1847م كلون من ألوان الثقافة الموجهة، ولم تكن هذه الصحيفة موجهة لخدمة العلم والمعرفة والحضارة الزاحفة المتطورة، بل استعملت لخدمة الظلم والطغيان وطمس الحقائق وتضليل الرأي وتجريد شعب "الجزائر" من كل مقوماته باستعمال لغته ضده<sup>(5)</sup>.

<sup>1</sup> الأشراف، د، مصطفى، الجزائر: الأمة والمجتمع، ص 415.

<sup>2</sup> النورتلاني، فضيل، الجزائر الثائرة، دار الهدى، عين مليلة، الجزائر، دط، 1992م، ص 90.

<sup>3</sup> جانتسون، كوليت، وفرانسيس، الجزائر الثائرة، ترجمة محمد علوي الشريف، خليل فهمي، هنري يوسف سردار، دار الهلال، القاهرة، مصر، دط، 1957م، ص 130، والعسلي، بسام، الثورة الجزائرية، دار الشورى، بيروت، ط1، 1982م، ص 55.

<sup>4</sup> الطالبي، د، عمار، ابن باديس: حياته وأثاره، ج1، دار اليقظة العربية، الجزائر، ط1، 1968م، ص 10.

<sup>5</sup> سيف الإسلام، الزبير، تاريخ الصحافة في الجزائر، ج 4، م، و، ك، الجزائر، دط، 1985م، ص 45، وسيف الإسلام، الزبير، تاريخ الصحافة في الجزائر، ج1، م، و، ك، الجزائر، دط، 1985م، ص 45-46.

وبذلك استطاع الاستعمار الفرنسي أن يجعل "الجزائر" في عزلة تامة عن العالم الخارجي، و مع ذلك فقد بدأت بعض بوادر النهضة تظهر مع أواخر القرن التاسع عشر، وبدأ الضمير الجزائري يستيقظ، و الأذهان تعي واقعها البائس، على يد طائفة من العلماء المخلصين و الذين اعتبرهم "دبوز محمد علي" باكورة النهضة و ثمرة الإصلاح المباركة (1).

وعلى الرغم من الحصار الشديد الذي فرضته السلطات الاستعمارية لمنع تسرب أي تأثير نحو الداخل، إلا أن الأفكار الإصلاحية قد اخترقت هذا السور الحديدي، ووصلت إلى المتقنين الجزائريين الذين تبناها، وسعوا بطرق شتى إلى نشرها بين أبناء "الجزائر".

وكان لأفكار "جمال الدين الأفغاني" الذي كان يؤمن أن الخروج من التبعية الأجنبية يستوجب حلا سياسيا، ومن بعده "محمد عبده" الذي عدل عن فكرة شيخه وخلص إلى أن الحل يستدعي " تحرير الفكر من التقليد وفهم الدين على طريقة سلف الأمة قبل ظهور الخلاف، والرجوع في كسب معارفها إلى ينابيعه الأولى (2) "، أثرها الكبير في يقظة وتحرر العقل الجزائري من الجمود.

وقد عرفت هذه النهضة الإصلاحية تطورا ملحوظا مع بدايات القرن العشرين، فقد آمن "عبد الحميد بن باديس" أن الحرية والاستقلال لأي شعب لا بد أن يمر بمرحلة تحضير وتربية، لذلك عكف بمساجد "قسطنطينة" يعلم الناشئة ويربي الأنفس ويصحح المفاهيم الخاطئة التي علقت بالإسلام، وأدت إلى نفور الناس منه.

1- دبوز، محمد علي، نهضة الجزائر وثورتها المباركة، ج2. المطبعة العربية، الجزائر، ط1، 1971م، ص5.  
2- أمين، أحمد، زعماء الإصلاح في العصر الحديث، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، ط1، 1979م، ص327.

ولم يكتف "ابن باديس" بتعليم الناشئة فحسب، بل رأى أن المواجهة تستدعي الخروج بهذه الأفكار إلى المحيط الخارجي، فأنشأ لأجل ذلك جريدة "المنتقد" سنة 1925م، ومن بعدها جريدة "الشهاب" سنة 1925م، فكان عنوانهما يوحيان "بمعاني النار والضوء الذي يريد أن يبعث به فجر العلم والثقافة الجديدة"<sup>(1)</sup>، وهكذا كان "ابن باديس" باني النهضتين العلمية والفكرية "بالجزائر" وواضع أسسها على صخرة الحق كما أشار إلى ذلك البشير الإبراهيمي<sup>(2)</sup>.

وقد ساهم في بعث هذه النهضة، إلى جانب "عبد الحميد بن باديس" مجموعة من العلماء أمثال "البشير الإبراهيمي"، و"الطيب العقبي"، و"مبارك الملي" شمالاً، و"إبراهيم بيوض" و"سعيد شريقي"، و"أبو اليقظان وغيرهم جنوباً، وكلهم عملوا على نشر الوعي بين أبناء الجزائريين، وكانت جمعية العلماء المسلمين الجزائريين تتويجا لمجهودات هؤلاء المصلحين، ونقطة تنظيم العمل من الجهود الفردية إلى العمل الجماعي، وكان لمسيرة الحركة الإصلاحية أثر كبير في تغيير المفاهيم ونشر التعليم وتنشيط الأقاليم.

فعلى مستوى تغيير المفاهيم، استطاعت الحركة الإصلاحية، أن تعيد للإسلام حركتيه، عن طريق تصحيح ما علق به من البدع والخرافات، وحملت الشعب على التمسك به باعتباره مصدر عزة وقوة المسلمين، كما قامت بشن حملة ضد أصحاب الطرق والزوايا، والذين كانوا سهاماً صوبها الاستعمار في صدر الشعب الجزائري يشوه بها العقيدة الإسلامية الصحيحة، بما كان ينشره أصحابها من بدع وخرافات، وكان لذلك أثره العميق في نفوس العامة من البسطاء<sup>(3)</sup>، واستطاعت بذلك الحركة الإصلاحية زعزعة نفوذ هؤلاء، ولعل أحسن من صور وضعهم بعد هذه

<sup>1</sup> محمد مراد سيد، بركات، «ابن باديس المجدد والمصلح الاجتماعي»، مجلة الفكر، ع1، السنة الأولى، 1993م، ص76.

<sup>2</sup> الإبراهيمي، محمد البشير، عيون البصائر، ش، و، ن، ت، الجزائر، نطدت، ص632.

<sup>3</sup> خير الدين، محمد، منكرات، ج2، م، و، ك، الجزائر، نط، دت، ص105.

الثورة العارمة، "مالك بن نبي" إذ كتب يقول: "غير أنه ما إن سطع نور الفكرة الإصلاحية حتى تحطم ذلك المعبد فخرت الأوثان ( ) وبالفعل فقد خمدت نيران الزرد وزالت عن البلاد حتى الدراويش، وتخلصت بعد أن ظلت طوال خمسة قرون على دفات البنادر<sup>(1)</sup>.

وعلى مستوى التعليم، أدركت الحركة الإصلاحية منذ الوهلة الأولى أن إعادة البناء الفكري للبلاد لن يتأتى إلا عبر عمليتي التربية والتعليم، لذلك اتحدت الجهود في هذا الإطار ووجهت لمقاومة الجهل، وعمل رجال الإصلاح على إنشاء المدارس الحرة في مختلف أنحاء القطر الجزائري، وقد بلغ عدد المدارس التي أنشأتها جمعية العلماء المسلمين وحدها 150 (مائة وخمسون مدرسة)، ولقد خرجت هذه المدارس ما لا يقل عن خمسين ألف ومائة من حاملي الشهادة الابتدائية<sup>(2)</sup> باللغة العربية.

وأما على مستوى تنشيط الأقاليم، فإن الصحافة لعبت دورا هاما في هذا المجال وكانت عاملا مهما في إثراء الساحة الفكرية في "الجزائر"، فلقد تكونت على صفحاتها نخبة لا يستهان بها من المتقنين ساهموا إلى حد بعيد في التعبير عن قضايا مجتمعهم ودعوا فيها إلى "نبذ الخرافات والبدع التي تفسد الدين، وإلى التربية والتعليم، وإلى الاتحاد والتآزر، وإلى الأخذ من حضارة أوربا بكل حسن ونافع وإلى كل ما يرقى بالأمة في كل نواحيها"<sup>(3)</sup>.

ومن الصحف التي كان لها دور ريادي في إثراء النشاط الفكري، والدفع بحركة النهضة، نذكر منها "النجاح" 1919م "العبد الحفيظ الهاشمي"، و"الإقدام" 1920م "للأمير خالد"، و"صدى الصحراء" 1925م "لمحمد بن العابد العقبي"، و"المنتقد" ومن بعدها "الشهاب" 1925م "العبد الحميد بن باديس"، بالإضافة إلى جرائد "أبي اليقظان" الثمانية، ونذكر

1. ابن نبي، مالك، شروط النهضة، دار الفكر، دمشق، سورية، دط دت، ص 28.  
2. مرتاض، د، عبد الملك، فنون النشر الجزائري، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، دط 1983م، ص 55.  
3. دبو، محمد علي، أعلام الإصلاح في الجزائر، ج 4، دار البعث للطباعة والنشر، قسنطينة، ط 1980م، ص 33.

أيضا "الجزائر" 1925م "لمحمد السعيد الزاهري"، و"الدفاع" 1934م "للأمين العمودي"، وغيرها من الصحف التي كانت تهدف إلى اليقظة والنهوض، وهي وإن اختلفت باختلاف أسمائها وأقلام كتابها، فإنها اجتمعت في لهجة واحدة من حيث الحرارة والحماس<sup>(1)</sup>.

وقد ترسخ الإيمان بجدوى الصحافة في إيقاظ الشعور الوطني مع الثلاثينات، حيث عرفت الساحة الفكرية توالدا كبيرا للصحف مع ظهور جمعية العلماء المسلمين، فظهرت جريدة "السنة" 1933م، و"الصراط" 1933م، و"البصائر" 1935م، وارتقى فيها مطلب المصلحين من فكرة تشخيص الأوضاع المزرية التي يعيشها شعبهم إلى إيجاد الحلول الكفيلة للتخلص من الهيمنة الاستعمارية، وهي ضرورة تطلبتها التطورات الحاصلة والمتسارعة على الساحة.

وساعدت الصحافة في الوقت نفسه، على ظهور نخبة من المصلحين اتجهوا نحو التأليف، فنشطت حركة التأليف على يد هؤلاء، ومن أبرز من ساهم في إثراء الساحة الثقافية نذكر "محمد السعيد الزاهري" الذي ألف كتابه "الإسلام في حاجة إلى دعاية وتبشير"، و"مبارك الميلي" الذي عرف بكتابه عن "رسالة الشرك ومظاهره"، و"البشير الإبراهيمي" الذي بذل جهدا يشهد له في تحرير "سجل مؤتمر جمعية العلماء المسلمين الجزائريين"، و"أحمد توفيق المدني" بكتابه عن "كتاب الجزائر"، وغيرهم ممن كانت لهم اليد الطولى في بعث النهضة ونشر الوعي.

و هكذا كان فضل الحركة الإصلاحية على المجتمع الجزائري، في مختلف المجالات و في ظل هذه الأوضاع ناضل "أبو اليقظان" بالكلمة من خلال صحافته طيلة اثني عشر سنة، فمن يكون، وما هي العوامل المؤثرة في فكره، وما هي أبرز معالم شخصيته؟.

<sup>1</sup> ناصر، د، محمد، الصحف العربية الجزائرية من 1847 إلى 1939م، ش، و، ن، ت، الجزائر، دطه 1980م، ص 16

## المبحث الثاني: حياة "أبي اليقظان" و آثاره

- التعريف "بأبي اليقظان" ونسبه : هو "حمدي إبراهيم بن عيسى\*"، ولد يوم 29 صفر 1306هـ الموافق للخامس من شهر نوفمبر 1888م، "بالقرارة" \*\* إحدى قرى "وادي ميزاب".

لقب نفسه "بأبي اليقظان"، نسبة إلى الإمام "الرستمي الخامس" "أبو اليقظان بن أفلح بن عبد الرحمان بن رستم"<sup>(1)</sup> لما امتاز به من عدل ودين و علم وشجاعة.

ينتهي نسبه إلى " عبد المؤمن بن علي"، أعظم ملوك الدولة الموحدية في "المغرب"، وهو من قبيلة " كرمية"، البربرية في ناحية "تلمسان"، وقد انتقل أجداد "أبي اليقظان" من "الساقية الحمراء" وهو ما يعرف الآن "بالصحراء الغربية"، كان فيها جمهور كبير من الإباضية\*\*\*، فاستقر أحد أجداده "بورجلان" \*\*\*\* - جنوب "الجزائر" - ومنها انتقل جده "بلقاسم" وهو جد عشيرة "البلات" إلى "القرارة"<sup>(2)</sup>.

والده هو "الحاج عيسى بن يحيى" تسمى باسم جده الثاني، وقد عرف بشدة تمسكه بالدين وورعه، وصرامته، كما كان عضوا عاملا في المجلس الديني المعروف "بالعزابة" \*\*\*\*\*<sup>(3)</sup>.

\* تنظر صورة لأبي اليقظان في ملحق الصور: منحق رقم (1).

\*\* القرارة إحدى قرى وادي ميزاب، تبعد عن انعطاف بـ90 كلم، في جهة الشمال الشرقي، تأسست في أواسط القرن الحادي عشر هجري عن: المدني، أحمد توفيق، كتاب الجزائر، ص 227.

<sup>1</sup> بوحجام، د، محمد ناصر، حياة الشيخ أبي اليقظان، مخ، 1978م، ص 5.

\*\*\* إحدى الفرق الإسلامية، أطلقها الأمويون على أصحاب عبد الله بن إياض، أما مؤسسها الحقيقي فهو الإمام جابر بن زيد، من أهم الأصول العقيدية للمذهب الإباضي: الولاء والبراء، لا منزلة بين منزلتين... عن تفاصيل هذه الفرقة والمذهب ينظر: معمر، علي يحيى، الإباضية بين الفرق الإسلامية، مكتبة وهبة، القاهرة، ط1، 1976م، أيضا، معمر، علي يحيى، الإباضية في موكب التاريخ، ج1، دار الكتاب العربي، القاهرة، ط1، 1964م.

\*\*\*\* ورجلان هو الاسم الأصلي لمدينة ورقلة وقد كانت محط رحال الإباضية عندما تشتت للنولة الرسمية في ق 10 عن: المدني، أحمد توفيق، كتاب الجزائر، ص 244.

<sup>2</sup> بوحجام، د، محمد ناصر، حياة الشيخ أبي اليقظان، ص 5.

\*\*\*\*\* العزابة: نظام اجتماعي مبني على مراعاة الدين والمحافظة عليه والقيام بمهمة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، أنظر: الطلاوي، إبراهيم محمد، ميزاب بلد كفاح، دار البعث، قسنطينة، الجزائر، 1970م، ص 39 وما بعدها، ينظر أيضا: ناصر، د، محمد، حلقة العزابة و دورها في بناء المجتمع المسجدي، جمعية التراث، القرارة، الجزائر، 1989م، ص 12.

<sup>3</sup> استنوسى، محمد الهادي، شعراء الجزائر في العصر الحديث، ج1، مكتبة العرب، تونس، ط1، 1926م، ص 110.

أما والدته فهي السيدة "عائشة" بنت "الحاج امحمد بن الحاج إبراهيم بوعروة"، من عشيرة أولاد "حمو بن ابراهيم" الكريمة المعروفة في "القرارة".

- مسيرته العلمية ونشاطاته الإصلاحية : نشأ "أبو اليقظان" في عائلة فقيرة كثيرا ما عانت شظف العيش، خاصة بعد وفاة الوالد، إذ لم يتجاوز عمر "أبي اليقظان" آنذاك السننتين، فتولت الوالدة تربيته وإخوته، وكان لها الأثر العميق في تكوينهم .

وعلى الرغم من ظروف المعيشة القاسية، والضائقة انمالية، والفقر الذي عاناه "أبو اليقظان"، فإن ذلك لم يقعه يوما عن طلب العلم وتحصيله، وتلك سنة الله في العظماء " أن لا يدعمهم منذ الطفولة إلا يتامى وفي الأكثر معدمين أيضا ليألفوا المعارك، ويتدربوا في ميدانها على منازل الأهوال منذ الصغر ( ) وليتعودوا الاعتماد على النفس (1).

ونتيجة هذه الظروف، التحق " أبو اليقظان" بالكتاب في سن متأخرة، إذ كان عمره آنذاك ثماني سنوات، أين تمكن أن يتقن الكتابة والقراءة ويحفظ سورا من القرآن الكريم على يد "الحاج إبراهيم بوسحابة"، واستطاع أن يستظهر القرآن كله على الإمام "الشيخ إبراهيم بن كاسي" سنة 1905م، لينتقل بعدها إلى معهد "الحاج عمر بن يحيى" فأخذ \* عنه مبادئ التوحيد والفقهاء والأخلاق (2).

وكان معهد "الحاج عمر بن يحيى" يتميز بالنظام والنشاط الدائبين مما شجع "أبا اليقظان" على التحصيل العلمي وحبب إليه طلب العلم منذ الصغر، يقول "أبو اليقظان" مؤكدا أثر معهد شيخه في توسيع مداركه "

1. السنوسي، محمد الهادي، شعراء الجزائر في العصر الحديث، ج 1، ص 110.  
\* كما تتلمذ على يد : الحاج علي بن حمو، الحاج إبراهيم بن صالح، ملاي صالح بن كاسي، أنظر : فرص، أحمد محمد، الشيخ أبو اليقظان إبراهيم كما عرفته، دار البعث، قسنطينة، الجزائر، طبعة 1930-31.  
2. أنظر: أبو اليقظان، موجز حياة الحاج إبراهيم أبي اليقظان، مخ، ص 1، والسنوسي، محمد الهادي، شعراء الجزائر في العصر الحديث، ج 1، ص 110-111.

فتطورت تطورا كبيرا، فازداد نشاطي في حفظ القرآن، وشدة حبي للعلم وتفاعلت خيرا، وأيقنت ببلوغ غايتي في العلم مانمت في هذا المعهد الذي يمتاز بالنشاط والنظام والتربية، والجو العلمي والديني الرفيع، ومادام شيخني هو "الحاج عمر بن يحيى" المربي<sup>(1)</sup>.

وقد وجد فيه "الحاج عمر بن يحيى" رغبة ملحة لطلب العلم فقربه منه وأحاطه بالرعاية والاهتمام، وقد تمكن "أبو اليقظان" من خلال تواجده مع شيخه من حفظ مجموعة من المتون منها: متن الأجرومية وشرحها "لابن داود"، و متن عقيدة العزابية وشرحها، و متن الدرر اللوامع، و متن الأربعين النووية وغيرها من المتون<sup>(2)</sup>.

ولأن الظروف المادية كانت دائما عائقا أمام مواصلة الدراسة بانتظام فقد اضطر "أبو اليقظان" إلى السفر إلى مدينة "باتنة" للعمل بها لإكمال نصف دينه، غير أن رغبته الجامحة لطلب العلم، مكنته من العودة لمواصلة دروسه، حيث انتقل سنة 1907م، مع ثلة من رفقاته في بعثة أرسلها "الحاج عمر بن يحيى" إلى "بني يسجن"<sup>\*</sup>، لتلقي\*\* العلم على يد الشيخ "اطفيش"، وقد سمحت له هذه الفرصة التي قضاها هناك أن يتطلع إلى ما هو أبعد، فتاقت نفسه إلى السفر خارجا طلبا للعلم و توسيع مداركه .

وكان سفره سنة 1909م إلى البيت الحرام فرصة سانحة، تمكن خلالها من تلقي بعض الدروس في التفسير والفقہ وأصول الدين عن مشايخ الحرم النبوي، كما عرج في رحلته إلى الحرم النبوي على "طرابلس"

<sup>1</sup> . دبوز ، محمد علي، أعلام الإصلاح في الجزائر، ج1، مطبعة البعث، قسنطينة، الجزائر، ط1، 1974م، ص265 .

<sup>2</sup> . فرصوس، أحمد محمد، الشيخ أبو اليقظان إبراهيم كما عرفته، ص 18، وسيف الإسلام، الزبير، « آخر حديث لعميد الصحفيين المرحوم أبي اليقظان »، مجلة الأصالة ، ع14-15 ، السنة الثالثة، جوان- جويلية- أوت، 1973م، ص 282، وسيف الإسلام الزبير، تاريخ الصحافة في الجزائر، ج6، م، و، لك، للجزائر، ط2، 1985م، ص149، ودبوز، محمد علي ، أعلام الإصلاح في الجزائر، ج1، ص280-281.

\* . بني يسجن: رئيسة المدن الميزابية، تبعد بـ 2 كلم عن غرداية، عن : المدني، أحمد توفيق، كتاب الجزائر، ص226-227.

\*\* . كما تتلمذ أيضا: علي يد الحاج إسماعيل زرقون ، عبد الرحمان بن عمر الفرضي، وغيرهم .....، أنظر: فرصوس، أحمد محمد، الشيخ أبو اليقظان إبراهيم كما عرفته، ص 31.

و"مصر" و"دمشق" و"بيروت" و"أزمير"<sup>(1)</sup> فكان لهذه الجولات آثارا كبيرة في تنمية خبراته.

وقد حاول "أبو اليقظان" أثناء تواجده بمصر أن يلتحق بالأزهر الشريف\* لولا أن الضائقة المالية حالت دون ذلك، فقفل عائدا إلى "بني يسجن" أين واصل تعليمه لدى "الشيخ محمد اطفيش"، إلى غاية 1911م، حيث عاود الرجوع إلى مسقط رأسه "القرارة".

ولما كانت سنة 1912م، سافر إلى "تونس" لمداواة بصره أولا، ومزاولة دروسه ثانيا، فالتحق بجامعة "الزيتونة"، وتلقى العلم عن مجموعة كبيرة من علمائها كان أشهرهم "محمد الطاهر بن عاشور"، ثم التحق بعدها إلى معهد "الخلدونية" \*\* ونهل من مختلف العلوم كالرياضيات، والجغرافيا، والتاريخ، والفرنسية<sup>(2)</sup> واستمرت مسيرته في طلب العلم في "تونس" إلى غاية 1921م.

وأما عن نشاطاته الإصلاحية، فقد صادف أن أغلقت "فرنسا" الاستعمارية المدرسة الصديقية \*\*\* الكائنة "بتبسة"، والتي أسسها "عباس بن حمادة"، مما أدى إلى تشتيت تلاميذها، ففكر أولياؤهم، أن يبعثوا بهم إلى "تونس" في شكل بعثة علمية، واقتضت نظرة هؤلاء أن يوكلوا بالمهمة إلى "أبي اليقظان"، فتوجه بهم إلى هناك، حتى إذا ما قامت الحرب العالمية الأولى، اضطر إلى العودة بهم إلى "القرارة" عام 1915م. وفي سنة 1916م فتح لأبناء بلده مدرسة قرآنية على النمط الحديث، وسار بها شوطا، لولا الظروف القاسية التي اضطرتته إلى غلقها

<sup>1</sup> بسيف الإسلام، الزبير، «آخر حديث لعميد الصحفيين المرحوم أبي اليقظان»، مجلة الأصالة، ع14-15، ص283.  
\* عن رحلته إلى مصر أنظر: ديبوز، محمد علي، أعلام الإصلاح في الجزائر، ج2، مطبعة البعث، قسنطينة، الجزائر، 1976م، ص248 وما بعدها.

\*\* كما تتلمذ أيضا على: الصادق النيفر، الطاهر بن صالح، هذا في الخلدونية أما في الزيتونة فمنهم محمد النخلي، الشيخ أبو الحسن النجار وغيرهم، أنظر فرصوص، أحمد محمد، الشيخ أبو اليقظان كما عرفته، ص32-33.  
<sup>2</sup> نفس المرجع والصفحة.

\*\*\* المدرسة الصديقية، أنشأها عباس بن حمادة، بتبسة، سنة 1913م، كانت تقوم على تعليم التلاميذ مختلف المعارف، واعتمدت في طرق تدريسها على مناهج عصرية، أنظر في ذلك: ديبوز، محمد علي، نهضة الجزائر وثورتها المباركة، ج2، المطبعة العربية، الجزائر، ط1، 1971م، ص264 وما بعدها، وناصر، د، محمد صالح، «القيم الإسلامية في نظام التعليم بوادي ميزاب»، مجلة الحياة، ع1، جاني 1998م، القرارة، غرداية، ص73.

في نفس السنة، كما قام أيضا أثناء تواجده "بالقرارة" بإنشاء ناد أدبي لتدريب التلاميذ على الخطابة والإنشاد.

وفي السنة ذاتها، وبطلب من طائفة من التلاميذ، عاود "أبو اليقظان" الرحلة إلى "تونس" رفقة هؤلاء في بعثة علمية أخرى، واستطاع بذلك مع أمثال "أبي إسحاق أطفيش"، و"الثميني"، و"بيوض إبراهيم" أن يعيدوا شعلة الحياة لفئة الشباب التي حاول الاستعمار إخمادها وصمدوا في وجه القمع ومخططات التيارات المعارضة من الجامدين (1).

وفي مدة إقامته "بتونس" تعرف "أبو اليقظان" على الأستاذ "عبد العزيز الثعالبي"، ومكنه احتكاكه الطويل به أن ينخرط كعضو إداري في اللجنة الأدبية، للحزب الدستوري التونسي\*، فكان لذلك أثر كبير في حياة "أبي اليقظان"، وبقي مستقرا هناك في "تونس" إلى غاية 1926م.

وفي نفس السنة عاد "أبو اليقظان" إلى "الجزائر"، وقرر إنشاء صحافة عربية إصلاحية، تدافع عن حقوق الشعب، وتثير بصيرته، وكانت ثمرة هذا النشاط ثماني جرائد هي: "وادي ميزاب"، "ميزاب"، "المغرب"، "النور"، "البستان"، "النبراس"، "الأمة"، وأخيرا "الفرقان".

وعندما تأسست جمعية العلماء المسلمين الجزائريين سنة 1931م انضم إليها وكان على رأس أمانة مالها حتى خرج منها سنة 1936م\*\*، وفي نفس السنة انضم إلى حلقة "العزابة" "بالقرارة"، واستمر كذلك في نشاطه الإصلاحي إلى أن أصيب بالشلل النصفى سنة 1957م، أين ولى وجهة قلمه إلى التأليف.

1. ناصر، د، محمد صالح، « أقيم الإسلامية في نظام التعليم بوادي ميزاب »، مجلة الحياة، ع، ص 74.  
\* الحزب الدستوري: تأسس الحزب الحر الدستوري التونسي سنة 1919م، بزعامة عبد العزيز الثعالبي، من الأهداف التي رسمها برنامجه: تخلص البلاد التونسية من نير الاستعباد، ورفع الشعب إلى مستوى الشعوب الحرة، وقد انخرط فيه مجموعة لا بأس بها من الجزائريين، على رأسهم الشيخ صالح بن يحيى، الذي شارك في تمويل الحزب الدستوري، وقد أجريت حول هذا الحزب دراسات أكاديمية جادة، انظر: مناصرية، يوسف، الحزب الحر الدستوري التونسي (1919 - 1934م)، رسالة مخطوطة لنيل شهادة الماجستير بجامعة الجزائر، معهد التاريخ، إشراف، د، أبو القاسم سعد الله، 1986م.

\*\* يشير بو الصفصاف عبد الكريم بأن أبا اليقظان قد تخلى عن عضويته من اللجنة المركزية للعلماء بقصد التهرب من شكوك الإدارة الفرنسية، أما بوجام محمد ناصر فيذكر بأن أبا اليقظان بقي عضوا في جمعية العلماء ولم يخرج منها كلية. مقابلة شخصية مع بوجام محمد ناصر، القرارة، 12/7/1998م، وانظر بو الصفصاف، د، عبد الكريم، جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ودورها في تطور الحركة الوطنية الجزائرية، ص 214.

- وفاته وآثاره: عن عمر يناهز 85 سنة، انتقل "أبو اليقظان"، إلى رحمة الله بعد مسيرة طويلة خاض خلالها معارك قلمية حادة ضد الاستعمار وأذنباته، وكان ذلك يوم الجمعة 25 صفر 1393هـ الموافق لـ30 مارس 1973م\*

وقد ترك "أبو اليقظان" بعد وفاته إلى جانب صحفه الثمانية، إنتاجا كبيرا بين الكتب والرسائل، بلغت أفكاره إلى الجماهير، وهذه الآثار بعضها مطبوع وبعضها الآخر مازال مخطوطا.

- سليمان الباروني باشا: من جزأين، صدر عن المطبعة العربية عام 1956م، ويضم تاريخا مفصلا عن حياة "سليمان الباروني باشا"، ويتكون الجزء الأول منه من 253 صفحة، والثاني من 245 صفحة، ويعتبر من أهم كتب التاريخ التي تتعلق بجهد "اليقظان" ضد الاستعمار الإيطالي.

- ملحق سير "الشمخي" من ق 10هـ إلى ق 14هـ: مخطوط من ثلاث حلقات، وهو عبارة عن ملحق لما كتبه "الشمخي" عن تاريخ أعلام الإباضية منذ نشأة الدولة الفاطمية إلى انقراض الدولة التركية.

- سلم الاستقامة: مؤلف في الفقه الإباضي، يتكون من ثلاثة أجزاء في فقه العبادات موجهة لأقسام المدارس الابتدائية، وأربعة أجزاء لأقسام المدارس الثانوية، الجزء الأول منها في فقه العبادات، والثلاثة الأخرى في فقه المعاملات، صدر عن المكتبة العربية "بالجزائر".

- الإباضية في شمال إفريقيا: مخطوط ويتضمن حديثا مفصلا عن نشأة الإباضية، وتاريخهم في شمال إفريقيا.

- عناصر الفتح من سورة الفتح: مخطوط من إحدى عشرة صفحة، أوضح فيه "أبو اليقظان" أسس النصر انطلاقا من تفسيره لسورة الفتح.

\* هناك من أرخ لوفاته بـ 31 مارس من هؤلاء خرفي صالح أنظر: خرفي، صالح، «أبو اليقظان في الخالدين»، مجلة الثمافتة، 14ع، السنة الثالثة، أفريل-ماي، 1973م، ص 10.

- أقمار من سورة القمر: رسالة صغيرة من عشر صفحات، وهي على شاكلة رسالة "عناصر الفتح من سورة الفتح"
- أشعة النور من سورة النور: مخطوطة، تعالج مسألة الحجاب والسفور، استنادا إلى سورة النور.
- أين الواقعيون: مخطوطة من عشر صفحات تبين أوجه الشبه بين الإنسان والنخلة.
- الإنسانية بين حزب الله وحزب الشيطان: مخطوطة، وهي فيما يظهر تتحدث عن فئة من الناس كانت دائما عرضة لإيذاء المتجبرين، وكيف أن الله ينجيها كلما نزل العذاب بالمتكبرين.
- إرشاد الحائرين: صدر لأول مرة سنة 1923م، عن مطبعة العرب "بتونس"، ألفه "أبو اليقظان" ردا على الحملة المغرضة التي أثارها خصوم الحركة الإصلاحية ضد البعثة العلمية الميزابية التي أوفدت إلى "تونس".
- تفسير القرآن الكريم: مخطوط، الجزء الأول من سورة الفاتحة إلى المرسلات.
- الكتاب المجيد: مخطوط شرح فيه "أبو اليقظان" ما خص به الله المؤمنين من البشرى، والكافرين من العذاب الأليم.
- صبر يوسف يتجلى في محنه وأطاف الله تكمن وراءها في أطوار حياته: مخطوطة صغيرة تعرض فيها "أبو اليقظان" للمحن التي واجهت يوسف عليه السلام وصبره عليها.
- أطوار التكوين والفناء في القرآن الكريم: مخطوط.
- فتح نوافذ القرآن: وقد سار في تأليفه على نفس نمط كتاب "مشاهد القيامة لسيد قطب"، وهو كتاب يتألف من أربع وعشرين نافذة، يستعرض من خلال كل نافذة آية قرآنية، ويتعرض لتفسيرها، صدرت عن دار الفتح سنة 1973م "ببيروت".

- أضواء على بعض أمثال القرآن: مخطوط، وهو عبارة عن رسالة، تشبه في عرضها "فتح نوافذ القرآن".
- الإسلام ونظام العشائر في "وادي ميزاب": مخطوط، تناول فيه "أبو اليقظان" شرحا مفصلا عن نظام العشيرة في "وادي ميزاب"، وخلص إلى أن نظام العشيرة لا يخرج عن التصور الإسلامي.
- نظام العزابة (متنا ونظما): مخطوط، يتحدث عن معنى العزابة، ووجه تسميتها وصلاحتها، .....
- هل للإباضية وجود في الزمن القديم وجود في وادي سوف: مخطوطة، وقد كتبها "أبو اليقظان"، إجابة على تساؤلات بعض من الأدباء في الإذاعة الوطنية، حول تواجد الإباضية في "وادي سوف" في الزمن القديم، وقد اعتمد في تأليفها على بعض المصادر مثل السير "للشماخي" وغيرها.
- دفع شبه الباطل عن الإباضية الوهبية المحقة: مخطوط، كتبه "أبو اليقظان"، بناء على تساؤلات مجلة "المصور المصرية"، عن حقيقة الخوارج، فجاءت هذه الرسالة تصحح بعض الأخطاء التي ألصقت بالإباضية.
- النظام الاجتماعي "بوادي ميزاب"، مخطوط، فيه تفصيل عن النظام الاجتماعي "بوادي ميزاب"، وهيئة "العزابة" وصلاحتها، وكذا نظام العشيرة.
- الرد على خوامس الشبكة: مخطوط، وسبب تأليفها ما كان من اشتداد الصراع بين السلطة الاستعمارية الفرنسية وسكان "وادي ميزاب" حول قضية التجنيد الإجباري "بوادي ميزاب"، فكان أن قامت الحكومة الفرنسية بتحرير جريدة "L' ECHO D' ALGER" بكتابة فصل كله تحريش بالمسلمين، فجاءت هذه المخطوطة ردا على ما جاء في هذه الجريدة.

- نظام هيئة أميسطوردان في "غرداية": مخطوطة تحدث فيها "أبو اليقظان" عن مفهوم هذه الهيئة، وصلاحياتها، ودورها في حماية المدينة من الأعداء.

- دليل السواحين "للقرارة": مخطوط.

- مجموع الشذرات الحكمية: مخطوطة من سبعة وأربعين صفحة.

- كلمتي في اللحية: مخطوطة من تسع صفحات.

- سبيل المؤمن البصير إلى الله: مطبوعة صدرت الطبعة الأولى عن

دار الدعوة "بليبيا"، سنة 1969م، وهي من 32 صفحة، تضمنت حديثاً عن

الوصية ومما لا بد للموصي أن يعرفه من الأحكام.

- إجابتي عن أسئلة الأخ "بكلي عبد الرحمان": مخطوطة من واحدة

وعشرين صفحة.

- كراس المؤسسات: مخطوط.

- خلاصة التاريخ الإسلامي "للجزائر": من ثلاثة أجزاء، مخطوطة.

- مجموعة المهمات علمية وتاريخية عن الإباضية: مخطوطة من أربع

وخمسين صفحة.

- أرجوزة "أبي اليقظان" للصبيان: مخطوطة (أرجوزة في الفقه).

- ديوان "أبي اليقظان": ويتضمن مجموعة قصائده التي كتبها في

مختلف المناسبات.

- الإسلام ونظام المساجد في "وادي ميزاب": مخطوطة.

- بيانات واضحة عن الطائفة الإباضية: مخطوط، تضمنت دفاعاً عن

الإباضية.

- طور جديد في "الجزائر"، و"وادي ميزاب": مخطوط.

- مشاهد الزيارة في "القرارة"، مخطوط عن معالم "القرارة".

- خطبتا العيدين: مخطوط.

- جماعة الملاكين بالعميد: مخطوط من تسعة وثلاثين صفحة وهي نظرة مستقبلية لما يمكن أن تكون عليه "العميد" -إحدى المناطق الواقعة "بالقرارة" - من عمران وفلاحة.

- مكامن الآلام الوجيعة "بوادي ميزاب": مخطوط من أربعة وثلاثين صفحة.

- "الجزائر" بين عهدين: الاستغلال والاستقلال: مخطوط.

- محاورات: مخطوط.

- عنوان الحضارة في تاريخ "القرارة": مخطوط.

- تاريخ صحف "أبي اليقظان": مخطوطة فيها تفصيل عن أسباب

دخول "أبي اليقظان" ميدان الصحافة، وشرحا مفصلا عن جرائده، تاريخ صدورها وأسباب تعطيلها....

- أهدافي العليا بالعمل في هذه الحياة : مخطوطة، سجل فيها "أبو

اليقظان" سيرته الذاتية، وأبرز خلالها مجهوداته وأهدافه الصحفية.

- نعيم المرأة الإباضية : مخطوطة.

- نشأتي: مخطوطة، وهي على شاکلة رسالة أهدافي العليا بالعمل في

هذه الحياة، أوضح فيها "أبو اليقظان" تاريخ حياته، ونشاطه الصحفي....

كما كتب "أبو اليقظان" مجموعة من التراجم حول بعض الأعلام

وهي :

- فذات النساء الإباضيات في "وادي ميزاب" في العهد الأخير:

مخطوط.

- أفاذا علماء الإباضية عبر العصور.

- "الشيخ محمد الثميني" كما أعرفه: مخطوط

- "بابا عمي الحاج أحمد" كما أعرفه . مخطوط

- ترجمة الإمام "عبد الله بن إياض المري التميمي": مخطوط  
- بيان حقيقة عن المطبعة العربية بالجزائر: صدرت باسم "عمر بن  
عيسى"، وهي حول قضية التجنيد الإجباري في "وادي ميزاب" في عهد  
الاستعمار الفرنسي.

أما المراسلات فهي مصنفة بين الوارد الجديد الذي ينتظر الرد  
والمستعجل منه والمردود عنه، ولإشارة فإن مراسلات "أبي اليقظان"  
متنوعة من داخل الوطن، وخارجه ومن هؤلاء الذين كان يرسلهم نذكر  
"شكيب أرسلان"، "فيصل الملوحي"، "عبد الحميد بن باديس"، وغيرهم.

### - العوامل المؤثرة في شخصية "أبي اليقظان"

لقد تضافرت مجموعة من العوامل لتصوغ شخصية "أبي اليقظان"،  
على ما عرف عنه من حب للعلم، وصلابة في المواقف، وشجاعة في قول  
الحق، ونرى أن أهم العوامل التي كونت الرجل تتمثل فيما يلي:

1. القرآن الكريم: لقد كان القرآن من أهم العوامل التي أثرت وساهمت  
في تكوين "أبي اليقظان"، إذ ما من شك أن القرآن كان ولا يزال المحور  
الذي شملت دعوة المصلحين إلى العودة إليه واستيعابه في أبعاده الربانية  
والواقعية والإنسانية، وكذلك كان القرآن الكريم بالنسبة "لأبي اليقظان"  
المنبع الذي كان يستوحي منه أفكاره الإصلاحية، ويستمد منه علاج الكثير  
من القضايا، وكثيرا ما وجدناه يستند إلى النصوص القرآنية التي تذكر  
الإنسان بربه، ولا غرابة إذا وجدنا معظم مؤلفاته تتمحور حول القرآن  
الكريم\* .

وقد أكسب القرآن في نفس "أبي اليقظان" الجرأة على مواجهة الأحداث  
بصلابة وصمود، ولنا أن نقف عند هذه الفقرة التي يؤكد فيها "أبو اليقظان"

\* من ذلك: - أبو اليقظان، أشعة النور من النور، مخ، 1967م.  
- أبو اليقظان، فتح نوافذ القرآن، دار الفتح للطباعة والنشر، بيروت، ط1، 1973م.  
- أبو اليقظان، سبيل المؤمن البصير إلى الله، منشورات دار الدعوة، نالوت، ليبيا، ط1، 1969م.  
- أبو اليقظان، أضواء على بعض أمثال القرآن، مخ.

أثر القرآن فيه وفي دفعه لمواجهة القوى المعادية، يقول: "إذا تذكرت كل ذلك تغلغل في أعصابي تغلغل دمي فيها، ووجدت في نفسي قوة عتيده لا أبالي بكل ما يحيط بي من القوة والأعتاد؛ كأنما أنا مدرع بدرع سيدنا داود - عليه السلام- فكنت أكتب فصولا في "وادي ميزاب" بعنوانين ضخمة إذا راجعتها الآن أتعجب مني كيف أجرؤ على ذلك، وأنا محاط بأغلال الاستعمار، وأنا أعزل من كل سلاح إلا من هذا السلاح (القرآن)"<sup>(1)</sup>.

2. الأسرة: للأسرة دور كبير لا يستهان به في تنشئة الطفل، فعنها يأخذ المبادئ الأولى للتربية، ولئن توفي والد "أبي اليقظان" وتركه وعمره لا يتجاوز السنتين، فإن الواندة قد تولت هذه المهمة الصعبة، وقامت بها على أكمل وجه، فقد غرست في أبنائها -ومنهم "أبا اليقظان"- وبكل الوسائل العلمية والنظرية التي يفهمونها، أخلاق الرجولة والحزم والصبر والإرادة الحديدية ( ) والغيرة على الدين والوطن<sup>(2)</sup>.

وكانت جدته عاملا آخر صاغ شخصيته وأثر فيها، فقد كانت تصطحبه إلى البساتين، وتعلمه تسلق النخيل وتأبيرها، والاحتطاب وغيرها من الأعمال، فحبيت إليه العمل والتفاني فيه، فكان على الجدل والشجاعة والإقدام<sup>(3)</sup>، ما مكنه أن يعطي "للجزائر" الخير العظيم .

3. أساتذته : إذا كانت الأسرة هي المدرسة الأولى التي أخذ عنها "أبو اليقظان" مبادئ التربية، فإن محيط الدراسة، وما تلقاه عن مدرسيه ممن تعرف عليهم داخل "الجزائر" وخارجها، شكل رافدا مهما في تكوينه، وقد أكد "محمد علي دبوز" على دور الأسرة في تهيئة "أبي اليقظان" لأن يؤثر فيه أساتذته بسهولة، فقد وجدوه مستعدا كل الاستعداد لما يمكن أن يزود به من أنواع الرشاد، فأقصى ما قاموا به هو أن أتموا ما بنته أمه وجدته وبيئته من خلقه العظيم<sup>(4)</sup>.

<sup>1</sup> أبو اليقظان، أهدافي العليا بالعمل في هذه الحياة، مخ. دون ترقيم.

<sup>2</sup> دبوز، محمد علي، أعلام الإصلاح في الجزائر، ج1، ص246.

<sup>3</sup> المرجع نفسه، ج1، ص249.

<sup>4</sup> المرجع نفسه، ج1، ص253.

ويذكر "أبو اليقظان" فضل من كان لهم اليد الطولى في تعليمه وإيصاله المقام الذي كان يصبو إليه إذ يقول: "سخر لي ربي رجالا صلحاء، أتقياء، الأول منهم: "الحاج علي بن حمو" من أعضاء حلقة "العزابة"، الثاني: السيد "الحاج إبراهيم بن صالح بوسحابة" ( ) والثالث: "السيد ملاي صالح بن كاسي" ( ) والرابع: "الحاج إبراهيم بن بابا بن عيسى" (1).

ولم يكن هؤلاء فقط ممن أثروا في تكوين "أبي اليقظان"، فهناك آخرون ساهموا بقسط وفير في تنقيفه وتوجيه فكره التوجيه الأمثل، ويذكرهم "أبو اليقظان" في موضع آخر بالقول: "إنني مدين "للثعالبي" في الكتابة و الجرائد المصرية "كاللواء المصري" " لأحمد وفيق" مثلا، وكمجلة "الفتح" "المحب الدين الخطيب" في الإنشاء، ولشيخي "اطفيش" في إيمان البحث والشغف بالمطالعة، ولنور القلب شيخي "الحاج عمر" في تصفية القلب، وللمجاهد الكبير "الباروني" في المقالات الخطيرة" (2).

-إذن- فالتقافة الدينية التي أخذها عن "اطفيش"، والإخلاص وحسن النية اللتين تشبع بهما عن الشيخ "عمر بن يحيى"، والدروس السياسية التي تعلمها من احتكاكه "بعبد العزيز الثعالبي" والمطالعة المتكررة للصحف كلها كانت روافد زادت من التأثير في "أبي اليقظان" وانعكست على شخصيته وفكره طوال مسيرته الإصلاحية.

**4. عامل الطبيعة:** لقد كان للطبيعة أثر بارز في تكوين "أبي اليقظان"، مما جعله ينشأ على نقاوة السريرة، وطهارة النفس، ومن الأماكن التي كان لها تأثير كبير في نفس "أبي اليقظان"، ما يعرف "بالبساتين"، فقد أرهف البستان وجدانه، وشاعريته، ولم يكن يجد نشاط فكره في الكتابة والنظم والقراءة العميقة، إلا في مثل هذه المواقع، فكان كثيرا ما يلجأ إليها

<sup>1</sup> أبو اليقظان، نشأته، مخ، دون ترقيم، وأبو اليقظان، أهدافي العليا بالعمل في هذه الحياة، دون ترقيم.  
<sup>2</sup> أبو اليقظان، نشأته، دون ترقيم، والجندي، أنور، الفكر والثقافة المعاصرة في شمال إفريقيا، اندار القومية للطباعة والنشر، القاهرة، دط 1955م، ص 214.

كلما هم به الأمر للكتابة، إنه على حد تعبيره كي: "أملأ بطارياتي بالأشعة الشمسية وأكحل عيني بجمال الغابة، وأملأ صدري بالهواء الطلق" (1).

5. الفقر وأثره في نفس "أبي اليقظان": لم يعرف "أبو اليقظان" طيلة مراحل حياته غير الفقر وشظف العيش، إذ كثيرا ما كان الفقر والاحتياج سببا في عرقلته عن التعلم، فقد دخل الكتاب في سن متأخرة، وكان الفقر أيضا من العراقيل التي منعتة من البقاء في "مصر" لمواصلة تعليمه، والحاجة أيضا كانت دافعا جعلته يسافر إلى "باتنة" للعمل بها لاستكمال نصف دينه، ومع كل ذلك فإنه لم يكن ليستسلم لنوائب الدهر، فقد بعثه الشعور بالضعف في الماديات على تقوية نفسه والاعتماد على عمله، فنشأ قوي الأخلاق طموح النفس، حديدي الإرادة، شجاع القلب مستعدا لمنازلة الأهوال، وطبعه اليتيم والفقر بقوة الوجدان، وشدة الشفقة بالناس، فضحى بحياته، وكل جهده لمنفعة سواده، وغرس فيه الفقر واليتيم التواضع للناس، ولين الجانب، ودمائة الخلق (2).

### - جوانب من شخصيته

لقد تنوعت جوانب العظمة في شخصية "أبي اليقظان"، مما يجعل محاولة الإحاطة بكل هذه الجوانب، أمرا في غاية الصعوبة، خاصة وأنه جمع بين حب العلم، والتفاني في خدمة الوطن (3)، وسنحاول الوقوف عند بعض من جوانب هذه الشخصية في العناصر التالية:

1. شغفه بالعلم: لقد ولد حب العلم لدى "أبي اليقظان" منذ نعومة أظفاره، ولم يكن هذا الميل في طلب العلم مجرد شعور ينتابه حينما يرى وفود الأطفال تتسابق إلى الكتاتيب القرآنية، وإنما رسخ لديه هذا الاعتقاد

1. فرصوص، أحمد محمد، الشيخ أبو اليقظان كما عرفته، ص58.

2. دبور، محمد علي، أعلام الإصلاح في الجزائر، ج1، ص248.

3. يؤكد على ذلك: حريزي، موسى بن إبراهيم، «أبو اليقظان العبقري والفكر الحضاري»، مجلة الحياة، ع2، ج1، ص5-6، 1999م، ص37-38، وناصر، د، محمد، أبو اليقظان وجهاد الكلمة، م، و، ك، الجزائر، ط2، 1983م، ص5-6، وناصر، د، محمد، «الشيخ أبو اليقظان ونضال الكلمة»، مجلة الثقافة، ع21، السنة الرابعة، جوان-جويلية، 1974م، ص54، وبوحجام، د، محمد ناصر، أبو اليقظان في الدوريات العربية، المطبعة العربية، غرداية، الجزائر، دط 1985م، ص187-188.

من " أن العلم شرف عظيم، وهو أكبر قوة في الوجود تعوضه ما فقد من عز الآباء وقوة المال"<sup>(1)</sup>.

وقد نما هذا الميل لطلب العلم، عندما كان يتطلع إلى الكتابات وهي تعج بطلبة العلم وتدارسها فيما بينها، فازداد يقينا بأن العلم هو أشرف شيء يجب أن يطلبه ويبالغ في حبه"<sup>(2)</sup>، ولشدة حبه لطلب العلم، فإنه كثيرا ما كان يجلس أمام كتاب "الحاج عمر بن يحيى" يتصنت إلى ما يلقي من الدروس وجبه للعلم هو الذي دفعه للسفر إلى "بني يسجن"، وشغفه به أيضا هو الذي دفعه ليقصد البيت الحرام للأخذ عن مشائخه، وكذلك كان طيلة مسيرته العلمية، يركب الصعاب لأجل تحصيل العلم وفنونه.

**2. القوة وشجاعة في قول الحق:** هي كذلك بالنسبة "لأبي اليقظان"، والمتتبع لمسيرته الصحفية، لا يجد عناء في الوقوف عند هذه الحقيقة، سواء في مواقفه من السلطة الحاكمة، أو مواجهاته مع خصوم الحركة الإصلاحية.

ويكفي لإدراك هذا المبدأ في شخص "أبي اليقظان"، أن نستقري ما كتبه في ذلك من مقالات، فهو حين يكتب لا يصطنع اللهجة، ولا يحسن المناورة، إذ لطالما كان مباشرا في خطابه، حارا في عباراته " فهب وطنيا صادقا لا يخيفه بطش مستعمر، ولا تثنيه خيانة جبان"<sup>(3)</sup>.

ويعترف له أحد المعاصرين بهذا المبدأ الراسخ في قوله: "اثنان من رجالات "الجزائر"، المحدثين، لم يقولوا كلمة واحدة في صالح فرنسا قط هما "أبو اليقظان" و"الشيخ الإبراهيمي"<sup>(4)</sup>، فقد كتب ثائرا على الاستعمار، منددا وفاضحا مخططات المبشرين، داعيا إلى إنشاء بنك مصرفي لكسر احتكار اليهود، ما يؤكد استماتته وقوته في مواجهة الصعاب.

<sup>1</sup> ديور، محمد علي، أعلام الإصلاح في الجزائر، ج1، ص256.

<sup>2</sup> نفس المرجع و الصفحة والجزء.

<sup>3</sup> ناصر، د، محمد، « أبو اليقظان والقضايا الإسلامية والعربية »، مجلة الثقافة، ع22، السنة الرابعة، أوت- سبتمبر، 1974م، ص66، ويوحجام، د، محمد ناصر، أبو اليقظان في الدوريات العربية، ص174.

<sup>4</sup> ناصر، د، محمد، « الشيخ أبو اليقظان هكذا عرفته »، مجلة المواقف، ع5، السنة الخامسة، جوان 1996م، ص292.

وقد كتب "عبد الحميد بن باديس" مؤكدا هذه الصفة في شخصية "أبي اليقظان" فقال: "فهو إذا حاور وساجل فهو الذي يجعل قلبه ولسانه في صف واحد"<sup>(1)</sup>، ونجد "أحمد توفيق المدني" يؤكد مثل ذلك بالقول: "وقد أظهرت الأيام من بعد أنه مقارع مجاهد، ومقاوم ومعاند، صرع الاستعمار ولم يصرعه الاستعمار، ضرب بسهم في الجهاد الصحفي والفكري ما لم يبلغه في الجزائر أحد شأوه"<sup>(2)</sup>.

وظل "أبو اليقظان" كذلك ثابتا على مبادئه، غير مبال بمن يعترض أو يثور عليه.  
2. زهده وورعه: وهي سمة بارزة في شخص "أبي اليقظان"، يشهد له بذلك تلميذه "أحمد محمد فرصوص"، في قوله: "فكم من عالم عاشت وكم من زاهد عرفت، وآخرين عنهم قرأت غير أنني لم أجد فيهم مثل ورع "أبي اليقظان"<sup>(3)</sup>.

وكذلك كان "أبو اليقظان" حريصا على الالتزام بكل ما يسمو به عن المذات والدنيا، تجلى ذلك في سلوكه وأقواله، ويكفي أن نسوق ما ذكره "أحمد محمد فرصوص" من أنه كان ذات مرة وهو مع "أبي اليقظان" في جنان "القرارة" يقوم على شؤونه، وبينها هما كذلك، فإذا به يقف عند شجرة ليمون كانت ملكا "لأبي اليقظان"، فذكره "محمد فرصوص" من أنه قد أخذ حبات ليمون من حوالي شهرين، فما كان من "أبي اليقظان" إلا أن أخبره أن الشجرة لم تعد ملكا له، وعليه أن يرد لأصحابها من ماله الخاص ما أخذ ويحتاط<sup>(4)</sup>.

ونحسب أن ما كتبه "محمد ناصر" واصفا بيته المتواضع ما يدل على مثل هذه الحقيقة من صفة الورع والعفة، يقول: "كان المنزل صورة ناطقة

<sup>1</sup> ابن باديس، عبد الحميد، «ثمر العقول أو المطابع - ديوان أبي اليقظان»، الشهاب، ج 10، مج 7، أكتوبر 1931م، ص 606.

<sup>2</sup> المدني، أحمد توفيق، حياة كفاح، ج 1، ش، و، ن، ت، الجزائر، 1976م، ص 157.

<sup>3</sup> فرصوص، أحمد محمد، الشيخ أبو اليقظان إبراهيم كما عرفته، ص 76.

<sup>4</sup> المرجع نفسه، ص 77-78.

نفس الشيخ "أبي اليقظان" المعروفة بالبساطة والقناعة والرضى بما قدر الله ورزق، فقد كان يعيش طوال عمره، عيشة الكفاف والعفاف، لا ترى في بيته مظهرا من مظاهر الترف والثراء، ولا ترى في سلوكه أو سيرته ما يوحي بالتعالي والكبر<sup>(1)</sup>.

وهكذا ظل "أبو اليقظان"، لم يتغير رغم الظروف التي عاشها والضائقة المالية التي لحقته، شديد التحري في مأكله ومشربه، لا يقبل شيئا مما يهدى إليه إلا إذا تأكد من حليته، ما جعله يترفع عن كل ما يندس النفس.

3. الصبر على الشدائد والنكبات: نكاد نجزم أن هذه الصفة كانت من أبرز ما تجلى في شخصية "أبي اليقظان"، فلقد كان الصمود وعدم الاستسلام أحد المعالم الكبرى التي رافقت "أبا اليقظان" طيلة حياته، مستحضرا في ذلك قوله تعالى: ﴿لَتَبْلُوَنَّ فِي أَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ، وَلَتَسْمَعَنَّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ، وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا أَدَى كَثِيرًا وَأَنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾<sup>(2)</sup>.

وكانت بذلك هذه الصفة أحد الركائز الهامة التي أهلتها للقيام بالمهام الصعبة، ومن معالم هذه الصفة، أنه تعرض لدسياسة من بعض اللنام وهو في "تونس" سنة 1920م، إذ حاول هؤلاء حرق مقر البعثة التي كان يرأسها "أبو اليقظان"، وكاد الحريق يودي بكل من فيه، ومع ذلك فقد واصل "أبو اليقظان" المسيرة التي سطرته الحركة الإصلاحية "بوادي ميزاب"، كما أنه فقد ثلاثة عشر من أولاده وكان أعزهم ابنه "عيسى" القائم على شؤونه.

على أن أبرز الشواهد التي أبرزت صبره وتجلده، تلك الحادثة التي ذهبت بحياة ابنه "أحمد" الذي كان يزاوّل دروسه في "تونس"، وكانت عائلته آنذاك تقوم بالإستعداد الأخير لعرضه غير أنه وفي يوم القران بلغ

<sup>1</sup> ناصر، د، محمد، « الشيخ أبو اليقظان هكذا عرفته »، مجلة الموافقات، ع5، ص293.

<sup>2</sup> آل عمران، 186.

"أبا اليقظان" نبأ نعي ابنه، ولم يكن ليستقبل هذا الخبر إلا عن رضى بقضاء الله، إذ نراه يرد على أحد ممن كان حاضرا في المسجد وهو يلقي دروسه "وهل لي في المصائب غير الصبر والاستسلام لقضاء الله" (1). وتعرض "أبو اليقظان" أيضا لنكبات أخرى، منها إصابته بالشلل النصفى عام 1957م، مما أقعده الفراش، غير أن هذه الإعاقة لم تثنه عن مواصلة مسيرته الإصلاحية، فقد تفرغ للتأليف وأنجز ما لم يستطع تحقيقه قبل ذلك، وقد رد على سؤال أحدهم بقوله: "وكيف أجزع وأنا أحتسب المصيبة عند ربي، ولو كنت من قبل اليوم لما وجدتي حتى تشد ضالتك" (2).

على أن أكبر النكبات التي تعرض لها "أبو اليقظان" تلك التي لحقت جرائده بالمصادرات، دون مبررات قانونية، ورغم دواعي الاستفزاز، فقد واجه ذلك بالصبر والثبات، باعتبارهما من مستلزمات تحقيق المهمة، واعتبارهما سنة سائرة في كل مسيرة إصلاحية.

<sup>1</sup> فرص، أحمد محمد، الشيخ أبو اليقظان إبراهيم كما عرفته، ص 67.

<sup>2</sup> المرجع نفسه، ص 63.

## المبحث الثالث : مفهوم الإصلاح عند "أبي اليقظان" ووسائله:

تمهيد:

تعرضت الأمة الإسلامية خلال مسيرتها لأشد أنواع التحدي وأقوى ضروب القهر، وكان من نتائج ذلك أن فقدت توازنها وعجزت عن مواصلة سيرها في طريق التقدم والرقى، مما أفضى بها إلى الدخول في حقبة الهيمنة الاستعمارية، وقد رأى المستعمرون أن يعمقوا الهوة بين المسلمين وبين مصادر الإسلام الأصلية، فعملوا على تغيير نظم التعليم وبدلوا مناهجه وبرامجه الدراسية، وسخروا الإعلام لإحداث عملية تغيير شاملة في المجالين الفكري والثقافي.

على أن محاولات النهوض وإعادة الأمة إلى مسرح القيادة، كانت مستمرة للتخلص من الاستعمار وآثاره، فظهرت تحركات عديدة من طرف رجال الإصلاح، أمثال "محمد بن عبد الوهاب" (ت1792م)، و"الأفغاني" (ت1897م)، و"محمد عبده" (ت1905م).

وفي "الجزائر" التي وقعت فريسة الاستعمار الفرنسي، كانت الضرورة تستلزم العمل أيضا للتخلص من الاستعمار، وإصلاح ما هدم في جميع المستويات، وقد برزت معالم ذلك في تحرك العديد من رجال الإصلاح "كعبد الحميد بن باديس"، و"البشير الإبراهيمي"، و"مبارك الملي"، و"إبراهيم بيوض"، و"أبو اليقظان" وغيرهم، فكيف فهم هذا الأخير الإصلاح، وما هي الوسائل التي كان يراها ناجعة لبعث المجتمع والرقى به؟

## أولاً: مفهوم الإصلاح عند "أبي اليقظان":

**تعريف الإصلاح:** لغة: كلمة الإصلاح في اللغة مشتقة من الفعل

أصلح، صلح، وصلح وتدل على تغيير حالة الفساد عن الشيء (1).

وجاء في القاموس المحيط: أن الصلاح من صلح كمنع، وكرم، وهو

صلح بالكسر، وصالح وصلاح، وأصلحه ضد أفسده وإليه أحسن، والصلح

بالضم: السلم (2).

أما لسان العرب (3)، فقد وردت كلمة الإصلاح فيه بمعنى: نقيض

الإفساد: وأصلح الشيء بعد فساده: أقامه. وإذا ما نحن تصفحنا هذه

التعاريف اللغوية، فإننا نجدتها تجتمع كلها في أن الصلاح ضد الفساد.

**اصطلاحاً:** فهي عملية تهدف في أساسها إخراج الأمة من واقع

التخلف والجمود، والتبعية، والهيمنة الاستعمارية، إلى حالة من الرقي

الاجتماعي والسياسي، والثقافي، والاستفادة من تطورات العصر، في إطار

المرجعية الفكرية للأمة.

وقد جاءت كلمة "الإصلاح" في القرآن الكريم في مواضع متعددة

ومعان مختلفة، حددتها طبيعة الموقف والموضوع.

فقد وردت مرة في مجال إصلاح ذات البين بمعنى النصيح، كقوله

تعالى: ﴿ وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فَاصْلِحُوا بَيْنَهُمَا، فَإِنْ بَعَثَ

إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ فَإِنْ فَاءَتْ

فَاصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴾ (4) أي فأصلحوا

بين تينك الطائفتين بالنصح و الدعاء إلى حكم الله (5).

1. معلوف، لونيس، المنجد في اللغة والأدب، المطبعة الكاثوليكية، بيروت، دط، 1927م، ص445.

2. الفيروز آبادي، مجد الدين محمد بن يعقوب، القاموس المحيط، ج1، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت، دط، 1983 م، ص235.

3. ابن منظور، لسان العرب، ج4، دار المعارف، القاهرة، دط، ص2479.

4. الحجرات، 9.

5. البرسوي، إسماعيل حقي، تفسير روح البيان، مج9، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ط7، دت، ص

وفي إطار العلاقة الأسرية بين الزوجين كما في قوله تعالى: ﴿وَأِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَابْعَثُوا حَكَمًا مِنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا مِنْ أَهْلِهَا إِنْ يُرِيدَا إِصْلَاحًا يُوَفِّقِ اللَّهُ بَيْنَهُمَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا خَبِيرًا﴾<sup>(1)</sup>، بمعنى أنه متى حدث شقاق بين الزوجين وفساد "و جب على المؤمنين المتكافلين في مصالحهم و منافعهم أن يبعثوا حكما من أهله و حكما من أهلها عارفين بأحواله وأحوالها، و يجب على هذين الحكمين أن يوجها إرادتهما إلى إصلاح ذات البين، و متى صدقت الإرادة كان التوفيق الإلهي رفيقها" <sup>(2)</sup>.

وهي تعني في المجال الاجتماعي نشر الخير كما في قوله تعالى:

﴿..إِنْ أَرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾<sup>(3)</sup>.

و لنن كان مصطلح "الإصلاح" الأكثر استعمالا في كتابات المصلحين، فإن هناك تسميات عديدة، لا تخرج عن هذا المفهوم، كالتنهضة والبعث، والإحياء والتغيير، وكلها في اعتقادنا ترجع إلى أصل التسمية "التجديد" التي وردت في الحديث الشريف  $\text{ﷺ}$  إن الله يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة من يجدد لها دينها  $\text{ﷺ}$ <sup>(4)</sup>.

مفهوم الإصلاح عند "أبي اليقظان": إذا أردنا أن نقف على مفهوم الإصلاح عند "أبي اليقظان"، فإننا نجده ينطبق تماما على المعنى الاصطلاحي الذي ذكرناه سابقا، فالحالة المأسوية التي تعيشها "الجزائر" من صور التخلف والجمود كانت تستدعي في نظره جهودا كبيرة في سبيل تغيير الأوضاع إلى الأحسن، يقول "أبو اليقظان" عن مفهومه الإصلاحية: «يجب أن نغير من أساليب الحياة، وأن نتخذ من الأوضاع الجديدة المادية،

1. النساء، 35.

2. ابن عاشور، محمد الطاهر، تفسير المنار، ج 5، دار المعرفة، بيروت، لبنان، د ط، 1973م، ص 77.

3. هود، 88.

4. أخرجه أبو داود، كتاب الملاحم، باب ما ينكر في قرن المائة عن أبي هريرة، أنظر: سنن أبي داود، ج 2، مطبعة مصطفى الباني وأولاده، مصر، ط 1، 1952م، ص 224.

والمعنوية ما يتفق وديننا، وأدبنا كي نحفظ مركزنا في الوجود، ونتقي عوادي الدهر بها» (1).

إن الفكر اليقظاني، يؤمن إيماناً كبيراً، بضرورة الاستفادة من المكتسب البشري، قدر الإمكان، للدفع بالمجتمع إلى حالة الإنعتاق والرقى، وهي نظرة تؤكد قناعاته بضرورة الانفتاح على ثقافات الغير، والأخذ بما لا يتعارض مع معطيات الأمة، وهو بهذا يقف موقف الوسط، بين فكرة أولئك الذين يدعون إلى أخذ المعطى الغربي بكل إيجابياته وسلبياته، وبين أولئك الذين يتسترون باسم الإسلام، ويتخذون من كتب السلف حجة يقف عندها العقل مشلول التفكير، ويرى البقاء على ما تركه سلفهم أصل التقدم.

وقد أثار مثل هذا المفهوم للإصلاح حفيظة خصوم الحركة الإصلاحية في "الجزائر"، فبينما وجد رواد الإصلاح في الشمال مقاومة حادة من طرف أصحاب الطرق والزوايا فإن المصلحين في الجنوب قد دخلوا في صراع شديد (2) مع كتلة المحافظين أو ممن يطلق عليهم فئة الجامدين.

ذلك أن الصراع كان أساسه منطلق من فئة تؤمن بالتطور وضرورة مجاراة التقدم الحاصل، وإعطاء العقل مكانته من التفكير والإبداع ومن عملية التغيير والإصلاح، وفئة أخرى ترى أن سبب التخلف الذي يعيشه المجتمع هو هذا التقبل للمدنية الزائفة، وابتعاد الأمة عن إرثها، ومن ثم فإن البقاء على هذا الوضع هو الأسلم.

1. أبو اليقظان، «وظيفة العقل في الإنسان»، وادي ميزاب، ع118، (1-25-1929م).  
2. عن تفاصيل هذا الصراع أنظر كتاب: بيوز، محمد علي، أعلام الإصلاح في الجزائر، ج4.

## ثانياً: وسائل الإصلاح عند "أبي اليقظان":

مما لا شك فيه أن أي فعل إصلاحي، يقتضي ضرورة استخدام مجموعة من الوسائل كضمان لتحقيق أهداف العمل الإصلاحي، ذلك أن هذه الوسائل في الحقيقة ما هي إلا قنوات يتصل بها ومن خلالها المصلح بمختلف شرائح المجتمع، والتي تعد الطرق المثلى لتمكين الفعل الإصلاحي في الواقع.

وكلما كان اختيار الوسيلة مواكبا لروح العصر، وتطوراته، مراعيًا لظروف المجتمع ومعطيته، كان ذلك أنجع لتحقيق الأهداف المسطرة، كما أن حرمان عملية الإصلاح من هذا السند قد يؤدي حتماً بالفعل الإصلاحي إلى عواقب وخيمة من هدر الإمكانيات وتضييع الوقت، ومن هنا تبرز أهمية الوسيلة في أي عمل إصلاحي وتوجيهه.

وقد أدرك "أبو اليقظان" على شاكلة غيره من المصلحين، أهمية استخدام الوسائل، واجتهد في محاولة منه لإيجاد الوسائل الضرورية لبناء المجتمع الأفضل، وقد تمكنا من الوقوف على أهم الوسائل التي كان يراها كفيلة لتحقيق الإصلاح المنشود:

### 1. المدرسة:

يؤمن "أبو اليقظان" إيماناً كبيراً بدور المدرسة، في توعية الفرد وحمایته من الغزو الفكري المتدفق عبر مدارس الحكومة الفرنسية، وتمكينه من المشاركة في قيادة الشعب مستقبلاً، فهي الوسيلة المثلى لتحقيق مثل هذه الأهداف، لأنها هي « التي تمزق غشاء النوم وتحل معاهد أجفانها وتبهبها إلى واجبها نحو الحياة »<sup>(1)</sup>.

"فأبو اليقظان" - إذن - يؤمن على شاكلة غيره من المصلحين بأن تقدم الأمم وتطورها مرهون إلى حد بعيد باهتمامها بإنشاء المدارس ونشر

1. أبو اليقظان، « شعور الأمة نائم فماذا ينبهه؟ »، وادي ميزاب، ع42، (1927-7-29م).

انعلم بين أبنائها، وأي محاولة للنهوض بالأمة لا يمكن أن تتم إلا في ظل هذه الشروط الموضوعية، وقد كتب موضحا قناعته بما يمكن أن يثمره انعلم في هذا المجال بالقول: « كانت أمتنا الكريمة كغيرها من الأمم في سالف الأزمان في انزواء وبساطة، حيث كانت رغائبها قليلة ومطالبها ضئيلة، وكان يكفيها من العلم ما يلائم حالتها الدينية والقومية، لما تدفق انعلم بمواهبه المادية والأدبية وربط الشعوب و الأمم بعضها ببعض أخذت تتحل من عقالتها شيئا فشيئا جريا مع التطور الاجتماعي، وطفقت تنتشر في انبلاد بدافع الكشف و ضرورة الاسترزاق ( ) ولكن لم يتسن لها الدخول في هذا المعترك الحيوي بغير سلاح العلم و العرفان " (1).

فالمدرسة - في نظر- " أبي اليقظان " هي القناة الأولى التي يتم بها رقي الأمة، و مجاراتها لغيرها من الأمم، و بدون ذلك لا يمكن أن تعرف للنهوض سبيلا .

و"أبو اليقظان" من الذين يجمعون بين القول والعمل، فقناعته بجدوى المدرسة في تنوير العقول وإعداد الفرد، وإصلاح المجتمع، وجدت منه واقعها العملي، حين قام بتأسيس أول مدرسة نظامية حرة "بالقرارة" سنة 1915م، واعتمد فيها مناهج وطرق التدريس الحديثة، وسار بها شوطا كبيرا لولا ظروف الحرب العالمية الأولى التي اضطرتّه إلى السفر على رأس بعثة علمية.

## 2. التآليف ( الكتاب ) :

من الوسائل الهامة التي تساهم في نشر الثقافة والوعي بين مختلف شرائح المجتمع، إضافة إلى ما يتميز به من طول البقاء وإمكانية العودة إليه كلما دعت الحاجة إلى ذلك.

وعلى الرغم من سيادة الثقافة الشفاهية في أقطار المغرب العربي، ومنها "الجزائر" على وجه الخصوص - خلال فترة الاستعمار- نظرا

1. أبو اليقظان، إرشاد الحائرين، مطبعة العرب، تونس، دط، 1923م، ص 4.

لأساليب القمع التي كانت تلاحق العلماء بالتصفية الجسدية و التهجير من جهة، وانشغال المصلحين بتكوين الرجال من جهة أخرى، إذ لم تكن الظروف سانحة للتفرغ للتأليف، فإن ذلك لم يمنع المثقف الجزائري من أن يترك للمكتبة الجزائرية رصيذا جمع تجارب وأفكار رجال النهضة.

وعندما أصدرت الإدارة الفرنسية قرار التعطيل في حق جرائده الثمانية، فضل "أبو اليقظان" أن يتجه إلى مجال التأليف، وكتب قائلا في هذا الصدد: «بعد أن رأيت الجو مكفهرًا كما رأيت من تعطيلات جرائدنا، وبعد أن آيست من الرجوع إلى مهمة الصحافة ورأيت في الأجل بقية للعمل و الحمد لله، وجهت وجهي للتأليف»<sup>(1)</sup>، وهي إشارة مهمة من "أبي اليقظان" إلى أهمية التأليف و ما يمكن أن يقدمه انكتاب من رصيذ معرفي . و قد برزت أول مبادرة من "أبي اليقظان" في هذا الإطار إصداره لأول ديوان شعر عربي سنة 1931م، ما جعل أحد المنصفين يشيد بهذه المبادرة بالقول: "و هل كان "أبو اليقظان" يوما غير رائد مخلص من رواد هذه الحركة، فإن ديوانه الذي صدر سنة 1931م، وهو يعد أول ديوان تصدره الحركة الإصلاحية في "الجزائر" يرسم خطا واضحا لبداية النهضة الأدبية الجزائرية"<sup>(2)</sup>.

وقد تنوعت أساليب الكتابة في التأليف عند "أبي اليقظان" بين الشعر، و الخطابة، و القصة، و السير و غيرها.

### 3. النوادي :

مثلما اهتم "أبو اليقظان" بالمدرسة و التأليف كوسائل لا يستهان بها في الدفع بحركة الإصلاح، فإنه كان يؤمن من جهة أخرى بأن النوادي ووسائل مهمة تضاف إلى ما سبق، إذ تعتبر من أهم المراكز الثقافية التي تساهم في تسريع عجلة النهضة، ففيها تتضح الرؤى و تتلاقح الأفكار،

<sup>1</sup> أبو اليقظان، نشأتي، دون ترقيم.

<sup>2</sup> أبو اليقظان، إبراهيم، ديوان أبي اليقظان، ج1، جمعية التراث، القرارة، الجزائر، ط2، 1989م، ص12.

وتساعد الشباب على تكوين علاقات جديدة من خلال تبادل الآراء ومناقشة القضايا المختلفة (1).

ومن أهم الأندية التي برزت خلال العشرينات "نادي الترقى" الذي يعتبر بذرة من بذور النهضة، بالإضافة إلى "نادي النهضة" 1927م، و"نادي التقدم" 1935م\* وغيرها من النوادي الأدبية والفكرية التي ساهمت في تفجير وإخراج الطاقات الشبانية في ميدان الفكر الأدب. وقد أدرك "أبو اليقظان" أهمية النوادي في تجميع الشباب وتوعيتهم، خاصة أولئك الذين لم تسمح لهم الظروف باقتناء الكتب أو شرائها، وارتداد المساجد، واعتبرها وسيلة هامة لحماية هذه الشريحة، من مظاهر الانحراف، «فهي تقوم بدور تقويم الأخلاق وحفظ الصحة واللسان» (2)؛ وهذه المهمة التي أشار إليها "أبو اليقظان" مهمة خطيرة، خاصة إذا ما استحضرننا مساعي الاستعمار الذي اعتمد على غزو معنوي يقوم على نشر الموبقات وسموم المدنية الغربية، لقتل كل ما يسمو بالفرد الجزائري.

وإذ يدعو "أبو اليقظان" إلى إنشاء النوادي، فلكونها تقوم بدور مكمل للمدرسة، فهي كما يقول: «وليدة المدارس وفرع من فروعها وأين تزدهر تلك تثبت هذه» (3) وبهذا تتكامل الجهود، وتجتمع كلها في غاية واحدة وهي حفظ الفرد من أسباب الانحراف والفساد الاجتماعي، وهذه كلها لا تأتي إلا «بفتح الأعمال والمشاريع الخيرية أمام الولد من نواد وجمعيات ونقابات ونحوها» (4).

1. بو الصفصاف، د، عبد الكريم، جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ودورها في تطور الحركة الوطنية الجزائرية، ص 163.

\* عن هذه النوادي أنظر: سعد الله، د، أبو القاسم، دراسات في الأدب الجزائري الحديث، م، و، ك، الجزائر، دط، 1985م، ص 23 وما بعدها، والركيبي، د، عبد الله، القصة الجزائرية القصيرة، الدار العربية للكتاب، ليبيا، تونس، ط3، 1977م، ص 24-25.

2. أبو اليقظان، «شعور الأمة نائم فماذا ينبهه؟»، وادي ميزاب، ع 42.

3. نفس المصدر والعدد.

4. أبو اليقظان، «نبوغنا الضائع وكيف يجب حفظه؟»، الأمة، ع 41، (10-9-1935م)..

وقد تجسدت فكرة "أبي اليقظان" عن أهمية النوادي، في دعوته إلى تأسيس ناد أدبي\* يجمع شمل المتأدبين ويشغل مواهبهم، وكان قد تولى رئاسته بنفسه، وانضم في عضويته أبرز وجوه الحركة الإصلاحية أمثال "إبراهيم بيوض" و"الطرابلسي"، و"قاسم بن الحاج عيسى"، وغيرهم .  
ولئن خص "أبو اليقظان" هذا النادي بأن يكون للأدب، فذلك لأن الآداب هي التي «تصور عظمة الأمة وتعلق بمجدها وتستتفر حماسها، وتبنى روحها القومية»<sup>(1)</sup>، مثلما يقول .

#### 4. البعثات العلمية :

تشكل البعثات العلمية أحد أهم الوسائل التي تمكن من تكوين وإخراج الطلائع والقيادات الفاعلة، والتي بإمكانها أن تأخذ على عاتقها مسؤولية إصلاح الفرد، وبناء المجتمع، ذلك أن البعثات تساهم إلى حد بعيد في إثراء خبرات المتعلم عن طريق احتكاكه بغيره من ذوي الثقافات الأخرى .

وقد عرفت "الجزائر" خلال القرن العشرين توافد مجموعة من الطلاب الجزائريين نحو "جامع الزيتونة" "بتونس"، و"القرويين" "بالمغرب"، ولئن اتسم أغلبها بطابع المبادرات الفردية، فإن البعثات التي تميزت بالنظام والتنظيم الجيد ما قام به الطلاب "المزابيون"<sup>(2)</sup> .

وقد كتب "أبو اليقظان" مبينا الغاية من البعثات العلمية قائلا: «أما إنشاء البعثة العلمية "بتونس" فليست لتدعيم الغاية العاجلة- الدنيا- كما يظهر، وإنما هي لتدعيم الغايتين العاجلة منها والآجلة معا لما فيها من التزود بالعلم والمعرفة وتنمية الملكات العلمية فيها لتساعد على تفهم

\* عن هذا النادي أنظر: شريفي، سعيد، معهد الحياة نشأته وتطوره، المطبعة العربية، غرداية، ط1، 1989م، ص44 .

<sup>1</sup> أبو اليقظان، «ثمار العقول»، وادي ميزاب، ع 65، (13-01-1928م).

<sup>2</sup> دبور: محمد علي، أعلام الإصلاح في الجزائر، ج3، مطبعة البعث، قسنطينة، الجزائر، 1974م، ص 144-145، والجابري، د، محمد صالح، النشاط العلمي والفكري للمهاجرين الجزائريين بتونس، م، و، ن، ت، الجزائر، دط 1983م، ص100.

القرآن، ولغة القرآن»<sup>(1)</sup>، فالأهداف كما يراها "أبو اليقظان" هي الثورة على الجهل وتحصيل العلم النافع، وصيانة لغة الأمة من الضياع.

وقد كان "أبي اليقظان" حظ الإشراف على أحد البعثات الموفدة إلى "تونس" سنة 1914م حينما أغلقت المدرسة الصديقية من طرف "فرنسا"، وقد صرح عن ظروف ذلك في قوله: «لما رأيت المستوى العلمي والفني منحطاً في بلادنا وسجلت عروق قلبي بأن عواصف هوجاء تنذر بالخطر وتتقارب إلى بلادنا أثناء الحرب الأولى، شعرت بأن خطراً أخذ يحبو نحو بلادنا لا ينجينا منه إلا الحصانة العلمية والفنية، والخلقية، بتكوين كتلة من الشباب متينة مترابطة تدرأ عن البلاد ما أتوقعه من الأخطار المهددة لها بأساليب عصرية لا التواء فيها»<sup>(2)</sup>.

وقد عاود الكرة على رأس بعثة علمية أخرى سنة 1915م جمعت الكبار والصغار، وقد حظيت مثل هذه البعثات التي قام بها "أبو اليقظان" بالرعاية التامة من طرف تجار "بني ميزاب"، المقيمين "بتونس"، وتحملوا عنهم مسؤولية توفير المأوى والمسكن والطعام والإشراف والمتابعة<sup>(3)</sup>.

وكان "أبو اليقظان" قد وضع لبعثته برنامجاً خاصاً، جمع بين مطالب الروح والجسد<sup>(4)</sup> ليخرج بذلك جيل قادر على تحمل عبء المسؤولية.

وعلى الرغم من الظروف القاسية التي لم تكن مواتية في معظمها، فإن الإرادة والعزيمة، ذللت كل العقبات التي واجهت البعثات المتوجهة إلى "تونس"، وكان ثمرتها أن تكونت مجموعة من المصلحين عكفوا على

<sup>1</sup> أبو اليقظان، أهدافي العليا بالعمل في هذه الحياة، دون ترقيم.

<sup>2</sup> المصدر نفسه، دون ترقيم.

<sup>3</sup> الجابري، د، محمد صالح، التواصل الثقافي بين الجزائر وتونس، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 1990م، ص "د".

<sup>4</sup> أنظر برنامج هذه البعثة: أبو اليقظان، نشأتي، دون ترقيم، وديور، محمد علي، أعلام الإصلاح في الجزائر، ج 3، ص 143 وما بعدها.

تطوير العلم في "ميزاب" مع "الشيخ اطفيش"<sup>(1)</sup>، و أسسوا بعدها ما يعرف اليوم "بمعهد الحياة" \* .

## 5. الصحافة :

إلى جانب الوسائل السابقة، فإن رواد الإصلاح رأوا في الصحافة قدرتها الكبيرة على بث الوعي الديني والاجتماعي، و إحياء التراث الثقافي للأمة؛ نظرا لما تتميز به من القدرة على الانتشار، فكانت من أهم الوسائل التي مكنت للمشروع الإصلاحي على أرض الواقع.

وقد وعى "أبو اليقظان" أهمية الصحافة ودورها الفعال، فرأى ضرورة إنشاء صحافة عربية حرة، تسهم في عملية الإصلاح، و قد أشار إلى الدور الذي يمكن أن تلعبه الصحافة بالقول: «ومن المعلوم أن السلف الصالح كانوا ينظمون الأسفار، ويؤلفون القوافي للبلاد للقيام بواجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ونشر العلم، وحل المشاكل وإصلاح ذات البين وغير ذلك من المقاصد النبيلة، فرأينا في هذا العصر أن الصحافة هي وسيلة ميسورة يقوم بها عدد واحد مما لا تقوم قوافل عديدة بذلك النفع العام لما يتسنى لها من سهولة الذبوع والانتشار»<sup>(2)</sup>.

وانطلاقا من هذا الإيمان بدور الصحافة فقد أصدر "أبو اليقظان" ثماني جرائد ساهمت كلها في التوعية العامة للأمة، وتعبئة الجماهير، ذلك أنه كان ينظر إلى الصحافة على أنها حياة الشعوب ووسيلة من وسائل السعادة وسبيل<sup>(3)</sup> للأخلاق الكريمة، وهذه الصحف\*\* هي :

<sup>1</sup> .مقابلة شخصيته مع الشيخ شريقي سعيد، مدير معهد الحياة حاليا، ورفيق أبي اليقظان في الإصلاح، القرارة، 5-1-1997م.

\* عن معهد الحياة أنظر: شريقي، سعيد، معهد الحياة : نشأته و تطوره.

<sup>2</sup> أبو اليقظان، أهدافي العليا بالعمل في هذه الحياة دون ترقيم.

<sup>3</sup> نقصد بذلك قصيدته عن قيمة الصحافة، أنظر : أبو اليقظان، إبراهيم، ديوان أبي اليقظان ، ج1، ص 130-131.

\*\* أنظر نموذج لكل صحيفة في ملحق الصور: ملحق من رقم (2) إلى (9) .

## 1- وادي ميزاب -

هي أولى صحف "أبي اليقظان" ظهوراً، وقد برز العدد الأول منها يوم الجمعة الفاتح من أكتوبر 1926م، وكان من أهم ما جاء ضمن افتتاحياتها ما يلي :

أولاً : تأييد الحق والحريّة والعدالة، و المساواة بأتم معنى الكلمة من كافة الأجناس المتساكنين في "الجزائر".

ثانياً : السعي في بث روح الاتحاد، والتضامن بين سائر المسلمين على اختلاف أجناسهم ومذاهبهم، بتأييد الصلات المتعددة بينهم، ومعاوضة الصحافة الأهلية الحرة في كل ما ترتاده من طرق الإصلاح وبذل الجهد في إزالة الشحناء والبغضاء وسوء التفاهم.

ثالثاً : أن تحسن الوساطة بين الأمة والحكومة بإزالة سوء التفاهم بينهما.

رابعاً : بذل الجهد في مقاومة الرذائل ونشر الفضيلة.

خامساً: حث الأمة على اكتساب العلوم، والمعارف وإحياء اللغة العربية وتربية أبنائها تربية إسلامية صحيحة<sup>(1)</sup>.

ويبدو أن " وادي ميزاب " قد واجهت صعوبات كثيرة منذ ظهورها إذ لم تكن تملك الإمكانيات المادية الضرورية، فقد كانت تكتب في "الجزائر"، وتطبع في "تونس" ليعاد توزيعها في "الجزائر".

ولئن كانت المشاكل التي واجهتها " وادي ميزاب " قد تعلق أكثرها بأمور الطبع، فإن معاناتها الكبيرة تجسدت في الاختيار الذي تبنته وهو "الصراحة والنزاهة والصدق والصدع بالحق وخدمة الصالح العام، لا تعرف للتدجيل والمواربة والتملق والكذب والنفاق سييلاً، فهي تجتهد قدر استطاعها في إحقاق الحق وإبطال الباطل"<sup>(2)</sup>، الأمر الذي جعلها تواجه

<sup>1</sup> أبو اليقظان " الافتتاحية "، وادي ميزاب، ع 1 .

<sup>2</sup> أبو اليقظان « المرحلة الثالثة لوادي ميزاب »، المصدر نفسه، ع 103، (5-10-1928م).

قوى الاستعمار من جهة، وأراجيف القوى المعادية من جهة أخرى ذلك أن الصحيفة جاءت " لتشيع تيارا فكريا موازيا ومناقسا ومناهضا لنشاط هؤلاء، ولفرض الثقافة العربية والاتجاه الإسلامي ضمن حلبة الصراع الفكري والثقافي"<sup>(1)</sup>.

وقد شارك في تحريرها كوكبة من الكتاب من داخل "الجزائر" وخارجها، نذكر منهم "إبراهيم بيوض"، "سعيد شريفي"، "رمضان حمود"، "عبد العزيز الثميني"، وغيرهم .

ونظرا لشدة لهجتها، فإنها قد حملت بذور انقضاء على نفسها من خلال منهجها الذي تبنته، وكان من أسباب تعطيلها أراجيف " الوشاة " من أعداء الحركة الإصلاحية حيث استثاروا حفائظ المبشرين اللذين كتب عنهم "أبو اليقظان"، وأبرز مكائدهم، وكان نتيجة ذلك صدور قرار من وزارة الداخلية الفرنسية، ومما جاء فيه "أن التداول والعرض والتوزيع للجريدة العربية اللسان " وادي ميزاب" كلها أمور ممنوعة في "الجزائر" وأن هذا المنع يشمل كل جريدة مشابهة لها"<sup>(2)</sup>، وبالعقد المائة والتاسع عشر تكون الصحيفة قد توقفت عن الصدور وذلك في الثامن عشر جانفي 1929م .

وقد شيعها "ابن باديس" بالقول : " وأما الرصيفة العزيزة فلها الشرف بتعطيلها كما كان لها الشرف في رواجها ولقد فقدت الصحافة الجزائرية بتعطيلها عضوا عاملا نافعا ومظهرا من مظاهر رقيها ونزاهتها فأسفنا عليها مؤلم وشديد"<sup>(3)</sup>.

<sup>1</sup> المراكشي، د، محمد الصالح، تفكير محمد رشيد رضا من خلال مجلة المنار، الدار التونسية للنشر، تونس، دط 1985م، ص58.

<sup>2</sup> أنظر هنا القرار : journal officiel de l'Algérie république Française , 15 janvier 1929, P54.

<sup>3</sup> ابن باديس، عبد الحميد، « تعطيل جريدة وادي ميزاب »، الشهاب، ج1، م5، فيفري 1929م، ص33.

## 2- ميزاب -

بعد أن أفرجت الإدارة الفرنسية عن قلم "أبي اليقظان" المحظور، وبعد سنة من تعطيل "وادي ميزابي" أصدر "أبو اليقظان" صحيفة جديدة باسم "ميزاب" طبع عددها الأول والوحيد "بتونس"، وذلك في الخامس والعشرين من جانفي 1930م.

ومما جاء في افتتاحيتها أن الغاية من إصدارها هو «ترقية مدارك الأمة ورفع مستواها المادي والأدبي وإحلالها المحل اللائق بها بين الأمم الحية الناهضة الشاعرة بمالها وما عليها من الحقوق والواجبات»<sup>(1)</sup>.

غير أن الجريدة ما إن برزت إلى الوجود حتى قام الوالي العام "Bords" بكتف أنفاسها وبذلك يكون "أبو اليقظان" قد فقد ثاني صحفه مفضلا توقيفها على خضوعها للسلطة الاستعمارية.

## 3 - المغرب -

في محاولة منه لإبعاد أنظار المستعمر، لجأ "أبو اليقظان" هذه المرة إلى إصدار صحيفته الجديدة والتي أسماها "المغرب" باسم السيد "تعموت عيسى" ودون افتتاحية تبرز السياسة الإعلامية لها.

وقد برز العدد الأول من "المغرب" الأسبوعية في السادس والعشرين من شهر ماي 1930م "بالجزائر"، طبع منها إثنان و ثلاثين عددا بالمطبعة الإرشادية، في حين طبعت الأعداد الستة الأخيرة بالمطبعة العربية التي أنشأها "أبو اليقظان" في فيفري 1931م ، وقد بلغ عدد السحب إلى 2500 نسخة من كل عدد<sup>(2)</sup>، في حين حدده "زهير إحدادن" بـ 2000 نسخة<sup>(3)</sup> ويلاحظ أنه لئن كانت الافتتاحيات عادة ما يقوم بتحريرها "أبو اليقظان"، فإن ظاهرة تنوع الأقلام في كتابة المقال الافتتاحي كانت

<sup>1</sup> أبو اليقظان، «الافتتاحية»، ميزاب، ع1، (1-25-1930م).

<sup>2</sup> سيف الإسلام، الزبير، تاريخ الصحافة في الجزائر، ج6، موبك، الجزائر، 1985م، ص76.

<sup>3</sup> Ihaddaden, Zahir. histoire de la presse indigène en Algérie jusqu'au 1930, ENAL, 1983., P 389.

بارزة في صحيفة "المغرب" إذ كثيرا ما كان يتداول عليه العديد من الكتاب، أمثال "الفرقد" الذي اختص بكتابة المقال السياسي، و"عدون شريفي" الذي اختص بكتابة المقال في المجال التربوي.

وقد فسر "محمد ناصر" هذا التنوع في تحرير المقال بالقول: " فلم نتعود في الصحف الأخرى أن يكون المقال الافتتاحي لغير "أبي اليقظان" إلا في حالات نادرة، ولعله كان في هذه الأثناء مشغولا بإعداد المطبعة العربية، فلم يجد الوقت الكافي الذي كان يجده من قبل، أو قد يكون هذا صرفا لأعين الرقابة عن صحفه " (1).

وقد ساهم في تحرير موادها إلى جانب كتاب المقال الافتتاحي كوكبة من الكتاب منهم "عبد الرحمن غريب"، "وحمزة بوكوشة"، و"الميلي" وغيرهم.

وسارت "المغرب" أيضا بنفس اللهجة والصراحة في معالجة الأمور ومخاطبة السلطة الاستعمارية، ولذلك فإن الإدارة الفرنسية لم تكن لتستسيغ اللهجة التي كانت تصدر بها خاصة ما كان يكتبه "الفرقد" تجاه السلطة الفرنسية، وكان من الأسباب التي قضت على الصحيفة.

ولما بلغ "أبا اليقظان" أن السلطة الفرنسية تتربص بصحيفته، وبيعاز من "عمر بن قنور"، و"تعموت عيسى"، جاء العدد الثامن والثلاثين وهو العدد الأخير من "المغرب" في صفحة واحدة بعنوان "حرز المرجانة" ومما جاء فيه "ونافع إنشاء الله من كل شيء مع حسن الاعتقاد وصفو النية، ينال حامله ببركاته كل أمنية وإنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى" (2).

ص 202. وناصر، د، محمد، الصنف

1. ناصر، د، محمد، أبو اليقظان وجهاد للكلمة،

العربية الجزائرية، ص 94.

2. أبو اليقظان، «حرز المرجانة»، المغرب، ع 38، (26-3-1931م).

فما إن صدر العدد الأخير<sup>(1)</sup> من صحيفة "المغرب" حتى كتبت السلطات أنفاسه، ووقعت "حرز المرجانة" بقبضتها "فكان قرار الحجز فضيحة للإدارة الاستعمارية التي نزلت إلى هذا المستوى من حجز الحروز والخرافات"<sup>(2)</sup>

#### 4- النور -

برزت صحيفة "النور" في الخامس عشر سبتمبر 1931م، أي بعد حوالي ستة أشهر من تعطيل رفيقتها "المغرب" ويشير "سيف الإسلام الزبير" إلى اتجاهها بالقول: "ونظرا لصرامتها مع رجال الزوايا يكاد القارئ يقول أن صاحبها قد أنشأها لمكافحة الطرقيين والقبوريين وجريدتهم "البلاغ الجزائري" التي كانت تصدر يومئذ"<sup>(3)</sup>.

وكان "ابن باديس" قد أشاد بظهورها إذ اعتبرها جريدة إرشادية تجعل للأبحاث الاقتصادية الوقتية مقاما أولا فيها، وأشاد بصاحبها الذي لم يلتفت للماضي وحوادثه المظلمة<sup>(4)</sup>.

ومما جاء في افتتاحيتها أن غايتها «هو إرسال أشعته إلى الدور والقصور، هو تنوير الأذهان وتنقيف العقول، وتهذيب النفوس وتطهيرها، من الخور والجبن، والإياس والقنوط، وملؤها بروح الأمل والرجاء، وتعميم الأخوة، وتنمية المحبة الإنسانية الإسلامية من المتساكنين المسلمين والإشادة بذكر الفضيلة، ودعوة الناس إليها، ومقاومة آثار الرذيلة وتحذير الناس منها»<sup>(5)</sup>.

وقد أسندت كتابة المقالات الافتتاحية هذه المرة إلى "عدون شريفي" الذي كان يوقع مقالاته باسم "سعيد"، وقد أشار "محمد ناصر"

<sup>1</sup>. أنظر نص قرار الحجز بـ: Journal officiel de l' Algérie république Française, N° 15 5<sup>ème</sup> trimes, 10 Avril 1931, P190.

<sup>2</sup>. سيف الإسلام، الزبير، تاريخ الصحافة في الجزائر، ج6، ص76.

<sup>3</sup>. المرجع نفسه، ج6، ص77.

<sup>4</sup>. ابن باديس، عبد الحميد، «عن صدور ديوان أبي اليقظان وجريدة النور»، الشهاب، ج10، م7، أكتوبر 1931م، ص658.

<sup>5</sup>. أبو اليقظان، «النور ماؤه وما عليه»، النور، ع58، (22-11-1932م).

إلى سبب ذلك، وهو أن "أبا اليقظان" قد اضطر إلى السفر إلى "القرارة" قصد الاستراحة والاستجمام، ولعله أراد بذلك أيضا ضمان سير الصحيفة وتفويت الفرصة على المستعمر الذي كان دائم التريص بقلمه<sup>(1)</sup>.

وقد ساهم في تحرير صفحاتها كوكبة من الشباب المتحمس أمثال "عبد الرحمان بن عمر"، "عبد العزيز الثميني"، "عبد الحميد بن باديس"....

وعلى غرار زميلاتها فإن "النور" قد حملت في ثناياها قرار التعطيل بما تبنته من لهجة صريحة في معالجة القضايا، وقد ذكر "أبو اليقظان" سبب تعطيل "النور" بالقول: « يبدو أن سبب تعطيل "النور" هو فصل نشرنا في العدد 78 منه صادر في 2 ماي 1933م، تحت عنوان "رواية مخزية يمثلها أبالسة القرن العشرين في وادي ميزاب" ومعه فصل لمراسلنا الفاضل بعنوان "الفرع الأكبر، أو ضرب البارود في غرداية" انتقد فيهما أعمال بعض المجانين، أقاموا حفل "الفاذعة" لزيارة أسطول الجو الأمريكي يتألف من 84 طيارا، وحضرها نيف وستون مومسة مزينة جلبوها من خارج البلاد لأخذ فيلم من هذا المنظر اللعين يقع عرضه في عواصم أوروبا وأمريكا وهي مكيدة دبرت بليل وما إقامة هذا الحفل الشيطاني إلا لأجل أخذ ذلك الفيلم»<sup>(2)</sup>، وقد جاء ضمن هذا المقال الذي كتبه "أبو اليقظان" هجوما استهدف كل الذين أعدوا للحفل أو حضوره من مشاركين أو خصوم للحركة الإصلاحية.

وفي موضع آخر يذكر "أبو اليقظان" سببا آخر لتعطيل "النور" ويتعلق الأمر بسوء ترجمة من بعض المترجمين لمقال كتبه بعنوان "خطاب خطير لرجل خطير" فترجم العنوان كالتالي "خطاب خطير لرجل مشوش"<sup>(3)</sup>.

<sup>1</sup> ناصر، د، محمد، أبو اليقظان وجهاد الكلمة، ص 224.

<sup>2</sup> أبو اليقظان، تاريخ صحف أبي اليقظان، ص 97.

<sup>3</sup> أبو اليقظان، «خطاب خطير لرجل خطير»، النور، ع 78، (2-5-1933م).

ومع اختلاف السببين، فإننا نعتقد أن السبب الأقوى هو الأول لشدة لهجة المقال أولاً، ولطول الفترة الزمنية بين المقالين ثانياً، وهو نفس الاعتقاد الذي ذهب إليه "محمد ناصر"<sup>(1)</sup>، إذ ما الدافع الذي يجعل الإدارة تنتظر طوال ستة أشهر إلى حين صدور العدد الثامن والسبعين وهو العدد الأخير<sup>(2)</sup> من "النور".

## 5- البستان -

بينما لا تزال صحيفة "النور" في طريقها إلى الانتشار، إذ "بأبي اليقظان"، يعقد العزم، على إصدار صحيفة أخرى باسم "البستان" وقد تميزت عن سابقتها بأسلوب جديد في الكتابة، ذلك أن "أبا اليقظان" كان يرى ضرورة تغيير أسلوب المواجهة، وتكييفه مع الظروف التي تعانيها البلاد، من صور التضييق، وتمكيننا لرسالته الإصلاحية فقد استخدم السخرية كأحد أهم وسائل الكتابة الصحفية، وهو "أسلوب فكه يحمل في ظاهرة جدية الكاتب بينما يقرأ بين سطوره تهكم غير متوقع"<sup>(3)</sup>.

وقد أوضحت الصحيفة ضمن افتتاحية العدد الأول منها عن الدافع من إصدارها، ومما جاء فيها أنه «بناء على تعطش قسم كبير من الأمة إلى جريدة فكاهية، لذيذة خفيفة الروح، نزيهة الأسلوب نبيلة المقصد، وحيث أن طبقة كبيرة من العامة لم تستفد إلا قليلاً ولا كثيراً من جرائدنا العربية الجدية لعلوها عن مستواها الفكري، ولحرصنا على نبيلها حقها وهي عطشى من هذا الحوض المورود، وأخذها وهي جوعى من هذا الطلع المنضود، مايسیغه حلقها وتهضمه معدتها، وحيث أن فريقاً من ظرفائنا بقوا محرومين من مجال تجول فيه أقلامهم الطريفة ( ) بناء على ما تقدم رأينا

1. ناصر، د، محمد، أبو اليقظان وجهاد الكلمة، ص234، وناصر، د، محمد، الصحف العربية الجزائرية، ص116.  
 2. أنظر نص قرار الحجز بـ: Journal officiel de l'Algerie république Française, N°25, 7<sup>me</sup> trimes, 23 Juin 1933, P512  
 3. Ragon, michel, "la caricature et le dessin humoristique en France", Paris, édition de seuil, 1992, P7.

من الواجب أن ننشئ جريدة عربية نصف شهرية\*، تفي بهذا الغرض الشريف، فأسسنا هذه الجريدة تحت اسم "البستان" إشعارا بما تحمله إلى قرائنا الكرام من كل ما يحمله البستان من أنواع الثمار والفواكه والبقول والزهور، والرياحين بإذن الله»<sup>(1)</sup>.

ويبدو أن الدافع الذي جاء في الافتتاحية ليس إلا دافعا مباشرا، ذلك أن الأسباب الحقيقية لإنشاء صحيفة "البستان" هو ما صرح به "أبو اليقظان" في موضع آخر بالقول: «وقد غيرنا أسلوبنا الجدي الدسم، فاتخذنا جريدة "البستان" جريدة هزلية فكاهية وتوارينا فيها كذلك باسم الأخ "تعموت عيسى" كما فعلنا في جريدتنا "المغرب" علنا نسلم من عوائق التعطيل»<sup>(2)</sup>، ويؤكد في موضع آخر أنه ما فعل ذلك إلا مبالغة في الحيطة من متابعة السلطة ومضايقاتها<sup>(3)</sup>.

وعلى الرغم من سياسة التقية التي اتبعتها "أبو اليقظان" لضمان سير الصحيفة فإن السلطات ما لبثت أن وضعت يدها عليها، ذلك أن "البستان" لم تختلف عن سابقتها من حيث المضمون في نقد الأوضاع والتعريض بالاستعمار.

وبالعدد العاشر تكون "البستان" قد لفظت النفس الأخير في الحادي عشر من جويلية 1933م، وقد علق "أبو اليقظان" على قرار التعطيل<sup>(4)</sup> بالقول: «وهكذا يفعل الاستعمار الفرنسي يحكم على الإنسان بالإعدام وهو جنين في بطن أمه»<sup>(5)</sup>.

\* الواقع أن الصحيفة كانت تصدر أسبوعيا تبعا لتواريخ صدورها.

1. أبو اليقظان، «الافتتاحية»، البستان، 1ع، (27-4-1933م).

2. أبو اليقظان، نشأتي، دون ترقيم.

3. أبو اليقظان، تاريخ صحف أبي يقظان، ص 94.

4. أنظر نص قرار الحزب: , 7<sup>ème</sup> trimes journal officiel de l' Algérie république Française, 7 Juillet 1933, P536

5. أبو اليقظان، نشأتي، دون ترقيم.

## 6- النبراس -

بعد حوالي أسبوع من قرار تعطيل صحيفة " البستان "، قام "أبو اليقظان" بإصدار صحيفة جديدة تحت اسم "النبراس" تعبيراً عن إصراره وتحديه للسلطة الفرنسية، وقد برز العدد الأول منها في الواحد والعشرين من شهر جويلية 1933م.

ويبدو من اسمها أنها جاءت حسب ما اتخذته منهجاً لها وهو «إنارة هذه السبل الملتوية، أمام الأمة العزيزة، خطتنا فيها الاعتدال، وشعارنا الاستقامة، وسائقنا الإخلاص، ورائدنا نصره الحق، والفضيلة، راجين من أرباب الأقلام النزيفة مددهم، ومن القراء الكرام آذانهم، ومن الأمة الكريمة نبراسها زيتاً مضيئاً»<sup>(1)</sup>.

والواضح من هذا أن الخطة التي سارت عليها "النبراس" لم تخرج عن سابقتها من الصحف مضمونا وشكلا، فقد اهتمت بالقضايا الوطنية والدولية، وساهم في تحريرها نفس الكوكبة التي أثرت صفحات الصحف السابقة.

وقد تناول "أبو اليقظان" في افتتاحية العدد الأول منها حديثاً عن قيمة الصحافة في ترقية الشعوب وتربيتها والسير بها نحو التقدم، واعتبرها اللسان المعبر عن ضمائرنا لدى الدول والحكومات ما لم تصب بمقراض<sup>(2)</sup>.

ولم تستمر "النبراس" في الصدور، فقد توقفت بعد بروز ستة أعداد فقط، وذلك في الخامس من شهر أوت 1933م، بعد أن صدر في حقها قرار التعطيل والذي لم يخرج عن كونه سياسياً بحتاً.

<sup>1</sup>. أبو اليقظان «الإفتاحية» النبراس، ع1، (21-7-1933م).

<sup>2</sup>. نفس المصدر والعدد.

## 7- الأمة -

ما إن توقفت "النبراس" إثر قرار التعطيل، حتى برزت "الأمة" كصحيفة جديدة برئاسة "أبي اليقظان" في الثامن من سبتمبر سنة 1933م، وسارت على نفس منهج سابقاتها، ولا أدل على ذلك أن المتصفح لصحيفة "الأمة" في عددها الأول يقف على مقال تحت عنوان "التعاون الاجتماعي وآثاره في الأمم والجماعات" (1) وهو مقال نشرت قبله حلقات في صحيفة "النبراس" المصادرة.

ونظرا لملاحقات السلطة الفرنسية فقد سارع "أبو اليقظان" إلى توقيف صحيفته، وقد حاول إزاء هذه الأوضاع أن يعتزل الصحافة، غير أن نداء الجمهور بضرورة العودة كان من وراء بروز "الأمة" من جديد، حيث ظهر العدد الثاني منها في الخامس والعشرين من سبتمبر 1934م وبنفس الحماس "فالأمة" هي "وادي ميزاب" وتوابعها ( ) فالروح واحد والجسد واحد، والأسماء تبدلت بتبدل الثياب لا غير وأي شخص لا يتبدل ثيابه" (2). وقد فتحت منبرها لأصحاب الفكر والثقافة من داخل الوطن وخارجه نذكر منهم: "مبارك الميلي"، "العربي التبسي"، "المكي بن ادريس العمراوي"، "محمد عبد الهادي التازي"، وغيرهم...، وقد ساهم هؤلاء في تنويع مضمون الصحيفة، وقد أكد "محمد ناصر" أن الصحيفة كانت تهتم بكل ما يهم الفرد العربي المسلم، ديناً واجتماعاً وثقافة وسياسة واقتصاداً، ومنشغلة بتطورات القضية الوطنية والعربية والإسلامية (3).

وبات من المؤكد أن النهج الذي سارت وفقه "الأمة" من جرأة النقد للسياسة الاستعمارية، ونوازع الرفض للواقع المرير، كان وراء صدور قرار من الولاية العامة يوم السادس عشر مارس 1938م، الذي يقضي بأن "العدد الصادر يوم 8 مارس 1938م من صحيفة "الأمة" المصادرة باللغة

1. أبو اليقظان، «التعاون الاجتماعي وأثره في الأمم والجماعات»، الأمة، ع1، (8-9-1933م).

2. سعيد، «اعتراف بالجميل للأمة» بمناسبة دخولها في السنة الثالثة، الأمة، ع101، (8-12-1936م).

3. ناصر، د، محمد، أبو اليقظان وجهاد الكلمة، ص261. وناصر، د، محمد، الصحف العربية الجزائرية، ص164.

العربية في "الجزائر"، والذي نشر به مقال "داء المسلمين ودواؤهم"\* ممنوع من التداول والبيع والتوزيع، في كامل التراب الجزائري، لأن ذلك المقال موجه توجيهها صريحا ضد السيادة الفرنسية".

على أن السبب المباشر في مصادرة "الأمة" والذي اعتمده الصحيفة كمبرر لتعطيلها هو كونها أصبحت المنبر الأصلي "الحزب الشعب الجزائري" المحظور في "الجزائر"، وعليه صدر في حقها قرار التعطيل عن الوزارة الداخلية "بياريس" وقد جاء فيه "بقرار من وزير الداخلية بتاريخ 24 ماي 1938م، تم منع تداول، وبيع وتوزيع ونشر الجريدة العربية "الأمة" التي تطبع وتنتشر "بالجزائر" (1).

وبالعدد المائة والسبعين، اختارت "الأمة" السقوط في ميدان الشرف كسابقاتها، على أن تخضع لاستفزاز السلطة الحاكمة، وكعادته شيعها "عبد الحميد بن باديس" زعيم الحركة الإصلاحية بكلمات جاء فيها: "جريدة "الأمة" خلف جرائد عدة كلها استشهدت في سبيل واجبها، والأستاذ "أبو اليقظان" يتحمل كل مرة ما يتحمل من أضرار مالية وأدبية ويعود للجهاد وقد عطلت جريدة "الأمة" مثل أخواتها فضمت وساما إلى صدر الأستاذ ونحن ننتظر من همته ومضائه أن يطلع على قرائه في أمد قريب" (2).

## 8 - الفرقان -

تعتبر صحيفة "الفرقان" آخر العناوين التي أصدرها "أبو اليقظان" في سياق مشروعه الإصلاحي، وقد برز العدد الأول منها في الخامس جويلية من عام 1938م بالعاصمة، وطبعت أعدادها الستة بالمطبعة العربية التي كان يمتلكها.

\* المقال هو للخطيب، محب الدين، «داء المسلمين ودواؤهم» «الأمة»، ع157، (8-3-1938م).

1. أنظر نص قرار الحجز ب: journal officiel de l'Algérie république Française, N° 25, 24 Mai 1938, P117.

2. ابن باديس، عبد الحميد، «"الأمة"»، الشهاب، ج3، م14، ماي 1938م، نقلا عن بوحجام، محمد ناصر، أبو اليقظان في الدوريات العربية، ص24.

وعلى غير عادته، فقد أصدر العدد الأول، متصدرا بالآية الكريمة ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا... ﴾<sup>(1)</sup>، وقد تعمد "أبو اليقظان" في ذلك، للتببيه على أن علاج الأمة لا يكون إلا بالعودة إلى الكتاب والسنة، وفي ظل تقوى الله، وقد أكد على ذلك في قوله: «يجهد الجبابرة والمفكرون وجبابرة العقول نفوسهم وهم مزودون بثروة طائلة من الكليات والجامعات ومن الخزائن العتيدة فرادى ومجتمعين لكل مشاكل الإنسانية الحاضرة ولكنهم حيث فقدوا ذلك العقار الوحيد (التقوى) فهم لا يخرجون من مشكل إلا إلى مشكل»<sup>(2)</sup>.

ولأن "الفرقان" لم تختلف عن سابقتها من حيث الشكل والمضمون واللهجة رغم قلة أعدادها، فقد صدر في حقها قرار المصادرة يوم 5 جويلية 1938م وهو تاريخ العدد السادس والأخير من الصحيفة.

الإسلامية للعلوم

<sup>1</sup> الأنفال، 29.

<sup>2</sup> أبو اليقظان، «يا أيها الذين آمنوا إن تتقوا الله يجعل لكم فرقانا»، الفرقان، ع1، (5-7-1938م).

## الفصل الأول

الفكر الإصلاحى عند "أبى اليقظان" فى المجال  
التربوى والثقافى.

المبحث الأول: فلسفة "أبى اليقظان" التربوية .

المبحث الثانى: الصحافة ودورها الإصلاحى فى

فكر "أبى اليقظان" .

المبحث الثالث: إحياء اللغة العربية وبعثها فى

فكر "أبى اليقظان" .

**تمهيد :**

لقد كان الركود الثقافي والتربوي الذي عاشته "الجزائر" لسنين طويلة إبان الفترة الاستعمارية، نتيجة عملية التغييب القصدي من طرف الاستعمار لطمس معالم الثقافة والتربية، وإحلال الثقافة الوافدة، من الدوافع التي حدت بقيادة الإصلاح إلى التفكير في عملية إعادة بعث الجهاز التربوي والثقافي داخل المجتمع الجزائري، ليقينهم أن هذا الجانب من أهم مستلزمات الوعي بالذات الجزائرية، التي تقود إلى المطالبة بحق الاستقلال.

بناء على ذلك كان اهتمام "أبي اليقظان" بهذا الجانب، وقد وجدنا أن أهم المحاور التي ركز عليها تفكيره الإصلاحي في هذا الإطار: ضرورة بعث جهاز التربية والتعليم، إحياء اللغة العربية والاهتمام بالنشاط الصحفي لدفع حركة النهضة، وهو ما سنحاول التطرق إليه ضمن هذه المباحث.

## المبحث الأول : فلسفة "أبي اليقظان" التربوية :

تمهيد:

ردا على الهجمة الاستعمارية التي استهدفت الشعب الجزائري ، والنشء على وجه الخصوص، أدرك رجال الحركة الإصلاحية أن السبيل الأضمن لتحقيق الحصانة الذاتية للأمة يقتضيه استتفار جماعي أبعث جهاز التربية والتعليم، والعمل على تعليم كل فئات المجتمع، ولم يخرج "أبو اليقظان" عن هذا الطرح ،فقد كانت صحافته مجالا واسعا طرح من خلالها تصوراتها عما يجب أن تكون عليه منظومة التربية والتعليم، وهو ما سنتطرق إليه خلال هذه النقاط.

**أولا: قيمة التربية والتعليم في فكر "أبي اليقظان" :** تهدف

المجتمعات عبر الأزمنة إلى محاولة تحقيق بقائها واستمراره بالحفاظ على منظومة قيمها وعاداتها وتقاليدها، ومن دون شك فالتربية من أهم الوسائل التي تضمن تحقيق هذا الهدف .

ولئن كانت التربية في جوهرها مساعدة للفرد على " إنماء جميع ملكاته وقواه، وتكييفها، وإيجاد التوازن بينه وبين البيئة التي يعيش فيها، وإظهار ملكاته الكامنة بغية إعداده للحياة السعيدة الكاملة والنجاح فيها بحيث يصبح مواطنا عاملا ( ) متعاوننا مع أبناء وطنه " (1)، فإننا نعتقد أن التعليم من أهم الطرق التي تتم بها هذه العملية .

وعلى هذا الاعتبار كانت المدرسة من أهم الأطر التي تساعد على القضاء على آفة الجهل والامية، والسير بالأمم نحو التمدن والرقى، بل وفي الحفاظ على كياناتها، إذ لا تستطيع هذه أن تبقى " دون بقاء تراثها وانتقاله

1. فايد، عبد الحميد، راند التربية وأصول التدريس، دار الكتاب اللبناني، بيروت ، لبنان، دط 1984م، ص 28 .

من جيل إلى جيل<sup>(1)</sup> ومن ثم كانت سياسة التربية والتعليم من أولويات الأمم المتقدمة لتسريع عملية التطور.

وقد خلص "أبو اليقظان" إلى مثل هذه النتيجة عندما قام بعقد مقارنة بين الأمم المتقدمة والمتخلفة، في نظرة كل منهما لقيمة العلم والتعليم، ومكانتهما في سلم أولويات كل منهما، فتبين له أن الأولى ترى العلم العنصر الأساسي في معادلة ارتقائها وصمام الأمان الذي يحمي مركزها بين غيرها من الأمم، في الوقت الذي تنعدم فيه هذه القيمة، وهذه النظرة الواعية لمكانة العلم عند الأمم الجاهلة<sup>(2)</sup>.

ويعتقد "أبو اليقظان" اعتقاداً جازماً أن سبب اهتمام الدول المتقدمة بالعلم والتعليم نابع من وعيها بمبررات وجودها، ومحاولة إثبات الذات لديها ما يجعل رغبتها في التجديد التربوي المطلوب أكيدة، في حين تنعدم هذه المسوغات لدى الأمم الجاهلة، فالجهل أفقدها الشعور بوجودها على حد تعبيره<sup>(3)</sup>، ومن ثم فإنك - كما يقول - : « عبثاً تحاول تنبيهها وإيقاظها، تفنن في الكلام ما شئت وتتنوع في أساليب الإنذار والتحذير ما أردت فهي لا تفهمك ولا تعرف ما تقول بل لا تسمعك إلا كما يسمع النائم صوت منبه، وهو في أضفاث أحلامه، ومن أين يتسرب إليها إذا بصيص من نور العلم أو تعرف قيمة التعليم، اللهم إلا ما يكون من قبيل المحاكاة، كما يكون من الصبي لا دخل للاقتناع فيه أصلاً، وما لا يكون عن اقتناع فهو عرضه للتلطف والضياع والآفات»<sup>(4)</sup>.

ولا يستغرب "أبو اليقظان" رغبة الأمم المتقدمة وحاجتها إلى التغيير والتفوق نحو الأفضل، لأن أبناءها كما يقول : « قد نبتوا في أمة

<sup>1</sup> النجمي، محمد لبيب، الأسس الاجتماعية للتربية، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ط2، 1965م، ص47.

<sup>2</sup> أبو اليقظان، « قبل أن نأخذ في التعليم يجب أن ننقبه »، الأمة، ع 16، (1-1-1935م).

<sup>3</sup> أبو اليقظان، « شعور الأمة نائم فماذا ينهيه؟ »، وادي ميزاب، ع42.

<sup>4</sup> أبو اليقظان، « قبل أن نأخذ في التعليم يجب أن ننقبه »، الأمة، ع 16.

عرفت قيمة العلم والنبوغ، وعرفت كيف تستثمره، وكيف تحميه من الآفات»<sup>(1)</sup>.

على أنه يشير إلى ملاحظة مهمة، وهي أن أبناء الأمم المتحضرة منها والجاهلة، لا يختلفون من حيث الطاقات والقدرات العقلية، بل ربما وجد في الأمم الجاهلة من هو أنكى وأحد فطنة من أبناء الأمم المتحضرة، إلا أن نبوغ أولئك اللذين نشئوا في الأمة الجاهلة ضاع، وطاقاتهم شلت لأنهم على حد قوله: «نبئوا في أمة جاهلة لقيمة العلم والنبوغ، وإذا عرفت شيئا منه فلا تعرف كيف تستثمره»<sup>(2)</sup>، فسمه العطاء -إذن- مشترك بين الجميع، إذا وجدت من يكفلها بالعناية والتوجيه.

وانطلاقا من هذه القراءة الواعية لقيمة العلم ودوره في بناء الأمم وسعادتها عكف "أبو اليقظان" منذ بداية نشاطه الصحفي إلى الدعوة إلى العلم و التعليم إذ لم يترك مناسبة إلا وكتب في هذا الإطار، وعن ضرورة استثمار نبوغ الأمة واقتفاء أثر المجتمعات الراقية<sup>(3)</sup>.

ولئن أكد على ضرورة الاهتمام بالعلم، فإنه كان دائم الربط بين العلم والتربية، إذ يراها أساس بناء الحضارة واستمرارها وعطائها، ومن ثم فهو يذهب إلى الجزم أن «أساس الحياة الحقيقية، إنما هو التربية الصحيحة، لذلك تقدم المسمون لما تشبثوا بها، ثم لما تغيرت الأوضاع، وأساليب التربية وأصبح الفرد ( ) خاليا من روح التربية والتهذيب الإسلامي، أجدبت النفوس، وتحطمت القلوب، بعد الاخضرار والازدهار، فتقلص ظل العدالة من الأرض، ومالت شمس السعادة نحو الغروب، فأصبح العالم في ظلام حالك، ورجع إليه كل ما كان قبل النبوة من المفاسد، والمظالم والشرور»<sup>(4)</sup>.

<sup>1</sup> أبو اليقظان، « قيل أن نأخذ في التعليم يجب أن ننتبه »، الأمة، ع 16.

<sup>2</sup> نفس المصدر والعدد.

<sup>3</sup> أنظر فهرس المقالات: المبحث الأول من الفصل الأول.

<sup>4</sup> أبو اليقظان، « نحن إلى التربية أحوج »، وادي ميزاب، ع2، (8-10-1926م).

ومن ثم فإن أية عملية تربوية لا تقوم على هذا التصور كما يرى "أبو اليقظان" - لا يمكن أن تكون في خدمة المجتمع، وأفاقه، وعليه فإن «التعليم الصناعي المجرد من التربية والتثذيب فهو وإن بلغ من الرقي والنظام ما بلغ فلا ينتج إلا أبناء المادة الخالية من روح العفة والفضيلة»<sup>(1)</sup>. إن تحقيق هذا المطلب، يستدعي تعبئة كل القوى الوطنية للنهوض بهذا القطاع الحيوي، ومن غير شك فإن القضاء على الجهل أحد الدعائم الأساسية لتحقيق الرقي الاجتماعي والثقافي والسياسي المطلوب والتخلص من أسباب التخلف والتبعية يقول "أبو اليقظان" موجها نداءه لرجال الأمة: «إن الجهل علة العلل، وقد فشا فيكم في الوقت الذي نطق فيه الجماد، فيجب عليكم أن تجاربوا الجهل وتكافحوا الأمية وتقبلوا كلكم إلى العلم»<sup>(2)</sup>، ذلك أن الجهل يسبب ممات الروح، كما يسبب الجوع موت الجسد على حد تعبيره<sup>(3)</sup>.

وهذا الربط الذكي من "أبي اليقظان"، يؤكد على خطورة الجهل في حياة الأمم من أنه أحد أسباب سقوطها واندثارها، وعلى حاجة المجتمع الماسة إلى ضرورة الاهتمام بالتربية والتعليم اللذين هما كل شيء وعليهما يبنى كل شيء على حد تعبير "محمد عبده"<sup>(4)</sup>.

وقد أشار "البشير الإبراهيمي" إلى خطورة الجهل، وتأكد له أن هذه الآفة إذا تمكنت من الأمم أقعدتها عن طلب العز والكمال، والأمية التي تلد الجهل: "لا تفسوا في أمة وتشيع بين أفرادها إلا وفتكت بها وألحقتها بأخس أنواع الحيوانات، ومكنت فيها الجهل والسقوط والذل والمهانة والاستعباد"<sup>(5)</sup>.

1. أبو اليقظان، «نحن إلى التربية أحوج»، وادي ميزاب، ع3، (15-10-1926م).  
 2. أبو اليقظان، «متى يعالج المريض وهو يدعي أنه صحيح»، الأمة، ع36، (6-8-1935م).  
 3. أبو اليقظان، «إذا كان في الجوع موت الجسد ففي الجهل موت الروح»، المصدر نفسه، ع4، (9-10-1934م).  
 4. عبده، محمد، الأعمال الكاملة، ج1، تحقيق محمد عمار، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط1، ص155.  
 5. الإبراهيمي، محمد البشير، آثار الشيخ محمد البشير الإبراهيمي، ج1، ش، و، ن، ت، الجزائر، ط1، 1978م، ص140.

فالإعتاق والتحرر من قيد التبعية في بلد "كالجزائر"، لن يتم إلا على أساس من هذا التوجه في نظر "أبي اليقظان" -، بإعطاء العلم مكانته الخاصة في سلم الأولويات، ومن ثم فإن نظرة "أبي اليقظان" - في اعتقادنا- تصب في نفس المسار الذي أكد عليه رفاقه في الإصلاح بضرورة الاهتمام بالتربية والتعليم و فق معطيات وإمكانيات الأمة .

وقد كان هذا التوجه، في إصلاح التعليم سياسة ذكية، قاومت بها الحركة الإصلاحية مخططات الاستعمار الهادفة إلى طمس مقومات الأمة والنيل منها، ولعلنا نتساءل هنا عن موقف "أبي اليقظان" من التعليم الفرنسي والبديل الذي نادى به لحماية شباب الأمة من تيار الفرنسية ؟ .

## ثانيا: موقفه من التعليم الفرنسي و دعوته رجال الأمة لانتهاج سياسة تربوية موازية :

لم يتوقف "أبو اليقظان" لحظة عن انتقاد التعليم الفرنسي، فلطالما اعتقد الرجل أن الجهل والامية اللذين يعاني منهما المجتمع الجزائري ما هو في الحقيقة إلا نتيجة من نتائج الفعل الاستعماري الذي خطط له منذ البداية .

فلقد هاجم "أبو اليقظان" برامج التعليم الفرنسي، لكونها تقوم على مبدأ تلقين كل ما من شأنه انتقاص الدين الإسلامي والوطنية في نفوس الناشئة والتي تؤدي فوق كل هذا إلى هدم الروحيات التي تقضي بهم إلى الخروج من دائرة الانتماء يقول مؤكدا ذلك : « وتلك نتيجة طبيعية لتعليم برنامجه مؤسس على قلب وضعية الإسلام رأسا على عقب ( ) وهل ينتج غير هذا تعليم لا يذكر للغة العربية فيه ولا تاريخ للإسلام، وجغرافية بلاد الإسلام إلا عرضا، وهل ينتج غير ذلك تعليم قوامه إعلاء مجد أوربا وإحياء عظمتها ونشر لغتها وإتقان آدابها»<sup>(1)</sup>.

فموقف "أبي اليقظان" المعادي لهذا النوع من التعليم، قائم على عدم صلاحيته وجدواه، من حيث كونه لا يحقق لهم التربية الصحيحة والمنشودة التي تعني الاعتزاز بالدين واللغة والوطن.

والواقع أن سياسة "فرنسا" في هذا الإطار قامت على هذا الأساس، فقد عملت الإدارة الفرنسية منذ البداية على فرض نظام تربوي فرنسي على أنقاض النظام التربوي، العربي الإسلامي<sup>(2)</sup>، وخصصته في الغالب لأبناء المستعمرين الأوروبيين، في حين أن الذين نالوا حظهم من هذا التعليم ، فإن

<sup>1</sup> أبو اليقظان ، « أمات الرجال أم رفع القرآن؟ »، وادي ميزاب، ع119، (1-2-1929م).  
<sup>2</sup> حول هذه السياسة أنظر: تركي ، د، رابح، « سياسة فرنسا الاستعمارية من أجل تحطيم الكيان الجزائري والشخصية القومية للجزائر 1830-1962م »، الملتقى الدولي الأول حول ثقافة السلم في فكر عبد الحميد ابن باديس، 16-17-18-19 أبريل 2000م، قسنطينة ، ص 2 .

السياسة الفرنسية قامت على مبدأ تلقينهم كل ما يمجد "فرنسا" وينقص اعترازهم بمقوماتهم .

ولا يفتأ "أبو اليقظان" يذكر بأهداف هذا النوع من التعليم الفرنسي ، خاصة على فئة الشباب، فهو تعليم في جوهره يسعى إلى بث أفكار الإلحاد والزيغ في نفوسهم، ما يجعل هؤلاء كما يقول: « أشد خطرا على المسلمين من الأوروبيين أنفسهم »<sup>(1)</sup>.

وهو موقف - في اعتقادنا - لا يجانب الصواب ، فكل الجهود الاستعمارية وجهت ليس فقط لقتل المعاني السامية للدين الإسلامي في نفوس الناشئة ، بل والعمل أيضا لجعل هؤلاء معولا لهدم الوطن وضربه في الصميم، ولو بعض الزوايا والكتاتيب القرآنية التي كانت موجودة آنذاك، ودورها في حفظ القرآن ولغته<sup>(2)</sup>، لما تكون منها ثلة من المصلحين الذين أخذوا على عاتقهم كشف مخططات السياسة الاستعمارية وأهدافها .

وموقف "أبي اليقظان" المعادي للتعليم الفرنسي شبيه إلى حد بعيد بموقف "البشير الإبراهيمي" الذي لم يكن يرى فيه - التعليم الفرنسي - سبيلا للتحصيل العلمي الصحيح النافع ، بالقدر الذي كان يحمل في روحه، أهدافا استعمارية لتكوين فئة من الجزائريين، يسهل تطويعها لخدمة الاستعمار يقول في ذلك: "والتعليم الأجنبي على تفاهته في الكيف وقلته في الكم وعلى اضطرارنا إليه وإقبالنا عليه يسبقه جهل، وتفتن به آفات، وتعبه آفات، ومن بلغ إلى غايته أصبح بالصنعة متكرا لماضيه ودمه وقومه"<sup>(3)</sup>.

وقد حاول بعض الدارسين أن يعزو الحالة العلمية المتردية في "الجزائر" إلى ضعف الإمكانيات المادية مستبعدا بذلك الأثر الاستعماري

<sup>1</sup> أبو اليقظان ، « أمات الرجال لم رفع القرآن ؟ » ، وادي ميزاب، ع119.

<sup>2</sup> راجع كتاب : نسيب، محمد، زوايا العلم والقرآن بالجزائر، دار الفكر، بوزريعة ، الجزائر، طمطت .

<sup>3</sup> الإبراهيمي، محمد البشير ، عيون البصائر، ص303.

وسياسته، مما جعل "أبا اليقظان" يفند مثل هذه الأفكار ويرى أن هذا التعليل إنما يتكئ عليه أعداء العلم ودعاة الجهل وذلك للأسس التالية (1):

1. أن العلم إذا لوحظ في طلبه الضعف المادي على تسليم المدعى فإن البقاء على الجهل إفلاس و خراب .
2. أن الضعف المادي لم يمنع الزهاد في العلم من تبذير المصاريف في الكماليات والزوائد مثل الشاي والقهوة.
3. أن الضعيف الفقير إذا أحس حقيقة بضعفه، فإنه يعمل جهده ويسعى بما لديه في طلب أسباب القوة والغنى ولو كلفه ما كلفه .

إذن - فالحاجة و الفقر - في نظر "أبي اليقظان" - لم يكونا أبدا مدعاة لانصراف عن العلم ، بل قد يكونان سببا في غنى الإنسان، لذلك فإنه لطالما وجدناه يلاحق أولئك الأولياء الذين يسارعون إلى قطع أبنائهم عن الدراسة، إذ بلغ به الحد إلى وصفهم بقطاع الطرق والمجرمين ، فهم - في نظره - أشبه بمن حرث صابة ، فصوحت فلا هو نال غلتها ، ولا هو كسب راحة نفسه، فكانت هي تلك الآفة المبيدة التي أصابت التعليم في "الجزائر" (2).

وانطلاقاً من تحامله على التعليم الفرنسي فإن السبيل الأضمن - في نظره - للتخلص من التبعية التي يكرسها الاستعمار من خلال ثقافته الواحدة هو انتهاج سياسة تربوية تعليمية عن طريق فتح المدارس الحرة عبر كافة أنحاء القطر الجزائري بناء على قناعاته الراسخة بالدور الذي تلعبه المدرسة في نهضة الأمم، واعتبارها الوسيلة المثلى للتمكين لفكرة الإصلاح على أرض الواقع، وقد أكد على هذه الفكرة "محمد عبده" عند زيارته إلى "الجزائر" بالقول: "أن البعث الإسلامي في "الجزائر"، لن يتم إلا عبر

1. أبو اليقظان، «الصف الأمامي: أين تقاس رغبة الأمة في العلم والتعليم»، الأمة، ع72، (29-4-1936م).

2. أبو اليقظان، «ما هو حظنا من العلم»، وادي ميزاب، ع8، (19-11-1926م).

عملية تربية جيل مؤمن بمبادئ دينه وأن أية عملية سياسية تسبق هذه التربية لن تجد ثماراً طيبة<sup>(1)</sup>.

ويبدو أن مبررات دعوة "أبي اليقظان" لانتهاج سياسة التربية والتعليم كانت قائمة - أيضاً - على ما سجله من مفارقات بين أمة عدد سكانها أكثر من ستة ملايين ليس لها من المدارس إلا نحو ستون ألف طفل، في الوقت الذي لا يتجاوز عدد أبناء المستوطنين ستمائة وثلاث عشر ألف نسمة يصل عدد أبنائهم المتمدرسين إلى 136 ألف تلميذ<sup>(2)</sup>، وهو أمر يدعو إلى ضرورة النهوض بقطاع التربية والتعليم .

وتجاوز الحالة العلمية المتردية، والعمل على تحصيل العلم النافع،- في نظر "أبي اليقظان" - لا يمكن أن يتم بجهود فردية ومبادرات مستقلة، وإنما تستدعيه جملة من الاستعدادات المادية، والمعنوية تلتزم القيام بها طبقات المجتمع على اختلاف درجاتها من العلماء والأغنياء وأولياء التلاميذ، وأدوار هؤلاء كما بينها "أبو اليقظان" هي كما يلي<sup>(3)</sup>:

**أولاً: طبقة العلماء:** وهؤلاء يستوجب عليهم:

1. إزالة الشحناء والبغضاء بينهم، وتحليلهم بحلة الألفة والولاء، والإنصاف، حتى يمكنهم أن يعملوا متماسكين عملاً مفيداً، ويقدموا للأمة خدمات جليلة، إن لم يكن هذا بين الجميع فهو بين الجل منهم.
2. السفر والجولان في الأوساط العلمية الحية، واستطلاع الحركات القطرية وتتبع سير المدارس ونظاماتها، ومناهجها ومقارنة بعضها ببعض، حتى يمكنهم أن يستخلصوا منه خلاصة تكون نواة لنظام التعليم الملائم لذوق البلد والأمة.
3. درس نفسية البلاد، وما تمس إليه حاجتها من العلوم، وما هو المنهاج الملائم لذوقها وما هي الكتب التي تستلزمها.

<sup>1</sup> البيومي، محمد رجب، النهضة الإسلامية في سير أعلامها، المكتبة للعصرية، صيدا، بيروت، دط دت، ص 66.  
<sup>2</sup> أبو اليقظان، «إذا كان في الجوع ممت الجسد ففي الجهل ممت الروح»، الأمة، ع 4.  
<sup>3</sup> أبو اليقظان، «كيف أتوصل إلى العلم النافع»، وادي ميزاب، ع 9، (26-11-1926م).

4. توزیع الأعمال بینهم وقیام كل بما یفرضه علیه واجبه، ویقبله استعدادہ، لكن على قاعدة الإخلاص والإنصاف والمشاورة عند اللزوم ولا یتكلف أحد أكثر من استعدادہ.

ثانيا: أولیاء التلامیذ:

فهؤلاء من جملة المهام المنوطة بهم هو القیام على ما یتلزمه تعلیم أبنائهم من المصاريف والنفقات، على أن تساهم الأمة بالتكفل بأبنائهم إن تعذر على أولیائهم القیام بذلك.

ثالثا: طبقة الأغنیاء: وهؤلاء یلزم منهم:

1. ترك الإسراف والاستهتار فی اللذائذ والشهوات .
2. الاقتصاد فی سائر النفقات المعیشية والحیاتیة.
3. معرفة طرق البذل والإحسان وما هو الأجدر بالتقدیم فی المشاريع وما هو الأحق بالإعانة.

وكان " أبو الیقظان " على یقین أن هذه التصورات لن تجد أبعادها العملية إلا إذا أدركت فئات المجتمع قيمة العلم فی كسر قیود التبعية الأجنبية، وذلك لا یتم إلا « بتمزیق أغشية الجهل بالتعلیم الصحیح، فإن الجاهل بطرق الحیاة كالمتخبط فی الظلام لا یكون واثقا من نفسه، ولا بأعماله، مادام غیر عالم بموارد الأمور ومصادرہا، بخلاف المتعلم تعلمنا صحیحا فإنه یكون دائما على بینة من أمره لا تذبذب یعوقه»<sup>(1)</sup>.

بهذه النظرة الواعیة لقيمة العلم، ودوره فی تحقیق النهضة، وفی ظل الواقع الاستعماری، كان " أبو الیقظان " يدعو إلى ضرورة انتهاج سياسة التربية والتعلیم، وإقامة المدارس الحرة عبر القطر الجزائري، وقد كانت مساهمته مع غیره من المصلحین، فعالة آیة ذلك زیادة الوعي بین مختلف شرائح المجتمع، وقد أكد هذه الحقیقة أحد الدارسین من أن الدعوة كانت منصبه إلى " استنفار وطنی لعمل جماعی منظم لإنقاذ الشخصية العربیة

<sup>1</sup> أبو الیقظان، « الثقة بالنفس »، وادی میزاب، ع23، (11-3-1927م).

الإسلامية، بنشر المدارس الحرة في أنحاء القطر الجزائري بأسلوب حديث، ومناهج متطورة تكون جيلا متقفا صالحا للدنيا والدين"<sup>(1)</sup>.

### ثالثا: آراؤه في التربية والتعليم :

في سبيل النهوض بالمجتمع، وإخراج جيل محصن من تيار التغريب، حاول "أبو اليقظان" أن يدلي برأيه، ويرسم مع غيره منهجا، واقتراحات هي من صميم المنظومة التربوية، وقد بنى آراءه وتصوراته بناء على المعطيات والتحديات التي يواجهها المجتمع الجزائري، ويمكن أن نسجل هذه الآراء في النقاط التالية :

#### 1. نقده لمناهج وطرق التدريس :

مساهمة منه في إصلاح ، وبناء منظومة تربوية قوية وناجحة، تعرض "أبو اليقظان" بالنقد لمناهج وأساليب التدريس، فعلى مستوى المادة العلمية المقدمة في المدارس والمعاهد، عاب على القائمين عليها عدم اهتمامهم واعتنائهم بانتقاء المادة العلمية المناسبة لمستوى التلميذ، وسنه، وعاب على هذه المادة أيضا عجزها عن تحديد الكم المعرفي الذي يشبع حاجة التلميذ الدينية، والدينية، مما جعلها أبعد من أن تقدم علما أو تربية « فإنك لا تجد الاعتناء والاهتمام بانتقاء المادة العلمية الملائمة لسن التلميذ، وإمامه لحاجته الدينية والدينية، بل تجد أغلب الاهتمام بالقشور اللفظية والمباحث الفارغة الجوفاء لا تعطي علما ولا فكرة، ولا رأيا، ولا تكون تهذيبا ولا تربية »<sup>(2)</sup>.

وهذا النقد الذي وجهه "أبو اليقظان" للقائمين على التعليم، يدل على معرفة عميقة منه بأبعاد المنظومة التربوية، وخبائها، فقد مارس نشاط التدريس عن قرب، ومكنه أن يقف على مواطن الخلل في البرامج المقدمة.

<sup>1</sup> ناصر، د، محمد، المقالة لصحفية الجزائرية: نشأتها، تطورها، أعلامها، مج2، ش، و، ن، ت، الجزائر، دط، 1978م، ص31.

<sup>2</sup> أبو اليقظان ، « العلم والتعظيم الصحيحان »، وادي ميزاب، 6ع، (5-11-1926م).

وقد لاحظ هذا الخلل في البرامج المقدمة رفقاءه في الإصلاح، أمثال "عبد الحميد بن باديس"، و"الإبراهيمي"، و"بيوض"، ما يدل على أنهم جميعا ينطلقون في أفكارهم من نظرة إصلاحية موحدة.

وقد انجر عن هذا القصور على مستوى المادة المقدمة - حسب "أبي اليقظان" - آثارا سلبية فيما يقدم للتلميذ من جمود في القريحة، وخمود الفطنة، إلى قساوة القلب، وحرص الصدر، وفتور الأعضاء «حتى إذا قعد التلميذ أخذ النوم بمقاعد أجفانه، وإذا قام، قام وهو كالذي يتخبطه الشيطان من المس، لا يدري بما يلي ولا بما به مني»<sup>(1)</sup>.

وكما انتقد "أبو اليقظان" المادة المعرفية المقدمة للتلميذ، كذلك وجه انتقاده لطرق التدريس، ورأى أنها لا تؤدي إلى تحقيق المطلوب من التعليم، فهي أساليب عقيمة بعيدة تماما عن أنظمة وطرق التعليم الحديثة، وإلى جانب كونها تقتصر على الناحية اللفظية، فهي تعتمد على الحشو في المادة المعرفية المقدمة، مما جعلها عسيرة الهضم، الأمر الذي خلق بين التلميذ وما يقدم إليه هوة سحيقة «ترى إلقاء سلسلة جملة مقطعة الأوصال بالخروج عن الموضوع أو الاشتغال بغير الدرس والتلميذ في أثناء ذلك كالمريد أمام شيخه لا يبدي حراكا، كأنما على رأسه الطير، وإذا ما حاول أن يستفسر لاستيضاح مبهم أو استكشاف مغلق فسرعان ما يعد مماريا ومناظرا () وإن حمله الشغف للبحث واستجلاء الغامض حكم عليه بأنه معاند ومكابر، وحذر من محادثته ومجالسته»<sup>(2)</sup>.

ونعتقد أن "أبا اليقظان" في هذا السياق أراد أن يحذر من أمر كثيرا ما غفل عنه المعلمون وهو ضرورة إتاحة الفرصة للتلميذ ليعبر بحرية عن رأيه ويفصح عن قناعاته وميوله واهتماماته، الأمر الذي يمكن المعلم من التعرف على مواطن مواهب التلميذ واستعداداته الفطرية.

<sup>1</sup> أبو اليقظان، «العلم والتعليم الصحيحان»، وادي ميزاب، ع 6.

<sup>2</sup> نفس المصدر والعدد.

وحتى تؤدي طرق التدريس مهمتها في تنوير الجيل، يرى "أبو اليقظان" أن أسهل الطرق لجعل التلميذ يصل إلى كنه المادة المقدمة له، «أن يكون سهلا قصيرا مختصرا واضحا خال من المنعطفات والتعاريح والعقبات والأوعار»<sup>(1)</sup>، فلا شك أن المنهج كلما كان مبسطا كان ذلك من العوامل الناجحة لتحقيق الهدف المطلوب من إلقاء المادة التعليمية.

هذا العقم في المادة المقدمة على مستوى التعليم، لا يتحمل مسؤوليته - في رأي "أبي اليقظان" - القائمون بإعداد برامج التدريس، ووضع الخطط المنهجية فقط، بل هي أيضا مسؤولية المعلمين ذلك أن انعدام الكفاءة في الجانب العلمي والكمال العقلي، والخلقي، قد أسهم في التقليل من مردودية التعليم، لأنها من النواحي الأساسية التي تؤثر سلبا على العملية التربوية، وهذا ما توصل إليه "أبو اليقظان"، حيث أشار إلى أن التعليم الذي تلقاه المعلم «لم يبين على أساس ولم يرتكز على قاعدة نظامية وإنما كان مبعثرا جافا خاليا من روح التهذيب ونور التفكير»<sup>(2)</sup>. ولاشك أن هذا النوع من التكوين ينعكس بالضرورة على منهج التدريس، ومن ثم على التلميذ الذي لن يكون في الحقيقة إلا نسخة من معلمه.

وحتى تتحقق الغاية من عملية التدريس، والتي ترتكز على تنمية قدرات التلميذ، وتأهيله للنهوض بمجتمع أفضل، باعتباره محور العملية التربوية، فإن هذه النظرة المنشودة في حقيقة الأمر تستوجب تهيئة الأرضية الكفيلة بإنتاج مثل هذه القيادات، ولاشك أن المعلم يعد أحد هذه المرتكزات ذلك "أن شخصية المعلم تقوم بدور أساسي في عملية التوصيل والتعليم، فهي تؤثر تأثيرا قويا في نفسية المتعلم إيجابا وسلبا، ونعني بالشخصية هذه المميزات التي يتمتع بها المدرس في الناحية الخلقية

<sup>1</sup> أبو اليقظان، «العلم والتعليم الصحيحان»، وادي ميزاب، 6ع .

<sup>2</sup> نفس المصدر والعدد.

والتكوين العلمي والكفاية التربوية، فنجاح المعلم يتحقق بقدر ما يتوفر له في هذه الجوانب الثلاثة<sup>(1)</sup>.

وحتى يتم تجاوز هذا القصور على مستوى مناهج، وطرق التدريس، وكفاءة المدرس يرى "أبو اليقظان" لزوم خضوع النظام التربوي لعملية النقد والمراجعة وهو ما لخصه في قوله: «للاصول إلى الغاية العليا من الرقي والنهوض ومجارات الأمم يتعين تجديد أساليب التعليم القديم، وتأسيسه على الطراز الجديد في دائرة الشرع ( )، وذلك بتأسيس المدارس على النمط الحديث، وتهذيب الكتب الدراسية في سائر الفنون، وتطبيق نظم التعليم الجديد فيها حتى ينشأ منها نشء جديد متقف بثقافة الإسلام، ومزود بسلاح العلم والعرفان لهذا المعترك الحيوي، وإلا سنذهب غبار سنابك خيل الأمم الراقية»<sup>(2)</sup>.

والذي يبدو واضحا أن النظام التربوي التعليمي المنشود - في نظر "أبي اليقظان" - يجب أن يكون متميزا، بأن تكون هياكله وبرامجه وأساليبه مستمدة من روح أصالتها، العربية الإسلامية، كما لا ينفي ضرورة الانفتاح على ثقافات الغير والاستفادة منها على ألا تصطدم بمرجعيتنا الفكرية.

وهو من جهة أخرى يرى أن هناك جوانب أخرى يجب أن يشملها الإصلاح لعلاقتها الوطيدة بالنظام التربوي، الذي يهدف في الأخير إلى إخراج طاقات فاعلة للنهوض بالمجتمع الجزائري، وهذه الجوانب تتعلق بما يلي:

1. تحسين حالة المعاهد العلمية ماديا وأدبيا وتصييرها في شكل يستهوي نفوس الطلاب للإقبال على العلم ويكون ميولهم رغبة للعلم، وقابلية للهضم.

<sup>1</sup> بوحجم، د، محمد ناصر، «المعلم الكفء يحل كثيرا من مشاكل التعليم»، مجلة الحياة، 14، ص 88.

<sup>2</sup> أبو اليقظان، «أي هكذا»، البستان، ع 7، (13-6-1933م).

2. زيادة معاهد جديدة على نسبة السكان وقدر حاجتهم ، تبنى على شكل صحي وعلى الذوق الأهلي العصري.
  3. انتقاء الكتب العلمية القيمة النفيسة التي ألقت على آخر طراز مما وصل إليه البحث، والاختبار في كثير من الفنون.
  4. تأسيس مكاتب علمية عمومية في المراكز المهمة تجمع فيها أمهات الكتب، وثمار الفرائح، تبنى على نظام المكتبات العلمية العمومية في أنبلاد الرافقية.
  5. إرسال البعثات العلمية إلى منابع العلم والعرفان، ولا شك أنه لا يقصد هنا إلا تلك المراكز العلمية التي خرجت نخبة ممتازة من المصلحين "كتونس"، و"الحجاز"، و"القاهرة"، وغيرها<sup>(1)</sup>.
- فهذه الآليات، والوسائل بدون شك إن استخدمت استخداما صحيحا، فإنها ستساعد على إحداث عملية تفاعل بين المعلومة المستمدة من الكتاب، والبعثة، وبين الإنسان محور العملية التربوية.

## 2. تعليم المرأة:

لقد طرحت قضية تعليم المرأة كأحد الإشكالات الكبرى التي فرضت نفسها في المجتمع الجزائري، إذ خلص رجال الإصلاح على أن الجهل من الأسباب الرئيسية التي عطلت دور المرأة الفعال، لذلك أخذت الحركة الإصلاحية على عاتقها ضرورة الاعتناء بتعليمها، نظرا للنور الخطير الذي تضطلع به في تكوين الأجيال .

وقد كانت شروط النهضة، التي اضطلعت بتحقيقها المدرسة الإصلاحية في "الجزائر"، من الدوافع التي استدعت الاهتمام بالمرأة، لحمليتها من الثقافة الوافدة، التي استهدفت هدم المجتمع، ولعل المرأة كانت أحد العناصر التي أراد المستعمر أن تكون "وسيلة ينوب على إثرها

المجتمع الجزائري في المجتمع الفرنسي عن طريق اجتذابها إلى ثقافته الغربية"<sup>(1)</sup>.

وقد جاءت عناية "أبي اليقظان" حول تعليم المرأة، منطلقة من هذه القناعة، فلقد دعا إلى تعليمها، شأنها في ذلك شأن الرجل، كيف لا ودورها لا يستهان به في عملية البناء، وتربية النشء وإعداده، متى كانت المرأة محصنة بعاملتي التربية والتعليم.

وإذا كان "أبو اليقظان" من الداعين إلى تعليم المرأة، فإننا نتساءل عن نوع التعليم الذي يقره لها؟ إن "أبا اليقظان" يرى في هذا الإطار أن تخصص بتعليم يتفق مع فطرتها، ويتناسب مع وظيفتها، ويساعدها على القيام بمسؤوليتها كزوجة أولا ومربية أجيال ثانيا، وذلك بتلقينها بعض العلوم الشرعية، التي تحقق لها الحصانة الدينية، وشيئا من التاريخ الإسلامي، كسيرة النبي ﷺ، وصحابته يقول في ذلك: « وماذا يطلب من المرأة أكثر من أن تعلم أمور دينها، ولغتها، وآداب أمتها، وتعرف المجد الأثيل الذي يجب حفظه لا إتلافه »<sup>(2)</sup>.

وهذه النظرة شبيهة بنظرة "عبد الحميد بن باديس" الذي أكد أيضا على هذا التوجه في تعليم المرأة، بأن يكون قائما على أساس الدين والأخلاق فقد كتب قائلا: "والطريق إلى هذا هو التعليم، تعليم البنات تعليما يناسب خلقتهن ودينهن، وقوميتهن، فالجاهلة التي تلد أبناء للأمة يعرفونها مثل أمهاتنا - عليهن الرحمة - خير من العالمة التي تلد "للجزائر" أبناء لا يعرفونها"<sup>(3)</sup>.

ويبدو واضحا - إذن - أن "أبا اليقظان" ضد تعليم المرأة، تعليما خارج إطار التعليم الديني، لأن ذلك - في نظره - يبعدها عن دورها الرئيسي المتمثل في رعاية البيت، وشؤونه.

<sup>1</sup> ثلبي، د، أحمد، موسوعة التاريخ الإسلامي، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ط7، 1947م، ص237.

<sup>2</sup> أبو اليقظان، « المرأة الجزائرية والحجاب » وادي ميزاب، ع62، (23-12-1927م).

<sup>3</sup> الطالبي، د، عمار، ابن باديس حياته وآثاره، ج2، دار البيضة العربية، الجزائر، ط1، 1968م، ص469-470.

- ونعتقد - أن إصرار "أبي اليقظان" بالاكْتفاء بتعليم المرأة ما يوافق فطرتها له مبرراته، ودوافعه، خاصة إذا ما نحن استحضرننا الواقع الاستعماري، الذي كان الاستعمار يعمل لتكريسه، ويجهد لتكوين فئة من الجزائريين يستخدمها معولا لهدم الوطن، لذلك كان الخوف على المرأة من أن ترتمي في أحضان التيارات الوافدة أوكذ، وأوجب في مثل هذه الظروف.

### 3. أهداف التربية والتعليم:

ترتبط أهداف التربية إلى حد بعيد بتركيبة الشعوب، وطرق تفكيرها، وبيئتها، إذ غالبا ما تكون هذه الأهداف مستقاة من المعادلة الاجتماعية لكل أمة، والسياسة العامة لكل دولة.

وبناء على ذلك، فإن الأمم المتقدمة تهدف من خلال سياستها التربوية إلى المحافظة على استقرارها في المستويات المختلفة الاجتماعية، والاقتصادية، والسياسية، في الوقت الذي تسعى فيه المجتمعات المتخلفة من خلال جهودها التربوية إلى تحقيق بقائها عن طريق التخلص من تبعيتها للأمم المتقدمة، ومحاولات خلق مؤسسات جديدة تتفق ومنظومة قيمها وعاداتها وتقاليدها.

وإذا كانت مناهج التربية كلها - تقريبا - تلتقي في هدف متشابه وهو إعداد الفرد الصالح للحياة<sup>(1)</sup>، وتوجيه قدراته وطاقاته لخدمة مجتمعه، فإن "أبا اليقظان" يطرح تساؤلا هو في صميم العملية التربوية فيقول: «إذ كانت كل أمة تكيف مناهج التعليم حسب غاياتها، فما هي الكيفية التي يجب أن نكيف بها مناهجنا في التعليم نحن المسلمين في شمال إفريقيا؟ إنها بلا شك أن تكون وفق ضرورياتنا، وحاجاتنا لا وفق ضروريات غيرنا»<sup>(2)</sup>.

<sup>1</sup> مذكور، د، أحمد علي، منهج التربية الإسلامية: أصوله وتطبيقاته، مكتبة الفلاح، دم، ط1، 1987، ص269.

<sup>2</sup> أبو اليقظان، «قبل أن نأخذ في التعليم يجب أن ننتبه» «الأمة»، ع16.

وإقرار "أبي اليقظان" بأن تكون هذه المناهج وفق ضروريات الأمة، وحاجاتها، يؤكد على ضرورة ألا تخرج مناهج التربية في أهدافها، وأبعادها عن تصورات الأمة الجزائرية، وخصائصها العربية الإسلامية. وإذا ما نحن استحضرننا الواقع الذي كانت تعيشه "الجزائر"، تحت وطأة الاستعمار الذي ضرب بأطنابه، وأوجد بين أبناء البلد الواحد أسباب الفرقة والعصبية، أمكننا الوقوف على الأهداف التي نادى بها "أبو اليقظان" على شاكلة غيره من رجال الإصلاح، والتي تكمن في « إعداد شبان نافعين يواجهون الحياة العملية بضمير وصبر، ويحلون مشاكل الوجود بحكمة، وشجاعة، ويصلحون لأن تتكى الأمة عليهم في المهمات، والنوازل، ولن يكون شيء من هذا إلا بتربية النفوس على آداب الإسلام، وإشربها من عهد الصغر ثقافة الإسلام»<sup>(1)</sup>.

وهكذا يتبين أن الجهود في نظر "أبي اليقظان" - يجب أن توجه لبناء جيل يؤمن بأصالته العربية الإسلامية، بدءا من اعتزازه بلغته، ودينه إلى ضرورة معرفة تاريخ بلاده، وقد أكد "محمد ناصر"، على هذه الفلسفة التي اتجهت نحوها أهداف التربية والتعليم في "الجزائر"، إذ يقول: "أصبحت الدعوة إلى التعليم دعوة لها أصولها، وفلسفتها، وأهدافها البعيدة، وبات الكتاب في هذه المرحلة - وأكثرهم من رواد الحركة الإصلاحية - يهدفون إلى إعطاء محتوى محسوس للثقافة العربية الإسلامية، وجعل الشباب مؤمنا بأصالته الحضارية"<sup>(2)</sup>.

وبالفعل، فإننا إذا أردنا أن نرى مدى تطابق هذه الأهداف التي توخاها غيره من المصلحين، وجدناها لا تخرج عن هذا التصور، "فالإبراهيمي" - مثلا - كان يرى أن الغاية من المدرسة " هي تربية الجيل وتعليمه، غاية التعليم هي تثقيفه في دينه ولغته، وتعريفه بنفسه بمعرفة

<sup>1</sup>. أبو اليقظان، « مذكرة في طلب العناية بالتعليم الديني والتربية الدينية بالمدارس المصرية »، الأمة، ع43، (24-9-1935م).

<sup>2</sup>. ناصر، د، محمد، للمقالة الصحفية الجزائرية، مج2، ص33.

تاريخه"<sup>(1)</sup>، وهو المقصد الذي تبناه "عبد الحميد بن باديس"، فالرأي عنده هو "تعليم هذا الجيل الحقائق الشرعية كي ينشأ عليها ويعد لميادين الحياة الشاقة"<sup>(2)</sup>.

وإذا ما تحقق للمجتمع استقراره كان الهدف البعيد الذي ترمي إليه المنظومة التربوية، هو إعداد اختصاصيين في كل المجالات «نحن في حاجة إلى تكوين رجال اختصاصيين في التعليم، في الطب، في المحاماة، في الاقتصاد...»<sup>(3)</sup>.

فالفكر اليقظاني يؤمن -إنن- بالمرحلية في تحقيق أهداف التربية والتعليم، بناء على المرحلة الحرجة التي تمر بها البلاد، فمتى حافظ واستعاد الجيل مقوماته الذاتية، أمكن له أن يقتحم ميادين الحياة، ويساهم في تسريع عجلة النهضة.

#### 4. الدعوة إلى الاهتمام بالتربية الإسلامية:

جاء اهتمام "أبي اليقظان" بالتربية الإسلامية، أو التعليم الديني مثملاً عبر عنه بذلك أساساً من كونه عاملاً قوياً من عوامل المحافظة على الذات الحضارية للإنسان المسلم، والوقوف في وجه أمواج التغريب الطاغية ومقاومة القوى الاستعمارية.

ومما يجسد هذا الاهتمام، المذكرة التي أرسلها بوجوب الاهتمام بالتعليم الديني في المدارس المصرية\*، ويظهر ذلك جلياً في قوله «إننا ننتهز هذه الفرصة السانحة لنقوم بواجبنا في استرعاء أنظاركم الكريمة إلى أمر لا بد منه في إصلاح التعليم، ذلك هو ضرورة الإسراع بوضع سياسة على أساس العناية بالدين الإسلامي تربية وتعليماً»<sup>(4)</sup>.

<sup>1</sup> الإبراهيمي، محمد البشير، عيون البصائر، ص 304-305.

<sup>2</sup> ابن باديس، «الشهاب»، ج 1، مج 13، مارس، 1937م، ص 5-7.

<sup>3</sup> أبو اليقظان، «قبل أن نأخذ في التعليم يجب أن ننتبه» الأمة، ع 16.

\* يبدو أن أبا اليقظان لا يخص المذكرة المدارس المصرية فقط وإنما كل البلدان العربية والإسلامية.

<sup>4</sup> أبو اليقظان، «مذكرة بطلب العناية بالتعليم الديني في المدارس المصرية» الأمة، ع 42، (17-9-1935م).

ويبدو أن مبررات دعوة "أبي اليقظان" إلى ضرورة الاهتمام بالتعليم الديني أو التربية الإسلامية تكمن فيما يلي:

أ. المبرر التربوي الذي يهدف إلى تكوين الشخصية الرسالية: وذلك كما يقول: « عن طريق تقويم الأخلاق، وتركيز النفوس، وتوجيه البشر إلى اعتناق العقائد الراشدة، والمبادئ السليمة، والأعمال الصالحة »<sup>(1)</sup>.

ب. المبرر الحضاري بالاقتراب من النموذج التربوي المطلوب في العهد النبوي، حيث يؤكد ذلك في قوله: « ذلك أن التربية الإسلامية جربت، وأعيدت تجربتها من الأمم المتبدية، والمتحضرة على السواء، وكان لهذا النجاح دوي هائل في التاريخ، وروعة أخاذة في الوجود، وتحول مدهش في العالم، وانتقال سريع في حدود الممالك، وحياة جديدة لبني الإنسان »<sup>(2)</sup>.

ج. عيوب الثقافة الدينية: وهو ما سجله "أبو اليقظان" من اعتبار الدين مادة إضافية في المدارس أمرها موكول إلى رغبة الطالب إن شاء أقبل عليها، وإن شاء أدبر عنها<sup>(3)</sup>.

بناء على هذه المبررات، ضمن "أبو اليقظان" المذكرة بشأن التعليم الديني جملة من المقترحات لإصلاح هذا الخلل كمساهمة جادة منه لإعادة الاعتبار لهذه المادة ضمن المنظومة التربوية.

أولاً: إلزامية تعليم التربية الإسلامية: وذلك بإدراجها ضمن المقررات والبرامج الدراسية، واعتبارها مادة أساسية على شاكلة غيرها من المواد « وأن يقرر تعليم الإسلام في المدارس على أنه مادة أساسية مهمة، بمعنى أن يكون داخل الجدول لا خارجه »<sup>(4)</sup>.

وهي دعوة صريحة بضرورة الاهتمام بالإسلام، وإعطائه المكانة اللائقة به، فقد تبين له من استقرائه لواقع المنظومة التربوية أن عدم إجبارية تعليم الإسلام في المدارس أدى إلى التقليل من شأنه باعتباره مادة

<sup>1</sup> أبو اليقظان، « مذكرة بطلب العناية بالتعليم الديني في المدارس المصرية »، الأمة، ع42.

<sup>2</sup> نفس المصدر والعدد.

<sup>3</sup> نفس المصدر والعدد.

<sup>4</sup> نفس المصدر والعدد.

إضافية، يؤكد هذا بالقول « لأنه ثبت بالتجربة الطويلة الصادقة أن الطلاب لا يعيرون المواد الإضافية أهمية، ولا يتلقتون إليها إلا بمقدار ما فيها من لهو أو متعة »<sup>(1)</sup>.

وإصرار "أبي اليقظان" على جعل مادة التربية الإسلامية مادة أساسية، فلما للدين من القدرة على ضبط سلوك الفرد، وقمع شهواته، ومن ثم فهو يرى ضرورة « دفع التلميذ دفعا إلى أن ينهل من مناهل الإسلام، بأن تفرض مادته فرضا »<sup>(2)</sup>.

ويقترح إضافة إلى ذلك بأن تكون مقياسا يتوقف عليه نجاح التلميذ، حتى يقبل عليها بمقدار ما تحمله من أهمية « وتحرك عزيمة إلى العناية بها طول السنة الدراسية »<sup>(3)</sup>.

ثانيا: أن تبرمج في أوقات مناسبة من الرزنامة: بمعنى ألا تدرج في الساعات الأخيرة من الحصص، بعد أن يكون التلميذ قد أثقل ذهنه بالمواد الأخرى، واستعدت نفسه إلى الخروج.

وهذه النظرة العميقة في ضرورة برمجة التربية الإسلامية في أول الحصة، لها دلالتها العظيمة، فالتلميذ وهو يتأهب للذهاب إلى المدرسة يكون أكثر نشاطا، واستعدادا من حيث القدرات العقلية، ولا يخف "أبو اليقظان" التصريح عن ذلك « ذلك أن أول اليوم هو وقت النشاط الذهني، ووفرة الإقبال، ثم إن التبكير بحصة الدين فيه يحافظ لضمير التلميذ وتذكير له بالله تعالى في فاتحة عمله »<sup>(4)</sup>.

ثالثا: أن تسند مهمة تدريس مادة التربية الإسلامية إلى ذوي الكفاءة والاختصاص والسلوك السوي: « فلا يليق بحال أن تسند دراسة أبطال الإسلام، ولو في ثنايا التاريخ العام إلى أساتذة لا يؤمنون بعظمة

<sup>1</sup> أبو اليقظان، « مذكرة بطلب العناية بالتعليم الديني في المدارس المصرية »، الأمة، ع43.

<sup>2</sup> نفس المصدر والعدد.

<sup>3</sup> أبو اليقظان، « مذكرة بطلب العناية بالتعليم الديني في المدارس المصرية »، المصدر نفسه، ع42.

<sup>4</sup> نفس المصدر والعدد.

الإسلام، وأبطاله، فإن هذا مؤذ لشعور المسلمين ومضر بعقيدتهم، بعيد عن تحقيق الغاية المرجوة»<sup>(1)</sup>.

فغياب التخصص، وغياب الحس الحضاري لدى مدرس هذه المادة، قد أدى إلى ما يسمى عند بعض المفكرين بالعمق، وعدم الإنتاج<sup>(2)</sup>، وحال دون تنشئة النماذج الرسالية، وتوجيه طاقاتها نحو استئناف دورها في تحقيق الرسالة المنوطة بها.

وضرورة توفر صفة القدوة لدى مدرس مادة التربية الإسلامية من الأمور المهمة، وقد أشار إلى هذه النقطة "إبراهيم بيوض"، حين انتقد أسلوبهم بالقول من أنه: "يعوز أغلبهم الحماس الديني، والالتزام بتعاليمه، وهم بالتالي لا يتعاملون مع النص الديني إلا بطريقة باهتة لا حرارة فيها"<sup>(3)</sup>.

رابعاً: توجيه تعليم التربية الإسلامية إلى فئة الشباب: فكل فرد ينشأ مزوداً بعاطفة دينية نابغة من فطرته، وهي موضع اعتزازه وتقديسه، وإحدى الخواص اللازمة لطبائعه الراسخة<sup>(4)</sup>، فإذا زود بهذه المعارف، زادت في تنمية القيم لديه.

ويخص "أبو اليقظان" فئة الشباب بالضبط، فذلك لإدراكه ما تحمله هذه الفترة من خطورة، مما يستوجب فرض نوع من الرقابة الضابطة «ويجب توجيه عناية ممتازة إلى الطلاب والطالبات في سن المراهقة، لأن هذا الدور هو أخطر الأدوار في حياة الناشئين والناشئات، بشهادة رجال التربية وعلماء النفس، إذ هو دور الانتقال في حياة الإنسان وأدوار الانتقال هي أخطر ما يكون في حياة الأفراد والأمم»<sup>(5)</sup>.

<sup>1</sup> أبو اليقظان، «مذكرة بطلب العناية بالتعليم الديني في المدارس المصرية»، الأمة، ع42.  
<sup>2</sup> حسنة، د، عمر عبيد، مراجعات في الفكر والدعوة والحركة، دار الهدى للطباعة، عين مليلة، الجزائر، دط، ص66.  
<sup>3</sup> بيوض، إبراهيم، حديث الشيخ الإمام، إعداد وتنسيق محمد إبراهيم سعيد كعباش، الحلقة الأولى، جمعية النهضة، غرداية، الجزائر، دط، 1992م، ص31.  
<sup>4</sup> السايح، أحمد عبد الرحيم، بحوث في مقارنة الأديان، دار الثقافة، الدوحة، ط1، 1931م، ص33.  
<sup>5</sup> أبو اليقظان، «مذكرة بطلب العناية بالتعليم الديني في المدارس المصرية»، الأمة، ع44، (1-10-1935م).

ويضيف « والمرء في سن المراهقة وبدء الشباب تنبه فيه الغرائز الجنسية، وتتيقظ فيه الشهوات الجامحة، ويكون مستعدا للاستجابات الطبيعية النازلة، فإهماله في هذا الحال في تقوية الوازع الديني، والأدبي لا يفسر إلا بأنه جناية عليه»<sup>(1)</sup>.

**خامسا : الجمع بين التعليم الديني والتربية الإسلامية :** بمعنى أن يكون هناك تكامل بين التعليم والتربية، فإذا كانت التربية «هي التطبيق العملي الذي يربي النفس بالتمرن ويقوم الأخلاق بال تعود»<sup>(2)</sup>، فإن التعليم هو القناة الموصلة لهذا النوع من التربية المنشودة، ومن ثم فلا يجب تركيز الاهتمام بالتعليم على حساب التربية ذلك «أن حشو أذهان التلاميذ بالمعلومات لا يغنيهم غناء، إلا إذا ذاقوا فائدتها بالتطبيق»<sup>(3)</sup>.

ونعتقد أن ما نراه اليوم من الإصابات التي لحقت مؤسساتنا التربوية، هو ذلك الانفصام الواضح على مستوى المعلومة، وسلوك الفرد فإذا هي قدمت علما يحفظ، لم تقدم تربية، وإن قدمت تربية، لم تقدم علما<sup>(4)</sup>، مما أدى إلى السلبية في التعامل مع واقع الحياة، وإنتاج النماذج السلبية التي تنفر بسلوكها بدلا من أن تغري .

**سادسا : إصلاح مناهج التعليم الديني:** بمعنى أن توسع أبوابه، وتكون شاملة لجميع المواضيع الخاصة بمحاوره «يعنى بمنهج التعليم الديني فتتسع أبوابه، وتشمل كل ما يحتاج إليه التلميذ في العقيدة، والخلق، والعبادة، والحياة العملية»<sup>(5)</sup>، فهي كما حددها "أبو اليقظان" كل ما يتعلق بالعقائد، والأخلاق، والعبادات، والمعاملات.

وقد أشار "أبو اليقظان" إلى مسألة، وهو وإن لم يدرجها في سياق مقترحاته، فإنها- في اعتقادنا- تعتبر بالغة الأهمية إذ كثيرا ما يتغاضى

1. أبو اليقظان، «مذكرة بطلب العناية بالتعليم الديني في المدارس المصرية»، الأمة، ع44.

2. نفس المصدر والعدد.

3. نفس المصدر والعدد.

4. حسنة، د، عمر عبيد، مراجعات في الفكر والدعوة والحركة، ص75.

5. أبو اليقظان، «مذكرة بطلب العناية بالتعليم الديني في المدارس المصرية»، الأمة، ع44.

عنها المشرفون على المنظومة التربوية، وهي أن عدم الاهتمام بضرورة التوفيق بين التعليمين الديني والعصري قد أدى إلى ازدواج في الثقافة، وأوجد نموذجين من المتعلمين «ذلك أن بعض أبناء هذه الأمة يتربون تربوية دينية في الأزهر، والمعاهد الدينية، أو على أيدي المتخرجين من الأزهر، والمعاهد الدينية، فينطبعون بطابع الإسلام، وتتأثر حياتهم ومشاعرهم به، بينما البعض الآخر يتربون تربوية مدنية فقط، فينطبعون بطابع يجافي الدين، وتتأثر بهذا الطابع المجافي حياتهم، ومشاعرهم أيضا»<sup>(1)</sup>.

وإذ يقر "أبو اليقظان" بخطورة الوضع، فلكونه أحد العوامل انقوية في تصدع الأمة، وأحد نتائج الوخيمة التي انجر عنها صراع أبناء الجيل الواحد، وعليه فإن تجنب هذه المنزلاقات، لن يكون إلا بالجمع بينهما وذلك:

1. بإدخال العلوم الدينية ضمن مقررات ومناهج المؤسسة التي تتبنى تدريس العلوم المدنية، بشكل لا يطغى عليها ولا ينقص من حقها.

2. إدراج العلوم المدنية ضمن برامج المؤسسات التربوية التي يقتصر التعليم فيها على المعارف الدينية بشكل لا يبخس حقها<sup>(2)</sup>.

وقد تنبه إلى هذا الخلل الواضح في المنظومة التربوية أحد كبار المفكرين، الذي كان يرى أن تقسيم العلوم إلى "دينية" وأخرى "دنيوية" يقوم على أساس نظرية فصل الدين عن الحياة، وهي نظرية بلا شك تتعارض مع الإسلام الحنيف<sup>(3)</sup>.

نخلص إلى القول أن اهتمام "أبي اليقظان" بهذا الجانب من التعليم الديني حتمته ضرورات الواقع، والتحديات التي تعيشها ليس "الجزائر" فحسب، بل وغيرها من الدول العربية الإسلامية، ذلك أن معظم هذه المجتمعات، كانت تمر بواقع مشترك واحد هو الاستعمار، ما يستوجب

1. أبو اليقظان، «مذكرة بطلب العناية بالتعليم الديني في المدارس المصرية»، الأمة، ع42.

2. نفس المصدر والعدد.

3. مذکور، د، أحمد علي، منهج التربية الإسلامية أصوله وتطبيقاته، ص290.

ضرورة التصدي لكل محاولة للنيل من مقومات الأمة العربية الإسلامية  
وخصائصها.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

## المبحث الثاني : الصحافة و دورها الإصلاحي في فكر

### "أبي اليقظان"

تمهيد :

مما لا جدال فيه أن ميل "أبي اليقظان" للصحافة لم يكن وليد تكوين إعلامي، وإنما هو شعور رافقه مع مرحلة التعلم، إذ كان شغوفاً بمطالعة الصحف والمجلات، ويتابع كل ما كان ينشر فيها من أحداث خاصة ما تعلق بقضايا العالم العربي والإسلامي وقد كتب "أبو اليقظان" مصرحاً عن هذه الثروة المعلوماتية التي اكتسبها بالقول: « فأول ما استيقظت عندما التفت إلى جريدة " الزهرة" اليومية في حوادث الحرب الطرابلسية ، ثم نشأ هيامي بجرائد الشرق، "مصر" و"الشام" و"العراق" و غيرها، فكنت مولعاً بتتبع جرائد اللواء المصري" ، للأستاذ "أحمد و فيق" ، وسائر مجلات الشرق، فكنت مولعاً بسائر الجرائد والمجلات التي تصدر عن الشرق و"وادي النيل"، عندما قامت حرب "البلقان"، وذلك مثل جريدة "الحق"، ومجلة "الشيخ عبد العزيز جاويش" ومجلة "المنار"»<sup>(1)</sup>.

فهذا الكم من الجرائد والمجلات الذي ذكره "أبو اليقظان"، يؤكد على أنه بالرغم من الحصار المفروض على "الجزائر"، فإن ذلك لم يمنع من تسربها نحو الداخل عن طريق المهاجرين أو الحجاج<sup>(2)</sup>.

وكانت أولى محاولات "أبي اليقظان" في مجال الصحافة، أن تطلع إلى تحرير صحيفة كان قد أسماها "قوت الأرواح" وأرسلها إلى الحاج "عمر العنق" مبادلة على صحيفة كان قد أرسلها هذا الأخير "لأبي اليقظان" بعنوان "الرحيق المختوم"<sup>(3)</sup> وكان ذلك عام 1913م .

<sup>1</sup> سيف الإسلام، الزبير، « آخر حديث لعميد الصحفيين المرحوم أبي اليقظان »، مجلة الأصالة، ع14-15، ص283-

284.

<sup>2</sup> سيف الإسلام، الزبير، تاريخ الصحافة في الجزائر، ج1، ص50.

<sup>3</sup> أبو اليقظان، تاريخ صحف أبي اليقظان، ص3، و أبو اليقظان، نشأتي، دون ترقيم.

وقد شهد "سليمان الباروني" "أبي اليقظان" بهذا المجهود الصحفى، وهو ما شجعه ليدخل معترك الصحافة أثناء تواجده "بتونس"، فقد حركت "تونس" فى نفسه أحاسيسه الوطنية، و ألهبت نزعتة تلك ما كان يراه على أعمدة صحافتها من نضال قومي و شعور وطني، فكان يساهم بالمقال والشعر على صفحات "المنير" التونسية، و"لسان الشعب" و"المنتقد" "لابن باديس" و"النجاح" "العبد الحفيظ الهاشمي" و"الفاروق" "العمر بن قنور"، وهو ما أكد عليه "أبو اليقظان" بنفسه (1).

على أن الممارسة الجادة فى مجال الصحافة تمثلت فى إصداره لثمانى جرائد جزائرية، و نعتقد أن دوافع دخول "أبي اليقظان" الممارسة الصحفية تنحصر فيما يلي :

**أولاً :** اشتداد المعارضة ضد البعثة العلمية الموفدة من "ميزاب" إلى "تونس"، والتي كان يرأسها "أبو اليقظان" وكان مما أحدثته المعارضة تشويش عقول العامة من الناس بما ألصقته من التهم ضد منظمى البعثة، فكان السبيل لإخماد صوت هؤلاء هو إصدار صحيفة لتوعية الرأي العام وإبراز الفوائد التي تجنيها الأمة من هذه البعثات.

**ثانياً :** قرار المجلس الدولي "بفرنسا" عام 1925م بإلغاء مطلب الميزابيين إعفاءهم من التجنيد الإجباري، والذي كانت قد ألزمت به الجزائريين سنة 1912م، وقاومه اميزابيون بحكم معاهدة 1882م (2).

على أننا نعتقد أن هناك دافعا آخر لدخول "أبي اليقظان" معترك الصحافة وهو تأثير الأحداث التي كان يمر بها العالم العربي والإسلامي فى نفس "أبي اليقظان"، وهو ما ذهب إليه "بوحجام محمد ناصر" (3).

1. سيف الإسلام، الزبير، « آخر حديث لعميد الصحفيين، المرحوم أبي اليقظان »، مجلة الأمانة، ع14-15، ص286 وبوحجام، د، محمد، ناصر، أبو اليقظان فى الدوريات العربية، ص118.

2. أبو اليقظان، تاريخ صحف أبي اليقظان، ص10.

3. بوحجام، د، محمد ناصر، حياة الشيخ أبي اليقظان. ص14.

وتبعاً لهذه الدوافع، قرر "أبو الیقظان" إصدار أول صحیفة سنة 1926م، مساهمة منه فى التوعية العامة للمجتمع، فكیف نظر الرجل إلى الصحافة؟ وما هی شروط العمل الصحفى الناجح؟ وهل جسدت مضامین صحافته قناعاته وتصوراتہ؟

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

## أولاً: مكانة الصحافة وقيمتها فى فكر "أبى اليقظان"

ما تزال الصحافة من أهم الوسائل تأثيراً فى المجتمع، إذ لم تعد مجرد صناعة تجلب الربح المادى، والشهرة لأصحابها، و محرريها، وإنما هي " قوة تصنع الرأي العام فى الأمة، وتربطها بمصالحها الوظيفية، وتصنع المجتمع الذي يعرف كيف يشكل الحياة و يتفاعل معها "(1).

لذلك استخدمتها الأمم المتحضرة كأداة وصل بينها وبين الناس، لتعريفهم بما يدور داخل الدولة من انشغالات هي من اهتمامات المواطن، وقد تفتنت الدول المستعمرة لقيمتها فاستخدمتها للتعبير عن قضايا مجتمعاتها وتبصير شعوبها.

ولم تتخلف "الجزائر" عن هذا الركب، إذ رافقت الصحافة جهود المصلحين منذ ظهور الحركة الإصلاحية، بعد أن تأكد لهم أن المدرسة والنوادي والجمعيات والمساجد لم تعد كافية للنهوض بالمجتمع، فكان لزاماً عليهم أن يجدوا منبراً أكثر جدوى لإيصال أفكارهم إلى نطاق أوسع فكانت الصحافة أحد هذه المنابع، وقد كتب "الميلي" عن أهمية الصحافة مؤكداً أن " من أهم الخطط، وأهم الوسائل، لتحقيق الغايات ونشر الدعوات، إنشاء الصحف السيارة التي تحفظ جيداً الأقوال، وسديد النظريات وتدخل بها على الطالب في مسكنه، وعلى التاجر في متجره، وعلى الصانع في مصنعه، وعلى الملاً في ناديهم، و على المسافرين في مراكبهم"(2).

وكان "أبو اليقظان" على شاكلة رفيقه فى الإصلاح "مبارك ميلي"، يجزم جزماً قاطعاً بالدور النهضوي الذي يمكن أن تقوم به الصحافة إلى جانب النوادي والمساجد والمدارس فهي كما يقول: « الأم المثقفة لأولادها، والمدرسة السيارة المهذبة لأبنائها والمعلم النصوح

<sup>1</sup> محمد عمر، د، نوال، دور الإعلام الدينى فى تغيير بعض قيم الأسرة الريفية والحضرية، مكتبة نهضة الشرق، القاهرة، دط 1984م، ص82.

<sup>2</sup> ميلي، محمد مبارك، جريدة البصائر، ع84، (29-10-1937م).

لتلاميذه، والمرشد الحكيم لمريده والطبيب الحانق لمرضاه، والمصلح الكبير لشعبه»<sup>(1)</sup>.

وتبعاً لهذه القناعة التي ترسخت لدى الرجل، فيما يمكن أن تقدمه الصحافة للمجتمع، فإنه كتب عدة مقالات لتوجيه الرأي العام لتقريبهم من الصحافة، وتحبيبهم إليها حتى بلغ به الحد إلى وصفها «بالمستشفى المتنقل المحتوي على أطبائه وأدواته، وأدويته»<sup>(2)</sup>، وفي موضع آخر اعتبرها «كالمدرسة السيارة في البر والبحر والهواء»<sup>(3)</sup>، مالا يدع مجالاً للشك من هذه الأهمية التي تمتلكها الصحافة.

ونعتقد أن استنفار "أبي اليقظان" لتعريف الناس بدور الصحافة كان وليد عوامل متعددة، يبرز عامل الجهل على رأسها، فقد وجد الرجل أن الجهل قد جثم في نفوس العامة من الناس ما جعلهم يبتعدون عن قراءة الصحف، وتتبع محتوياتها، ولم يتردد عن التصريح بهذا الواقع الذي تعيشه الصحافة بالقول: «ومن العجيب أننا نرى كثيراً من الناس تشمئز نفوسهم من الجرائد وما تصرف منها وينفرون من رؤيتها وسماعها نفور الشقي من صحيفة أعماله، وقد يبلغ بهم الحال إلى حد شتمها»<sup>(4)</sup>.

على أن هذا الواقع الذي تحدث عنه "أبو اليقظان"، قد تغير بانتشار الوعي بين أوساط المجتمع الجزائري، وعرفت الصحافة انتعاشاً وتطوراً، دل على ذلك الزيادة في عدد توزيع الصحف<sup>(5)</sup>.

ويلح "أبو اليقظان" على عامل آخر من عوامل عزوف الناس عن قراءة الصحف واقتنائها، وهو الذي يبرز في الموقف المعادي لخصوم الحركة الإصلاحية، من الصحافة العربية بتأليب الإدارة الفرنسية تارة، واستغلال جهل عامة الناس بقيمة الصحافة تارة أخرى، فهؤلاء لطالما

1. أبو اليقظان، «أي هكذا»، البستان، ع7.

2. أبو اليقظان، «الإفتاحية»، النبراس، ع1.

3. أبو اليقظان، «بين الجريدة والجواق»، البستان، ع1.

4. أبو اليقظان، «الاستخفاف بحق الجرائد»، وادي ميزاب، ع31، (13-5-1927م).

5. المدني، أحمد توفيق، كتاب الجزائر، ص372-373.

نعتوا الصحافة بأنها صد عن ذكر الله، وقد كتب مصورا موافقهم بالقول: «نعم لم تزل ترى الاشتغال بالجراند تجارة بانرة، وصفقة خاسرة، وأن الدعاء إليها صد عن ذكر الله وعن الصلاة، بل لا تزال تعلن البراءة منها كلما مست الحاجة إلى معاضدتها، والاستفادة من قوتها المعنوية»<sup>(1)</sup>.

إن هذا الموقف الذي ذكره "أبو اليقظان" من طرف خصوم الحركة الإصلاحية تجاه الصحافة، يكشف عنه أيضا رفيقه في الإصلاح "إبراهيم بيوض"، فقد أفتى فيه هؤلاء كما يقول: "بأن قراءة الصحف حرام، والاشتراك فيها حرام وأنه ربا"<sup>(2)</sup>.

وإلى جانب هذين العاملين، يؤكد "أبو اليقظان" على عامل آخر ساهم إلى حد بعيد في انصراف الناس عن الاهتمام بالصحف، تمثل في طغيان التفكير المادي على عقول بعض الناس وغدا أحد العراقيين الكبرى أمام تطور الصحافة ورسالتها الإصلاحية، وهو ما أشار إليه في قوله: «هناك قسم من الجمهور عظيم يتخذونها (أي الجرائد) ظروفًا للف امتعتهم عوض (الكاغد)، اقتصادا للمال فيما يزعمون، وهناك من يرى قوائم - فطورات - حساباته أجل منها قدرا، وأجزل فائدة، لأن تلك تفيدته مقادير الأثمان ومبالغ الأسعار، وأما هذه فليس بها أدنى فائدة»<sup>(3)</sup>.

كل هذه المعطيات التي أشار إليها الرجل، تدل على الروح الاندفاعية والحماسية التي جعلته يؤمن أكثر من ذي قبل بضرورة تصحيح نظرة الناس إلى الصحافة، وإبراز قيمتها النهضوية في المجتمع.

وكان من أهم ما كتبه في هذا الإطار موضوعا حول نشوء الصحافة في العالم بين فيه أن الصحافة نعمة من أنعم الله وأنها أحد المخترعات التي هدى الله الإنسان إليها، وكيف أن الشعوب استخدمتها لتوعية مواطنيها،

<sup>1</sup> أبو اليقظان، «تأثير الصحافة في العالم»، وادي ميزاب، ع3.  
<sup>2</sup> ديوز، محمد علي، أعلام الإصلاح في الجزائر، ج5، دار البعث، قسطينة، ط1، 1982م. ص50.  
<sup>3</sup> أبو اليقظان، «الاستخفاف بحق الجرائد»، وادي ميزاب، ع31.

وإعلامهم بما يجري في مختلف المجالات السياسية والاقتصادية والاجتماعية<sup>(1)</sup>.

لقد كان هم الرجل في كل هذا هو تحبيب الصحافة إلى نفوس الناس، ولفت الأنظار إلى الدور الإيجابي الذي تلعبه في توجيه المجتمع والسير به قدما نحو التقدم والرقي، إلى درجة بلغ به الجزم من أنه أصبح «من المستحيل أن توجد الحياة الكاملة بدونها»<sup>(2)</sup>.

وتبعاً لذلك ظل "أبو اليقظان" يؤكد على قيمة الصحافة، ودورها الفعال، فراح يبين كيف أن الصحافة النزيهة كانت دائما محل مطاردة ومضايقة من طرف الاستعمار خوفا من الدور الذي تلعبه في إيقاظ الشعوب المستعمرة وإنارة عقولها، فكتب قائلاً: «ولكن محاولتها الجلوس على عرش طبيعتها واقتياد الجماعات والسير بها إلى بحبوحة الحرية لم يرق الذين ألقوا الاقتنيات من دماء البشر»<sup>(3)</sup>.

وهذه حقيقة ملموسة، وفيها ما يؤكد أن الصحافة العربية في "الجزائر"، عرفت ألوانا من الاضطهاد من طرف الاستعمار الفرنسي، وكانت الفترة الممتدة بين 1927-1935م من أعسر فترات التضيق التي مرت بها، إذ تعرضت أغلبها إلى سياسة القمع<sup>(4)</sup>، وكانت معظم قرارات المصادرة، ناتجة عن إيعازات خاصة لا تستند على حكم القضاء، وقد أوضح "أبو اليقظان" هذا حين أكد من أنه «ليس من بينها تعطيل يستند على حكم القضاء، ولا على أية مخالفة قضائية، بل إن جميع ذلك إنما يستند على قرارات إدارية بحتة وعلى إيعازات خاصة»<sup>(5)</sup>، فلم تكن تتج من مثل هذه المتابعات غير الصحف التي تسير وفق مسعى الاستعمار.

1. أبو اليقظان، «نشوء الصحافة في العالم»، وادي ميزاب، ع2.

2. أبو اليقظان، «الصحافة والدين»، المصدر نفسه، ع6.

3. أبو اليقظان، «نشوء الصحافة في العالم»، المصدر نفسه، ع2.

4. إحدادن، زهير، «الصحافة الجزائرية من بدايتها إلى الاستقلال»، عالم الاتصال، سلسلة الدراسات الإعلامية، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، نط، دت، ص108.

5. أبو اليقظان، «عريضة إلى لجنة البحث البرلمانية»، الأمة، ع120، (4-7-1937م).

وتكملة لسلسلة المقالات التي كتبها "أبو اليقظان" عن أهمية الصحافة، راح يعدد آثارها ومحاسنها المتعددة، فبين أن دورها لم يعد يقتصر على نشر الأخبار، والمعلومات بين الناس، وإنما أصبح دورها أشبه بالمدرسة لتلقين العلوم والمعارف العلمية المختلفة، وقناة لتعريف الناس بما يستجد في عالم المعرفة حتى أصبح العلم كما يقول: «ميسور التناول يستفيد منه القاصي كما يستفيد منه القريب ويتناوله العاجز كما يتناوله القوي»<sup>(1)</sup>.

إن فضل الصحافة لا يقتصر على العلم ودورها في نشره، بل تعداه في- نظره - إلى العالم، إذ كان يرى أن فضلها عليه أكبر، فهو وإن اضطرت الظروف إلى أن ينتقل من مقامه لينشر علما أو يسدي نصيحة، فإن الصحافة سهلت من مهمته، وذلك له الكثير من المصاعب كما يقول: «فلا يكلفه الأمر - العالم - إلا أن يرسل كلمته في جريدة أو مجلة فإذا النفوس قد استيقظت وإذا العيون قد تفتحت وإذا الأفكار قد تبهت، وإذا القلوب قد اتجهت نحو غاية واحدة وتوحدت على مبدأ سام، وإذا الحواس كلها تتعاون على البر والتقوى»<sup>(2)</sup>.

ويستوقفنا "أبو اليقظان" عند نقطة مهمة وهو يبين فضل الصحافة وآثارها المتعددة، فلقد كان يؤمن إيمانا راسخا بأنها ما هي إلا وسيلة حيادية لا علاقة لها بأية فكرة أو أيديولوجية معينة، إذ يمكن أن تستخدم للإصلاح والإفساد معا، ويبقى توظيفها هو الذي يضيف عليها صفة الإصلاح، أو الفساد يقول في ذلك: «إن الجرائد وسيلة صالحة للخير والشر كالعلم والمال، فإذا قام بها من هو أهل كانت للخير»<sup>(3)</sup>.

<sup>1</sup> أبو اليقظان، «الصحافة والعلم»، وادي ميزاب، 5ع، (29-10-1926م).

<sup>2</sup> نفس المصدر والعدد.

<sup>3</sup> نفس المصدر والعدد.

من الواضح أننا نحس بتقل المهمة التي حاول "أبو اليقظان" نزع اللبس عنها، خاصة وأن خصوم الحركة الإصلاحية استطاعوا أن يغرسوا في نفوس الناس أن الاشتغال بالصحف حرام، ما جعله يستتفر كل جهوده لصرف هذه الأفكار الخاطئة عن نظرة الناس إلى الصحف، لذلك دعا إلى تقليد الأوروبيين في اقتناء حرفة الصحافة، وهو ما جعله ينشر مقالا لأحد قراء صحيفة "الأمة"، الذي أكد أن الصحافة هي بنت التمدن، الحديث، وإذا أردنا إتقان هذه الصناعة الشريفة فعلينا بتقليد أربابها في أول الأمر<sup>(1)</sup>.

وهذه فكرة جد مهمة تطرح هنا، وهو ما تعلق بموقفنا من منتجات الحضارة الغربية، وقد ظهر أن "أبا اليقظان" يقف موقفا وسطا بين الأخذ من الحضارة الغربية وبخاصة في المجال التقني، وبين ضرورة الحفاظ على ثوابت الأمة ومقوماتها، وهو بهذا الاعتبار لم يخرج في تصوره عما ذهب إليه كثير من رجال عصره من المصلحين، أمثال "عبد الحميد بن باديس"، و"الإبراهيمي" و"إبراهيم بيوض" وغيرهم.

وهو أيضا في هذه المسألة لم يخرج عما كان يدعو إليه كثير من المفكرين الإسلاميين أمثال "جمال الدين الأفغاني"، و"محمد عبده"، و"المودودي"، وهو الحل الأسلم الذي اضطلع الكثير من المفكرين المعاصرين لتأكيده والدعوة إلى اختياره<sup>(2)</sup>.

وبذلك فموقفه هذا يتناقض مع ما تبناه أصحاب النظرية التقليدية ممن وقفوا موقفا معاديا للحضارة الغربية ومنتجاتها، وكانت النتيجة في ذلك "الإخفاق في تحقيق المعاصرة واستيعاب الحضارة الغربية"<sup>(3)</sup>، كما أن موقفه هذا يخالف أيضا موقف أولئك الذين ناشدوا بالذوبان في الغرب ورأوا فيه خلاصا لواقعهم المتخلف.

1. أنظر: كبور، أبو أمرؤ القيس، «الصحافة الأهلية بالقطر الجزائري»، الأمة، ع107، (1-26-1927م).  
 2. أنظر مثلا: أبو سليمان، د، عبد الحميد أحمد، أزمة العقل المسلم، دار الهدى، عين مليلة، الجزائر، ط2، 1992م، ص33 وما بعدها، ومحفوظ، محمد، الإسلام، الغرب وحوار المستقبل، المركز الثقافي العربي، بيروت، لبنان، ط1، 1998م، ص52 وما بعدها.  
 3. الأنصاري، محمد جابر، «تحولات الفكر والسياسة في الشرق العربي»، عالم المعرفة، ع35، الكويت، 1980م، ص8.

وقد اتضح موقف "أبي اليقظان" في هذا الإطار حين استحضرت تاريخ جيل القدوة والخلافة الراشدة، وذهب إلى التأكيد على أنهم عملوا على توظيف كل الإمكانيات وأنهم لو عرفوا هذا اللون من وسائل الخطاب ما تأخروا عن استخدامه في نشر الدعوة الإسلامية، يقول: «فلو كانت هذه في عهد الرسول ﷺ فهل يتأخر عن استعمالها في بث دعوة التوحيد، وهو الذي شرع الجمعة، وجعل من أركانها الخطابة ونوه بشأن الخطباء والشعراء وأمراء البيان () ولو كانت هذه في عهد "أبي بكر" فهل يتأخر عن استعمالها في نشر الإسلام وإسداء النصائح في أرض "العراق" و"الشام"، وهو في ذلك الخطيب في الجاهلية والإسلام () ولو كانت هذه في عهد "عمر" أفلا يشيدها وينشر لواءها، ويستفيد من تأثيرها على الأمم و"الشام" و"العراق" و"فارس" و"مصر" وهو الذي نظم أمر الخلافة ودون لها الدواوين»<sup>(1)</sup>.

فالفكر اليقظاني - إذن - يؤمن إيماناً لا يتزعزع بأن الحكمة ضالة المؤمن أنى وجدها فهو أحق بها، وبكيفية الاستفادة منها بالحفاظ على الفكرة التي تسبق الشيء في بناء الحضارة على حد تعبير "مالك بن نبي"<sup>(2)</sup>، لذلك لم يترك مناسبة إلا وكتب مهنتاً رفقاءه في الإصلاح داخل الوطن أو خارجه بمسيرتهم الصحفية أو مندداً بما كان يلحق بعض الصحف من المصادر<sup>(3)</sup>.

<sup>1</sup> أبو اليقظان، «مجلد القول في الصحافة»، وادي ميزاب، ع7، (28-11-1926م).  
<sup>2</sup> ابن نبي، مالك، مشكلة الثقافة، ترجمة عبد الصبور شاهين، دار الفكر، دمشق، سورية، طبع دت، ص44.  
<sup>3</sup> أنظر فهرس المقالات: المبحث الثاني من الفصل الأول.

وإضافة إلى فضل الصحافة باعتبارها أداة تعرض الحقائق أمام الشعب وتبصره بواقعه، وقناة تترجم رغبة الجماهير، فإن لها القدرة أيضا على انتشار الشعب من مخالب الاستعمار بما تمتلكه من سلطة القرار ذلك أنه « بلسانها يعلن الحرب ولسانها يعقد السلم وعلى قطب إدارتها يدور محور السياسة العالمية الكبرى »<sup>(1)</sup>.

وهذه إشارة جد مهمة من الرجل تذكرنا بمقولة عبقرى الحرب "نابليون" حينما قال : " أن صحفا ثلاث تعاديني تثير من خوفي أكثر مما تخيفني ألف بندقية " <sup>(2)</sup>، وهي الخطة التي مال إلى تنفيذها أحد كبار قادة "ألمانيا" سعيا منه لتحقيق الوحدة الألمانية، إذ لم يجد لذلك سبيلا غير إثارة الرأي العام الفرنسي حينما سرب هذا القائد بريقة محرفة إلى الصحف فنشرتها بما يفيد أن إهانة لحقت سفير "فرنسا" أثناء محادثاته مع ملك "بروسيا" بالأا يعتلي أحد أفراد البيت المالك البروسي عرش "إسبانيا" فهاج الرأي العام الفرنسي وأدى ذلك إلى إعلان الحرب على "بروسيا"<sup>(3)</sup>.

وإذا كانت الصحافة تحمل هذه القوة في توجيه الأحداث فإن الدور الذي يقوم به الكاتب الصحفي في التأثير على الآخرين وتوجيه الرأي العام، وإحداث القرارات لا يستهان به لما يتميز به كما يقول "أبو اليقظان" من: « القدرة على قيادة الأفكار وسياسة العقول ومداواة النفوس وإلحام القلوب وإنارة السبيل وإرشاد البشر »<sup>(4)</sup>.

1. أبو اليقظان، « مجمل القول في الصحافة »، وادي ميزاب، 7ع.  
2. النجار، د، حسين فوزي، الإعلام المعاصر، دار المعارف، القاهرة، ط 1984م، ص 90.

3. المرجع نفسه، ص 95.

4. أبو اليقظان، « مجمل القول في الصحافة »، وادي ميزاب، 7ع.

ولئن كان الرجل قد حاول أن يلفت أنظار القراء إلى الجهود التي يبذلها المصلحون في سبيل توعية الناس، والرفع من مداركهم، فإننا نعتقد أنه طرح قضية مهمة جدا ومبكرة عن عصره، وهو ما يتعلق بالدور المحوري الذي يقوم به الكاتب الصحفي في العملية الإعلامية، فقد دلت الدراسات أن فاعلية الرسالة المستخدمة وقوة الكلمة المرسلّة إذا فقدت الرجل القادر على نقل هذه الرسالة وإحداث التأثير المطلوب، فإنه سيقضي حتما على نجاح العمل الصحفي.

ولئن سلمنا بأن دور الإيجابي الذي يمكن أن يلعبه الصحفي النزيه في ترقية المجتمع فإننا نعتقد أن الإشارة إلى أن هناك صنفا من الكتاب الصحفيين يمكن أن يؤثر سلبا على عقول الناس يصبح أكثر من ضرورة على الأقل من باب تنبيه الرأي العام وتحذيرهم، خاصة وأن صحفا برزت خصيصا لتضليل الرأي العام ومحاربة الصحافة الإصلاحية. وهي نقطة أكدت عليها كثير من الدراسات الحديثة بخصوص الدور الذي يلعبه الصحفي في تجميع وتوزيع الأخبار وإمكانية تأثيره بالسلب، وجاء ذلك في خلاصة لأحد الباحثين من "أن الطبيب يؤثر على الصحة الفيزيولوجية لمرضاه، المراسل الصحفي يؤثر على الصحة الفكرية لقرائه على عكس الطبيب، المراسل الصحفي لم يطلب ولم يسمح له بتقديم وصفة طبية لتجعل قراءه أشقياء، لكن مثله مثل الطبيب، الصحفي له القدرة في تسميمهم، والاختلاف الرئيسي يكمن فقط في أن المراسل الصحفي يستطيع أن يسم أكبر عدد منهم وبأكبر سرعة من الطبيب"<sup>(1)</sup>.

فكان كل هم "أبي اليقظان" أن يبرز قيمة الصحافة، وضرورة أن تكون موجهة لخدمة المجتمع، وترقية اهتماماته، متناسيا بذلك أن تيارا من الصحافة كان يعمل دون هوادة لكسر جهود المصلحين وإسكات صوتهم.

<sup>1</sup> قيراط، د، محمد، « أهمية رجل الإعلام في عملية الاتصال »، المجلة الجزائرية للاتصال، ع3، مارس 1989م، ص53.

وبناء على ذلك، دعا "أبو اليقظان" المصلحين أن يتخذوا من الصحافة وسيلة للوصول بأفكار الحركة الإصلاحية إلى كافة أرجاء البلاد، ويستغلونها أحسن استغلال بأن تكون مهمتها «مهمة الدليل الماهر إلى طريق السلامة والنجاة»<sup>(1)</sup>، وأكد هذه القناعة في موضع آخر بالقول: «لا وسيلة للعالم المصلح أحسن من الجرائد للدعوة والإرشاد إلى كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، لا سيما في هذا العصر الذي كثر فيه دعاة الإلحاد وانتشرت الخرافات والبدع وعطل الدين وانساب جمهور من الأمة لا أثر للدين فيها ولا سبيل للنجاة منها»<sup>(2)</sup>.

يمكن القول في الأخير أن الرجل حاول جاهدا في كل ما سبق أن يجد أرضية خصبة لإنعاش الصحافة كأحد أبرز القنوات التي لا يستهان بها في نشر الوعي في المجتمع، وكان متمسكا بقناعاته بجدواها مؤكدا أن «مثل هذه الكوارث شيء عادي بالنسبة للصحافة، خصوصا لبلاد لم تكن فيها الحصانة الكافية لحريتها، كما هو متعارف عليه في البلاد الراقية»<sup>(3)</sup>. وكان يؤمن أيضا بضرورة التحدي وعدم التخاذل أمام صور العراقيل التي تواجه المصلحين، وصرح بأنه «في طي المصائب والمحن، تتبت بذور المشاريع الكبرى، ولا ينبت منها شيء إلا في ظل الأمن، والرخاء والاطمئنان وإن نبت شيء منها فسرعان ما يتلاشى ويتساقط، لأنه لا يجد ما يغذيه من مقومات الحياة»<sup>(4)</sup>.

هذه هي- إذن- المحطات التي أكدت فكر الرجل بجدوى الصحافة في إيقاظ الشعوب، فهل جسمت صحافته فعلا المسار الذي أكد عليه بضرورة أن تكون الصحافة في خدمة المجتمع. وما هي شروط نجاح العمل الصحفي كما تصوره "أبو اليقظان"؟

<sup>1</sup> أبو اليقظان، «كيف تكون العلاقة بين الجريدة الصادقة والجمهور»، الأمة، ع45، (8-10-1935م).

<sup>2</sup> أبو اليقظان، «الصحافة والدين»، وادي ميزاب، ع6.

<sup>3</sup> أبو اليقظان، «الافتتاحية»، ميزاب، ع1.

<sup>4</sup> أبو اليقظان، تاريخ صحف أبي اليقظان، ص8.

## ثانيا: شروط نجاح العمل الصحفي في فكر "أبي اليقظان".

لم يعد العمل الصحفي مجرد عمل يقوم به واحد من الكتاب الصحفيين وإنما أصبح مسؤولية يشارك في تحملها الكثير من الأشخاص، ويرتبط نجاح هذا العمل الجماعي المسؤول بمجموعة من الشروط التي يجب أن تلتزم بها الصحيفة لتكون في مستوى تطلعات قرائها. وانطلاقا من تصوره لقيمة الصحافة ومكانتها، وآثارها المتعددة، والدور الذي يكمن أن تلعبه في رفع الوعي وتصحيح المفاهيم، فإن "أبا اليقظان" يصر على أن الصحافة وهي تقوم بأداء رسالتها، أن تلتزم ببعض الشروط التي هي - في نظره - من ألزم أخلاقيات الكتابة الصحفية والعمل الصحفي.

وبناء على ذلك، كان يرى أن الصحافة الحرة والصادقة يجب « ألا تشغل أعمدها بالسفاسف وما لا يفيد، وقلب الحقائق الذي يؤدي إلى غش الأمة، والتزلف لأرباب الوجاهة من أجل أغراض ساقلة»<sup>(1)</sup>. فالعناصر التي يتوقف عليها نجاح العمل الصحفي كما هو واضح من كلام "أبي اليقظان" هي:

أولا- الارتفاع بمضمون الرسالة الصحفية: فإذا ما نحن استحضرننا معطيات الواقع الجزائري الذي كان يتميز بقلّة الوعي، وانتشار مختلف الآفات أدركنا قيمة هذا المطلب خاصة وأن الفرد الجزائري لطالما كان في أمس الحاجة إلى الكلمة النافعة التي تحدث فيه الإحساس بذاته، وما يحيط حوله.

<sup>1</sup> أبو اليقظان، « كيف يجب أن تكون العلاقة بين الجريدة الصادقة والجمهور »، الأمة، ع45.

فالصحافة بهذا المفهوم- في اعتقادنا - يجب أن تتجه إلى "ترقية اهتمامات الناس والسمو بعقولهم ووجدانهم وسلوكهم، وإشاعة الثقافة الإسلامية بمبادئها السامية وقيمها الرفيعة، ومحو الأمية الحرفية والفكرية، والسعي لتوحيد الأمة وتضامنها فكرا ووجدانا، وولاء، وتطبيقا مع بث روح الألفة والمودة والتعارف والتآلف والانسجام بين سائر المسلمين"<sup>(1)</sup>.

وقد أكد "أبو اليقظان" على هذا المطلب مرارا مع كل إصدار جريدة جديدة، خاصة وأن كثيرا من الصحف التي عاصرتة قد انحرفت عن أداء الدور المنوط بها، وأدى بها مسارها إلى حدوث ممارسات غير مسؤولة، وتحول بعضها إلى أدوات لنشر الفساد والأكاذيب، وخلق المشاحنات وتتبع العورات و الترويج لمبادئ وأفكار معينة لحساب فئة من الناس على حساب أخرى.

وضرورة الارتفاع بمضمون الرسالة الصحفية التي أكد عليها "أبو اليقظان"، في اعتقادنا هو من صميم تصور الإسلام الذي يدعو إلى الكلمة النافعة التي تربي الإنسان في أبعاده الخلقية والفكرية والدينية، وتفرز آثارها على الفرد والمجتمع على السواء، وقد دلت النصوص القرآنية على ذلك كقوله تعالى: ﴿الْمُ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ﴾<sup>(2)</sup>

ونعتقد أنه لا يوجد أفضل من وسيلة للكاتب الصحفي لتحقيق هذا المطلب - بما امتلكه من وسيلة فعالة- خير له من القيام بواجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .

<sup>1</sup> . إمام ، د ، إبراهيم، أصول الإعلام الإسلامي، دار الفكر العربي، القاهرة، دط 1985م، ص32.  
<sup>2</sup> . إبراهيم، 24 .

ثانيا- الصدق: وهو أحد الشروط المهمة التي يراها "أبو اليقظان" ضرورة للصحافة الإصلاحية، إذ يجب كما يتضح- أن يكون صوت الصحافة مسؤولا أمام المجتمع بأن "ينقل إليهم صورة المجتمع في كافة ملبساته وظروفه وكل ما يدور فيه وما يعنيه"<sup>(1)</sup>، وهو ما قصده "أبو اليقظان" بالابتعاد عن قلب الحقائق وغش الأمة، وموقف الرجل - في نظرنا- أقرب إلى نظرية المسؤولية الاجتماعية\* التي جاءت لتحد من حرية الصحافة إلى مسؤولية الصحافة، ذلك أن الصحافة كلما كانت صادقة، كان ذلك أدعى لخلق نوع من العلاقة المتبادلة من الثقة بين الجريدة وجمهورها، فما لم تكن كذلك فهي " لا تعدو أن تكون جهاز التضييل عقول الناس من الشعوب التي تتطرق باسمها أو بوقا مدويا لهيمنة الحكام الذين ينفخون فيها فتتطق"<sup>(2)</sup>.

ثالثا- الضغط الخارجي: إذ يرى "أبو اليقظان" ضرورة ألا تخضع الصحيفة لأية مسامرة خارجية، يمكن أن تؤدي إلى انحرافها عن هدفها الأسمى.

والمطلب الذي أكد عليه الرجل جد مهم لنجاح الرسالة الصحفية، وهي التفاتة مبكرة عن عصره، إذ لم تصبح الصحافة - بوصفها هاديا للرأي العام ونافذة لتقافة العصر- تسيطر عليها القوى الاستعمارية فقط، وإنما غدت بوقا لقوى غالبية، تسيطر عليها في الدول الرأسمالية قوى الضغط السياسي: كما تسيطر عليها في الدول ذات الحكم الجماعي اتجاهات أيديولوجية محددة.

<sup>1</sup> مرتاض، د، عبد الملك، نهضة الأدب العربي المعاصر في الجزائر، ش، و، ن، ت، الجزائر، دط، ص 87.  
\* تقوم هذه النظرية على أساس أن الحرية حق وواجب ونظام ومسؤولية، ومسؤولية الحرية نحو المجتمع هي تنوير المجتمع بالحقائق، خدمة القراء، رعاية المصالح العامة، وقد ظهرت هذه النظرية لمواجهة جنوح الصحف التي اعتنقت مبدأ الحرية الذي يعطي الحق في الخوض في أخبار الجنس، أنظر في ذلك: حمزة ، عبد اللطيف، الإعلام له تاريخه مذاهبه ، دار الفكر، بيروت، ط1، 1985م، ص 136.

<sup>2</sup> مرتاض، د، عبد الملك، نهضة الأدب العربي المعاصر في الجزائر، ص 87.

وهذا المطلب الذي نادى به "أبو اليقظان" أصبح أحد المطالب المهمة التي لا تزال النداءات بضرورة تحرير وسائل الإعلام والصحافة على وجه الخصوص من سيطرة هذه القوى قائمة حتى يتحقق للمواطن حق معرفة ما يدور حوله من أحداث<sup>(1)</sup>.

**رابعاً: الصراحة:** إلى جانب العناصر السابقة التي استخلصناها من قناعة "أبي اليقظان" عن شروط العمل الصحفي، فمما أُلح عليه كشرط ضروري آخر لنجاح العمل الصحفي ما يعرف بالصراحة، ونعني بها هنا أن يكون الصحفي واضحاً في أفكاره، قاصداً في كتاباته بعيداً عن التلميح، وهو مطلب فيما نعتقد. فرضته ظروف الاستبداد السياسي والظلم الاجتماعي.

ويصرح "أبو اليقظان" عن مبدئه هذا بقوله: «إن الدواء الناجح لا يكون بالدهن على الوبر وإمراره على ظاهر الجرح فإن هذا لا يزيد المريض إلا خطورة واستفحالا فهلاكاً فموتاً، وإنما يكون بسبر أغوار الجرح وتطهيره بأنواع المطهرات وإزالة ما فسد منه، ثم وضع الدواء له وتضميده»<sup>(2)</sup>.

فالصحافة في نظره- يجب أن تتباعد عن التضليل والنفاق، والمداهنة، وأن تختلف عن الصحافة الحكومية والحزبية والدعائية.

ويبدو أن هناك من أخذ عليه هذا المبدأ، مما جعله يبرر قناعاته هذه بالقول: «فإن الخصم مهما سفلت قيمته وانحطت ليرى في نفسه للصدق قيمته، وللصراحة شأنها وللحق روعته وجلالته، وإن تظاهر بخلاف ذلك»<sup>(3)</sup>.

<sup>1</sup> برزت هذه المطالب في شكل نظريات، أنظر: مكاي، د، حسن عماد، أخلاقيات العمل الإعلامي، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، ط1، 1994م، ص64 وما بعدها.

<sup>2</sup> أبو اليقظان، «الصراحة خير علاج»، وادي ميزاب، ع102، (28-9-1928م).

<sup>3</sup> نفس المصدر والعدد.

وقد أبلى "أبو اليقظان" - لتحقيق هذه المبادئ- بلاء كبيرا، برزت معالمها من خلال مسيرته الصحفية، فقد تعرض في الكثير من المرات لمواجهات عنيفة مع السلطة الاستعمارية بالاستجواب تارة، ومصادرة صحفه تارة أخرى، ولم يستسلم لمساوماتها، إذ كان يفضل مصادرتها على أن يتخلى عن المبدأ الذي اتخذه شعارا منذ وضع بنود الوثيقة التي أمضاها مع مساعديه "محمد الثميني" و"قاسم بن الحاج عيسى" عند إنشاء صحيفته الأولى "وادي ميزاب"<sup>(1)</sup>.

وكما تحدى مضايقات السلطة، فإن تحديه للظروف المادية والإمكانات الفنية والمطبعة، كان أكبر شاهد على ثباته على مبادئه، إذ كثيرا ما تكبد مشاق طبع جريدة "وادي ميزاب" في "تونس" كي توزع "بالجزائر" في وقتها المحدد على أن ينقاد لمساومات أصحاب المطابع، وقد شهد له أحد المنصفين بذلك بالقول: "وأية، عزيزة وإيمان راسخ برسالة الصحافة، فتطبع له جريدة في "تونس" وتوزع في "الجزائر"، أية نظرة نافذة كانت تعيش في أوائل هذا القرن فكريا ما تعيشه اليوم وبعد نصف قرن واقعا ملموسا"<sup>(2)</sup>.

ومهما يكن من أهمية هذه الشروط التي وضعها "أبو اليقظان" لتحقيق نهضة اجتماعية وثقافية راقية، والتي تعد- في نظرنا- مطالب نوعا ما عسيرة التحقيق بالنظر إلى الواقع الاستعماري، فإن القول بالتزام الحكمة والمداهنة في بعض المواقف يصبح أكثر من ضرورة خاصة ما تعلق بمسايرة السلطات الاستعمارية ومسالمتها في بعض الأحيان، وهو الأمر الذي تفتن له "عبد الحميد بن باديس" عند إنشائه جريدة "الشهاب"، حيث اتبع فيها سياسة الهدنة والمرونة ما ضمن به زمنا أطول لصحيفته<sup>(3)</sup>.

1. أبو اليقظان، تاريخ صحف أبي اليقظان، ص12-13.

2. خرفي صالح، صفحات من الجزائر، ش، و، ن، ت، الجزائر، دط، 1974م، ص95.

3. قاسم، محمود، عبد الحميد بن باديس الزعيم الروحي لحرب التحرير الجزائرية، دار المعارف، القاهرة، ط3، 1979م، ص20.

كما نعتقد أيضا أن شرط الصراحة على أهميته، فإن الضرورة أيضا تستلزم أن يحدد الصحفي قدر الحقيقة المسموح بها، وقد أكدت التجربة أن "جرعة من الصراحة قد تضع حدا لنفع الصحفي وفائدته"<sup>(1)</sup>.

هذه -إن- جملة الشروط التي كان يراها "أبو اليقظان" لازمة للصحافة كي تكون في خدمة المجتمع، فهل أكدت صحافته على هذا المسار؟.

<sup>1</sup> هنتر، ألبرت ل، واي لان ج ، توه دليل الصحفي في العالم الثالث، ترجمة كمال عبد الرؤوف، لدار الدولية للنشر والتوزيع، القاهرة، دط 1992م، ص92.

### ثالثاً: اهتمامات الصحافة اليقظانية

وجب لفت النظر أننا لن نستعرض هنا مضامين الصحافة اليقظانية بالمفهوم الذي يقصد منه تتبع المقالات التي كتبها "أبو اليقظان" أو غيره\* في مختلف المجالات، ولكننا سنهتم بالخطوط العريضة النظرية التي اضطلعت الصحافة اليقظانية بالاهتمام بها، كما قررها "أبو اليقظان" في افتتاحيات بعض صحفه، بوصفها إحدى صحف الحركة الإصلاحية، فهل تبنت الصحف اليقظانية هذه المبادئ التي أكد عليها "أبو اليقظان" من ضرورة أن تكون الصحافة موجهة لخدمة المجتمع، وهل جسمت بحق الشروط التي ينبغي أن تتحلى بها الصحافة الإصلاحية أم لا؟.

يؤكد "أبو اليقظان" أنه رغم العراقيل والمضايقات المتنوعة، فإن صحافته استطاعت أن تؤدي رسالتها الإصلاحية كاملة غير منقوصة، وساهمت في نشر الوعي وتغيير الواقع والدفع بعجلة النهضة نحو التغيير الشامل، وأنها اهتمت بكل المجالات، وأن اهتمامها بقضايا الوطن لم يمنعها من الخوض في قضايا إخوانها في المغرب والمشرق.

ويمكننا حصر اهتمامات الصحافة اليقظانية، بناء على القراءة التي قدمها "أبو اليقظان" عن صحافته فيما يلي:

أولاً: الاهتمام بقطاع التربية والتعليم، وذلك بمحاربة الجهل والدعوة إلى العلم والتعليم، ونشر المدارس الحرة، وإصلاح أساليب التعليم القديمة وفق مناهج العصر الحديثة يؤكد "أبو اليقظان" ذلك في قوله: «جست نبض الأمة فوجدتها مريضة بالجهل مرضاً مزمناً، ولا توجد بها بسببه أي شهية لأغذية العلم اللذيذة المنعشة ففتحت أنهرها لمعالجة الأمة، من هذا المرض الفتاك، وإقناعها بوجوب مداواته بدواء العلم الناجع الشافي، فكان الإقبال منها يتزايد نحو مناهل العلم والعرفان»<sup>(1)</sup>.

\* لأن ذلك يحتاج إلى دراسة خاصة.

1. أبو اليقظان، «الأمة» تخطو إلى مرحلتها الثالثة»، الأمة، ع101.

ثانيا: الدعوة إلى بث الفكرة الإسلامية وتثبيت العقيدة الصحيحة وتقديمها خالصة من الشوائب والبدع والخرافات التي يسعى أهل الطرق إلى إشاعتها بين عامة الناس يقول في ذلك: «ومن الذود عن الحمى ودفع الأذى عن الملة والدين ومن كشف الشبهات وإنارة السبل في حالة المدلهمات»<sup>(1)</sup>.

ثالثا: الاهتمام بالجانب الاجتماعي في محوريه الأخلاقي والوحدوي فالاهتمام بالأخلاق عن طريق مقاومة المظاهر السلبية والآفات الاجتماعية والسلوكات الانهزامية، والدعوة إلى كل ما فيه سموا بالفرد الجزائري، وتكوين المواطن الصالح، يؤكد "أبو اليقظان" هذا في قوله: «لمست مكان الضعف من الأمة، فوجدت أضعفها ناحية الخلق، فاستفرغت وسعها في هذا المجال الفسيح، فقومت معوج الأخلاق وأعلت من شأن القويم منها بما أوتيت من صدق وإخلاص، ونزاهة، فعادت "الأمة" تحسن بضرورة هذا النوع من الإصلاح الخلقى»<sup>(2)</sup>.

وأما الاهتمام بالوحدة الاجتماعية، فعن طريق مواجهة دعوات التفرقة الجهوية التي كان الاستعمار يشيعها بين أفراد المجتمع الجزائري «فقاومت التفرقة وجرائيم الإباحية»<sup>(3)</sup>.

رابعا: مؤازرة الحركة الإصلاحية، ومساندة رجالها، والحرص على إيصال أفكارهم، وتغطية نشاطاتها يقول "أبو اليقظان": «خدمت الأمة الجزائرية في مشاريعها الخيرية سيما في جمعية العلماء المسلمين الجزائريين بما يستحقونه من الإجلال والاحترام»<sup>(4)</sup>، والعمل من جانب آخر على مواجهة خصوم الإصلاح عن طريق كشف مخططاتهم

1. أبو اليقظان، «الأمة» في مرحلتها الرابعة، «الأمة»، ع147، (21-12-1937م).

2. أبو اليقظان، «الأمة» تخطو إلى مرحلتها الثالثة، «الأمة»، ع101.

3. أبو اليقظان، «النور تجتاز مرحلتها الأولى»، للنور، ع50، (27-9-1932م).

4. نفس المصدر والعدد.

ومؤامراتهم « ومن التشهير بالعابثين وقمع الدجاجة المشعوزين اللاعبين بمقدرات الأمة الإسلامية من دين ولغة وتقاليد وحقوق »<sup>(1)</sup>.

**خامسا :** معاضدة الصحافة الإصلاحية، وتعبئة القاعدة الشعبية بجدوى هذه الوسيلة فى الانبعاث التربوي والاجتماعي والثقافي والسياسي فقد « أحست بزهد فى الأمة كبير نحو صحافتها الحرة لما توحى إليها فى شأنها شياطين الإنس فبرهنت لها فى مناسبات مختلفة على ضرورة هذه الوسيلة الحديثة لحياتها الدينية، والسياسية، والاجتماعية والاقتصادية، فافتتحت الكثير منها بذلك فكان تعطش وكان تلهف، وكان ولوع وكان غرام بها »<sup>(2)</sup>.

**سادسا:** تشجيع المواهب الشبابية فى المجال الأدبي، بنشر إنتاجهم وخلق روح المنافسة بينهم « وأنعشت روح الخيال المتعطشة بأريج زهر الأدب والقريض، وفتحت مجال المسابقة للأدباء والشعراء لتنمية نبوغهم »<sup>(3)</sup>.

**سابعا:** الاهتمام بقضايا الأشقاء فى المغرب العربي، والإخوان بالمشرق العربي والتضامن معهم انطلاقا من عامل الدين والتاريخ والواقع المشترك « أبلغت صدى الإسلام إلى الصحراء، فكانت فيها زارة "فلسطين"، ووثبة "سوريا"، ونهضة وحياة "الحجاز"، وطموح "العراق"، وأنين "طرابلس"، وصرخة "تونس"، ( ) وغيث "مراكش" »<sup>(4)</sup>.

1. أبو اليقظان، « "الأمة" فى مرحلتها الرابعة »، الأمة، ع147.  
2. أبو اليقظان، « "الأمة" تخطو إلى مرحلتها الثالثة »، الأمة، ع101.  
3. أبو اليقظان، « "النور" تحتاز مرحلتها الأولى »، النور، ع50.  
4. أبو اليقظان، « "الأمة" تخطو إلى مرحلتها الثالثة »، الأمة، ع101.

ثامنا: الحرص على الثبات على خطتها شعارا ومبدأ وممارسة ، يقول "أبو اليقظان" تأكيدا على ذلك: « حافظت على خطتها هذه التي يعرفها لها قراؤها الكرام، فلم تحد عنها قيد أنملة، ولازمت في نشرياتها التحري التام في صدق الأخبار، وتحقيق الأنباء ومستجد الحوادث، مع مراعاة التنسيق والتنظيم والتصحيح بكل دقة »<sup>(1)</sup>.

هذه - إذن - أهم القضايا التي حرص "أبو اليقظان" على تحقيقها من خلال مسيرته الصحفية، وهي - في نظرنا- تعكس قناعات وأهداف الرجل التي نادى بها، وهي أهداف بلا شك تعد امتدادا لقناعات وأهداف سائر الصحف الإصلاحية، خاصة جمعية العلماء المسلمين الجزائريين. وقد تمكنت الصحف اليقظانية فعلا- بناء على مبادئها- أن تحتل موقعا متميزا بين غيرها من الصحف الإصلاحية، ومنحها ذلك شهرة ورواجا كبيرين داخل الوطن وخارجه\*، وخلق لها قاعدة شعبية كبيرة من القراء، وهو ما يفسر مظاهر الرفض الشعبي الذي كان من نتائجه أن تهافت على وزارة الداخلية "بيباريس" مئات برقيات الاحتجاج، عندما صدر قرار التعطيل ضد صحيفة "وادي ميزاب"<sup>(2)</sup>.

ونسجل هنا أيضا مواقف الاستتار عندما لقيت صحيفة "النور" المصير نفسه، ما أورده أحد مراسلي الصحيفة من "تونس" بالقول: "وأزعنا غاية الإزعاج - يقصد قرار تعطيل "النور" - وكيف يكون ذلك وصحيفة "النور" التي هي لساننا الناطق والمعبر عن حاجياتنا والمدافعة عن حقوقنا ومصالحنا وهي الوحيدة القادرة الراقية في القطر الجزائري

<sup>1</sup> أبو اليقظان، « الأمة » تخطو إلى مرحلتها الثالثة «، الأمة، ع101.

\* أنظر مثلا: ابن بكير، سعيد « تقرىض وادي ميزاب »، وادي ميزاب، ع2، وعيسى، محمد، « وادي ميزاب في عمان »، المصدر نفسه، ع28، (1927-4-22م)، والباروني، سليمان، « وادي ميزاب »، المصدر نفسه، ع48، (9-9-1927م)، وابن صالح، علي، « الأمة ترحب "بالأمة" »، الأمة، ع5، (16-10-1934م)، وأبو العباس، أحمد، « شعاع إحساس وشعور نحو "الفرقان" »، الفرقان، ع6 (9-8-1938م).

<sup>2</sup> ناصر، د، محمد، أبو اليقظان وجهاد الكلمة، ص24.

التي نتحفنا كل أسبوع بتلك الفصول الممتعة والمقالات الرنانة لكبار الكتاب بشمال إفريقيا<sup>(1)</sup>.

وكل هذا - في نظرنا - يسقط موقف "علي مراد" الذي قلل من القيمة الفكرية لصحف "أبي اليقظان" واعتبرها مجرد نشرات وأوراق<sup>(2)</sup>، ما يجعلنا نقول في الأخير أن الصحافة اليقظانية كانت بحق موسوعة معارف، تتوعت محتوياتها بين الفكر والسياسة والاجتماع والثقافة والتربية.

<sup>1</sup> أبو اليقظان، تاريخ صحف أبي اليقظان، ص 98.  
<sup>2</sup> MERED, ALI , « la formation de la presse musulmane en Algérie » , dans IBLA. N° 105. 1<sup>er</sup> trimes. 1964, P23

## المبحث الثالث: إحياء اللغة العربية وبعثها في فكر "أبي اليقظان"

### تمهيد:

لا خلاف في أن اللغة هي أداة التواصل اليومي بين الأفراد، وهي فوق كل هذا وسيلة التفاهم الفكري والتعاطف الروحي<sup>(1)</sup>، وهي مقياس رقي الأمة وعنوان وجودها، على حد قول "مصطفى صادق الرافعي": "وأما اللغة فهي صورة وجود الأمة بأفكارها ومعانيها وحقائق نفوسها"<sup>(2)</sup>، وهي الجسر الذي يصل أبناء الأمة بأسلافهم، وأحفادهم<sup>(3)</sup>.

ووجود الأمة بهذا الاعتبار رهين قدرتها على الحفاظ على لغتها القومية، باعتبارها أحد المظاهر الدالة على شخصيتها المستقلة\* .  
و"أبو اليقظان" الذي عشق العلم وحصله، وحفظ القرآن الكريم منذ الصغر، ونشأ مولعا بحفظ مختلف المتنون، من غير شك أن اللغة العربية بلغت من نفسه مبلغا كبيرا من التقدير، والإكبار، تشهد به كثرة تأليفه، كيف لا وهو يؤمن بأنها خير ضامن للهوية الوطنية، فما هي الجوانب التي دافع من خلالها عن اللغة العربية في سبيل إحيائها وبعثها؟.

<sup>1</sup> أمين، محمد شوقي، « اللغة العربية مكانتها القومية والعالمية في القديم والحديث »، مجلة مجمع اللغة العربية، مج 34، الهيئة العامة لشؤون المطابع العربية، القاهرة، ص59.

<sup>2</sup> الرافعي، مصطفى صادق، وحى القلم، ج3، دار الكتاب العربي، دط، دت، ص32.

<sup>3</sup> فضيل، عبد القادر، رمضان، محمد الصالح، إمام الجزائر عبد الحميد بن باديس، دار الأمة، الجزائر، ط1، 1998م، ص74.

\* معنى هذا أن أمة إذا دخلت تحت حكم دولة أخرى، فإنها تفقد استقلالها، غير أنها لا تفقد شخصيتها وحياتها مادامت محافظة على لغتها. أنظر: الجندي، أنور، الثقافة العربية، دار الكتاب اللبناني، بيروت، دط، 1982م، ص345.

### أولاً: صلة اللغة العربية بالعقيدة الإسلامية:

لقد كان القرآن الكريم، ولا يزال بما تميز به من إعجاز عاملاً أساسياً في تثبيت اللغة العربية، وحمايتها من الزوال، وزادها تأصلاً أكثر بانتشار الإسلام، ولا نبالغ إذا قلنا أن فضل الإسلام على اللغة العربية كبير يصعب تقديره، إذ يكفي أنه " وحدث لهجاتها المختلفة في لهجة قريش، فلولاها لتحوّلت تلك اللهجات مع مرور الزمن إلى لغات مستقلة شأنها في ذلك شأن اللهجات اللاتينية التي أصبحت لغات متعددة لأمم مختلفة في أوروبا"<sup>(1)</sup>.

وكان "أبو اليقظان" ينطلق في دفاعه عن اللغة العربية من هذه القناعة، فهي كما يقول: «لغة الدين الإسلامي، لغة القرآن، لغة الحديث الشريف»<sup>(2)</sup>، بل إنه يذهب إلى حد اعتبارها أداة التواصل الوحيدة بين العبد وربّه، والقناة التي يتواصل بها الماضي مع الحاضر يقول: «فهي الصلة بين الله تعالى وعباده، وبين رسوله وأمتّه، وبين شرعه وعباده، وبين الأوائل والأواخر، وبين الغائبين والحاضرين»<sup>(3)</sup>.

ويؤكد "أبو اليقظان" أن هذا التلازم بين اللغة العربية والقرآن، وهذه القدسية التي اكتسبتها عن وحي السماء، كانت من أهم العوامل التي مكنتها من أن تحتل مكانة متميزة في نفوس المسلمين، ما جعل الإقبال عليها والتمسك بها أمراً ضرورياً، حتى أنه ذهب إلى حد الجزم بأن «لا سعادة حقيقية للبشرية، بغير الإسلام، ولا إسلام حقيقة بغير اللغة العربية»<sup>(4)</sup>.

1. معروف، نايف، الأدب الإسلامي في عهد النبوة وخلافة الراشدين، دار النفائس، لبنان، دط، 1990م، ص16.

2. أبو اليقظان، «بشرى لكم يا عشاق العربية» المغرب، ع33، (12-2-1931م).

3. نفس المصدر والعدد.

4. نفس المصدر والعدد.

فالتلازم بين اللغة العربية والإسلام، التي أكد عليها "أبو اليقظان"، كان مبررا موضوعيا- فيما نعتقد- بضرورة العمل على بعث اللغة العربية، وإحيائها لكونها الوسيلة الوحيدة لفهم القرآن وأسراره، وإحيائها هو إحياء للدين الإسلامي، ونجده يؤكد ذلك في قوله: «وإحيائها هو إحياء لتلك الصلة الكبرى والرابطة العظمى، والحبل المتين وإماتتها إماتة لتلك، وسعادة المسلمين منوطة بإحيائها() من كونها لغة الدين، ولغة الشريعة أيضا، إذ لا تتلقى هذه كما يجب إلا بإتقان تلك، وتفهم أساليبها، ومناهجها عند أممتها وأمرائها»<sup>(1)</sup>.

إن اعتبار "أبي اليقظان"، اللغة العربية أمرا ضروريا لفهم الشريعة الإسلامية - في نظرنا - يعد امتدادا لمواقف أئمة المسلمين الذين ذهبوا إلى اشتراط إتقان اللغة العربية لفهم القرآن الكريم، والسنة النبوية، لاستخراج الأحكام الشرعية من أدلتها<sup>(2)</sup>، وهكذا فإن التمسك بأهداب اللغة العربية حرص وتمسك بالدين الإسلامي، بل هو الحرص والتمسك بالجامعة الإسلامية قاطبة<sup>(3)</sup>.

ودعوة "أبي اليقظان" منطلقة من دافع الحفاظ على الدين الإسلامي، بالحفاظ على لغته التي هي أحد دعائم الشخصية الجزائرية، وهذه المحافظة هي " البرنامج الوحيد الذي يجب أن يكون برنامج "الجزائر" بأسرها في حاضرها ومستقبلها" على حد تعبير أحمد توفيق المدني<sup>(4)</sup>.

<sup>1</sup> أبو اليقظان، « بشري لكم يا عشاق العربية » المغرب، ع33.

<sup>2</sup> أبو زهرة، محمد، أصول الفقه، دار الفكر العربي، القاهرة، ط1، ص357.

<sup>3</sup> ناصر، د، محمد، المقالة الصحفية الجزائرية، مج2، ص40-41.

<sup>4</sup> المرجع نفسه، مج2، ص54.

## ثانيا: صلة اللغة العربية بالشخصية الوطنية، والأمة العربية الإسلامية

لا نبالغ إذا قلنا أن اللغة العربية ترتبط ارتباطا وثيقا بشخصية الأمة، أكد هذه الحقيقة "جمال الدين الأفغاني" حين اعتبر اللغة عنصرا أساسيا لوحدة الأمة وضمن اتحادها سياسيا، فقد كتب قائلا " أنه لا جماعة لقوم لا لسان لهم"<sup>(1)</sup>.

وتترسخ من هذه القناعة لدى "أبي اليقظان" أيضا، لذلك لم يدافع عن اللغة العربية لكونها لغة الدين الإسلامي فقط، وإنما لكونها مقوما جوهريا للشخصية الوطنية، فهي- في نظره - التي تجمع أشتات أبنائها، وتوحد أهواءهم تجاه عدوهم، لذلك لطالما وجدنا الرجل يلح على الحكومة الفرنسية برد الاعتبار للغة العربية وجعلها لغة رسمية شأنها في ذلك شأن اللغة الفرنسية، وضرورة إلغاء قرار اعتبار اللغة العربية لغة أجنبية لا وطن لها، يقول في ذلك: « فنحن نرى من السداد والسياسة الحكيمة من "فرنسا" الماجدة التي تحتضن رأيها عشرات الملايين من الناطقين بالضاد، والتي تعلق بواسطة برلماتها على عطفها نحو العربية، وإنماء ثروتها، وأن تعترف صراحة بأن اللغة العربية في "الجزائر" المسلمة هما اللغتان العربية والفرنسية معا لا الفرنسية فقط، وأن تلغي القانون الذي يجعل لغة خمسة ملايين من المسلمين لغة ملغاة لا ظل للخاتم الرسمي عليها»<sup>(2)</sup>.

<sup>1</sup> المراكشي، د، محمد الصالح، تفكير محمد رشيد رضا من خلال مجلة المنار، ص 458.  
<sup>2</sup> أبو اليقظان، « الوحدة العربية وكيف تكون؟»، تمغرب، ع35، (5-3-1931م).

والملاحظ أن "أبا اليقظان" قد جنح نوعا ما إلى مهادنة فرنسا ومجاملتها إلى حد وصفها بالماجدة، وهو موقف غريب في اعتقادنا. من كاتب صحفي لطالما عرضه قلمه للاستجواب تارة (1)، ومصادرة صحفه أخرى بسبب المقالات الحادة التي كانت موجهة لانتقاد السلطة بالخصوص، وربما أن الرجل فكر فيما تقتضيه مصلحة البلاد في مثل هذا الموقف، لذلك كانت ضرورة تخفيف حدة اللهجة أمرا ضروريا.

ودفاعه عن اللغة العربية باعتبارها مقوما للشخصية الوطنية موقف يعلي أيضا من شأن الرجل، ذلك أن افتخاره بميزابيته على حد تعبير "عبد الحميد بن باديس" (2) لم يقف حائلا دون أن يكرس قلمه للمطالبة بإعطائها المكانة اللائقة بها، إلى جانب غيرها من اللغات.

ولم يتوقف "أبو اليقظان" عند حد الدفاع عن اللغة العربية لكونها أحد المقومات الوطنية، بل لكونها مقوما أساسيا في وحدة الأمة العربية الإسلامية، فهي - في نظره - لسان الأمة الموحد لها والرابط لأجزائها، وبها تتفصم الحدود الوهمية، التي وضعها الاستعمار لتجزئة الوطن العربي، والحيلولة دون تواصل أبنائه، و"أبو اليقظان" في هذا يؤمن أن الاهتمام باللغة العربية من شأنه أن يساهم على حد قوله في: «تقوية الروابط الاجتماعية والأدبية واللغوية بين البلدان الناطقة بالضاد، ومقاومة الدعايات الأعجمية الضارة بالقومية العربية» (3).

1. عن مثل هذه الاستجابات انظر: أبو اليقظان، تاريخ صحف أبي اليقظان، ص 10.  
2. ابن باديس، عبد الحميد، «ديوان أبي اليقظان»، الشهاب، ج 10، مج 7، أكتوبر، 1931م، ص 607.  
3. أبو اليقظان، «الوحدة العربية وكيف تكون؟»، المغرب، ص 35.

ولأن العربية هي الرابط بين أبناء هذه الأمة، فإن "أبا اليقظان" لا يفتأ يذكر أبناء الأمة العربية بالتلازم الوثيق بين العربية والقرآن، الذي يحتكمون إليه ويستخدمون العربية لفهمه، وتدبر معانيه وأسراره، وهذا - في نظره- من شأنه أن يقف حصنا منيعا ضد محاولات الاستعمار لقتلها، وتمزيق شمل هذا الوطن الكبير يقول في ذلك: «وإذا كان لا بد من خلود العربية وبقائها ما بقي القرآن والسنة في هذا الوجود، فهل يجني أعداؤها غير العناء والتعب، وأشواك العداوة والبغضاء من كافة الناطقين بالضاد»<sup>(1)</sup>.

ولئن كان تصريح "أبي اليقظان" يبعث على الارتياح، فإن ضرورة التصدي لكل المحاولات للنيل من العربية، يصبح أكثر من ضرورة في نظرنا- في ظل المساعي التي قام بها الاستعمار الأوروبي ولا يزال لتقسيم الأمة الإسلامية إلى دويلات متناحرة، غزتها اللهجات المختلفة، مع كثرة النداءات باستعمال العامية في كل بلد باعتبارها لغة الحياة اليومية، وقيام بعض دعاة الاستعمار من المستشرقين بتقديم مشاريع في ثوب علمي لتعليم العامية بالمدارس، وإحلالها محل العربية الفصحى<sup>(2)</sup>.

فكل هذه المعطيات التي تهدد اللغة العربية، كانت تستدعي تجاوز مجرد التنغي بدوام حياة اللغة العربية ببقاء القرآن، إلى ضرورة إعطاء بعض المقترحات كالتصدي لدعاة اللهجات العامية مثلا، هذه التي شجع الاستعمار على تكريسها، ولا أدل على ذلك، فقد سعت سلطات الاحتلال منذ وطئت أقدامها أرض "الجزائر"، على تكثيف جهودها في منطقة القبائل في سبيل فصلها عن الكيان الجزائري، فأقنعت أبناءها بأنهم الأحسن عرقا، والأعلى شأنًا، وعليهم أن يعملوا على إحياء لغتهم بالكتابة والتدريس والنشر<sup>(3)</sup>، وقد تنبه إلى ذلك "البشير الإبراهيمي"

<sup>1</sup> أبو اليقظان، «الوحدة العربية وكيف تكون؟»، المغرب، ع35.

<sup>2</sup> المراكشي، د، محمد الصالح، تفكير محمد رشيد رضا من خلال مجلة المنار، ص462.

<sup>3</sup> سلمان، د، نور، الأدب الجزائري في رحاب الرفض والتحرير، دار العلم للملايين، بيروت، ط1، 1981م، ص80.

عندما ظهر ما يسمى بالظهير البربري، فعكف فاضحا مخططاته، كاشفاً  
دسائس الاستعمار الفرنسي في ذلك<sup>(1)</sup>.

### ثالثاً: اللغة العربية بين الواقع الاستعماري وحمايتها:

لم يكن دفاع "أبي اليقظان" عن اللغة العربية منطلقاً من دافع الغيرة  
الدينية فقط، أو الوطنية، وإنما كان ذلك مرده أيضاً إلى الواقع الذي كانت  
تمر به، فقد لاحظ أن كل المؤشرات تنبئ على أنها أصبحت غريبة في  
دارها، وصارت إلى حالة من الضعف يهدد بقاءها، إذ بلغ به الوصف إلى  
القول أنها: «أصبحت رطانة غريبة وخليطاً من اللغة لا هو عربي ولا  
بربري، ولا فرنسي، وإنما هو مزيج من العربية والبربرية والفرنسية،  
والعربية منه أقل الثلاثة على ما هي عليه من التكسر والاختزال»<sup>(2)</sup>.

وبهذا الوصف يتأكد لنا المستوى الذي وصلت إليه اللغة العربية من  
الانحطاط، والضعف، وقد كرسته اللهجات التي ما فتئت السلطات  
الاستعمارية استغلال نار فتيلها، وغذته عوامل الفرنسة التي بهرت عيون  
بعض أبناء الأمة، فراح يقتفي آثارها.

ولم يتوان "أبو اليقظان" عن البحث عن أسباب وصول العربية إلى  
هذه الحالة من الاغتراب والعزلة، فوجد أنها تتلخص في أسباب ثلاثة:<sup>(3)</sup>

- 1- جهل المسلمين بمكانة لغتهم، واستنكافهم عن الاهتمام بها .
- 2- وهن القومية العربية، واندماجها في القومية البربرية ، وعدم  
اعتبار هذه ما للعربية بما يجب للإسلام من الاعتبار، والوسيلة من حكم  
المقصد.
- 3- عدم رغبة الحكومة في وجودها، والعمل على قتلها، وإماتتها  
لأغراض تعلمها .

<sup>1</sup> الإبراهيمي، عيون البصائر، ص 445 وما بعدها.

<sup>2</sup> أبو اليقظان، «اللغة العربية غريبة في دارها»، وادي ميزاب، ع55، (3-11-1927م).

<sup>3</sup> نفس المصدر والعهد.

هذا هو - إذن - الواقع البائس الذي مرت به اللغة العربية من الضعف والضياع، خلال العشرينيات، كما وصفه "أبو اليقظان"، غير أنها بدأت تعرف انتعاشا كبيرا مع ظهور بوادر النهضة الإصلاحية، حيث كانت الجهود متواصلة، لترقية اللسان العربي، ومن غير شك فإن المدارس والصحف كانت من أهم الوسائل التي جندت لهذه المهمة، ولا أدل على ذلك من هذا الوصف الذي قدمه "ابن باديس" حول فضل الصحافة في الدفع باللغة العربية " والشعور بهذا الواجب يعزي الفضل فيه إلى ما قام به نبغاء "الجزائر" ودهماؤها من الدعوة والإرشاد، فظلوا يناقحون عن اللغة والدين، مظهرين ما لهما من الروعة والجلال، وإلى ما قامت به الصحافة الجزائرية الفتية من ضروب التعضيد() فتوصلت بعد جهاد طويل إلى غرس ملكة الذوق العربي في النفوس، فتذوق العموم من حلوة اللغة العربية وطلاوة أساليبها الرشيقة"<sup>(1)</sup>.

ولئن تغربت العربية بين أبنائها فإن ملاحظات الاستعمار للغة العربية كانت مستمرة في سبيل القضاء عليها، والقضاء على كل ما يرفع من شأنها، وقد أكد "أبو اليقظان" على هذه الحقيقة حينما تعرض في حديثه لملاحظات السلطة للصحافة العربية بالقول: « كانت تعتمد في إجراءاتها على القانون الذي يعتبر اللغة العربية التي هي لسان ستة ملايين من المسلمين كلغة أجنبية في البلاد لوزير الداخلية و لمن ينوبه الحق في تعطيل ما ينشر بها إداريا دون التجاء إلى المحاكمة القضائية »<sup>(2)</sup>.

والواقع أن اللغة العربية قد تعرضت لمؤامرات استعمارية كبرى سعيا للقضاء عليها، إذ بلغت المحاولات من اعتبارها لغة أجنبية، إلى حد تغيير أسماء شوارع المدن بأسماء أعلام قادة فرنسيين حتى لا يبقى للعربية أثر يذكر<sup>(3)</sup>.

1. ناصر، د، محمد، للمقالة الصحفية الجزائرية، مج2، ص38.

2. أبو اليقظان، « عريضة إلى لجنة البحث البرلمانية »، الأمة، ع120.

3. ابن نعمان، د، أحمد، فرنسا والأطروحة البربرية في الجزائر، ص83.

ولا نبالغ إذا قلنا أن الاستعمار استهدف العربية قبل غيرها من مقومات الشخصية الوطنية، فذلك عن وعي منه بأن "اللغة هي وعاء الدين، وهي وعاء الثقافة، وهي التي توحد أفراد، الشعب في أنماط تفكيرهم وأساليب تعبيرهم"<sup>(1)</sup>.

ونحسب أن هناك عاملا آخر لا يقل أهمية عن سابقه كان سببا رئيسيا فيما آلت إليه اللغة العربية من الاغتراب و الضياع، و يتعلق الأمر بفئة من المتقنين ثقافة مزدوجة، فقد كان هؤلاء كما وصفهم "إبراهيم بيوض" "يسبحون لمجد أوروبا ويقدمونها تقديسا كاد يصل إلى درجة العبادة"<sup>(2)</sup>.

وقد كتب "أبو اليقظان" مستكرا سلوك هؤلاء إزاء لغتهم، وانصرفهم إلى لغة غيرهم، وأكد في الوقت نفسه أن هؤلاء ما انصرفوا إلى اللغة الأجنبية إلا لاعتقادهم أن ذلك من مستلزمات التمدن الحديث، وأن التخاطب بلغة الأجداد ما هو إلا تمسك بالماضي الذي لا يخدم الرقي الواجب احتذاؤه<sup>(3)</sup>.

فلقد أدرك "أبو اليقظان" على شاكلة "الحافظ الأزهري"<sup>(4)</sup>، مركب النقص الذي اعتري تلك الفئة من شباب الأمة، فهؤلاء لا يرون في لغتهم عاملا للرقى والانطلاق، ومن ثم فإن السبيل لذلك هو التحرر من اللغة العربية، والانصراف إلى غيرها، والاحتذاء بأوروبا في كل شيء.

<sup>1</sup> مهراوي، محمد، البشير الإبراهيمي نضاله وأدبه، دار الفكر، دمشق، سوريا، ط1، 1988م، ص78.

<sup>2</sup> بوحمام، د، محمد ناصر، الشيخ بيوض والعمل السياسي، المطبعة العربية، غرداية، الجزائر، ط1، 1981م، ص123.

<sup>3</sup> أبو اليقظان، «اللغة العربية غريبة في دارها»، وادي ميزاب، ص55.

<sup>4</sup> ناصر، د، محمد، المقالة الصحفية الجزائرية، مج2، ص49.

ولم يتوان "أبو اليقظان" في كل ذلك عن ذكر السلبيات التي انجرت عن هذا الموقف تجاه اللغة العربية، فكتب قائلاً: «والأغرب من هذا أنك ترى كثيراً ما يقع إشكال بين المتخاطبين بالعربية، وإذا التجنوا إلى الفرنسية تفاهموا وزال الإشكال، والكل عرب مسلمون، ومما يقضي بالدهشة والاستغراب أنك ترى متصافحين عربيين مسلمين يتخاطبان باللغة الأجنبية كلغتها الأصلية نابذين بذلك لغتهما، ولغة أجدادهم ظهرياً»<sup>(1)</sup>.

على أن "أبا اليقظان" يعود ليقر على شاكلة "الإبراهيمي"،<sup>(2)</sup> إلى أن هذا الواقع الذي تمر به اللغة العربية وهذه المحاولات الاستعمارية لضربها في مقاتلها لا تزيد أصحابها إلا عناء، ولن يزيد حمايتها إلا «عشقا وولوعا وغراما بها، وينفخون روح القوة والنشاط لإعزازها، وإعلاء شأنها، فبقدر ما تشتد المقاومة منهم لها تقوى في أصحابها روح الهمة والنشاط والغيرة عليها، فليمعنوا ما شاءوا في الكيد والدس لها»<sup>(3)</sup>.

<sup>1</sup> أبو اليقظان، «اللغة العربية غريبة في دارها»، «وادي ميزاب»، ع55.

<sup>2</sup> الإبراهيمي، محمد البشير، عيون البصائر، ص221 وما بعدها.

<sup>3</sup> أبو اليقظان، «الوحدة العربية وكيف تكون»، المغرب، ع35.

### رابعاً: اللغة العربية والعطاء الحضاري .

جاء هذا التأكيد من "أبي اليقظان" على أن اللغة العربية لغة العلم والمدنية حين تعرض بالحديث عن الجهود التي يبذلها الأشقاء في سبيل ترقية العربية وبعثها، فهؤلاء ما انفكوا يعطونها حقها من التدوين، ويرفعوا عنها ما علق بها من الألفاظ الدخيلة، بعد أن أصابها التدني في عصور الانحطاط، وفتحوا لها باب اشتقاقها لأسماء المستحدثات العصرية، فأثبتوا كما يقول : « أن العربية قادرة على حمل ما يلده كل عصر من غرائب الاختراع والاكتشاف فقطعوا بذلك ألسنة الخراصين الذين يدعون أن اللغة العربية وإن كانت لغة الدين فهي لغة علم »<sup>(1)</sup>.

من الواضح أن "أبا اليقظان" يقصد بألسنة الخراصين، دعاة التغريب، ممن عجزوا عن الوقوف على قيمة العربية، وأسارها ما يجعلها مواكبة لكل زمان ومكان، وقد مثلته في "الجزائر"، طائفة الشباب المتخرج من مدارس الحكومة الفرنسية، والذين دعوا إلى اتخاذ الفرنسية أداة للانبعاث الثقافي والاجتماعي ...

وموقف "أبي اليقظان" تجاه اللغة العربية - في نظرنا - يعد امتداداً لمواقف كل المصلحين ممن آمنوا بأن العربية لغة علم قادرة على صنع الحضارة، وهي قناعة نابعة من إدراك جميعهم لما تحمله هذه اللغة من المصطلحات العلمية الضرورية ما يؤهلها للتعبير عن المعاني العلمية الحديثة.

وقد جسد مثل هذا الاهتمام "البشير الإبراهيمي"، الذي ذهب إلى الجزم القاطع بقدرية العربية على استيعاب ثقافات الغير، حين صرح بذلك في قوله: " لو لم تكن لغة متسعة الآفاق غنية بتركيب المفردات والتراكيب - لما استطاع أسلافكم أن ينقلوا إليها علم "اليونان" - وآداب "فارس"

<sup>1</sup> أبو اليقظان، « اللغة العربية غريبة في دارها »، وادي ميزاب، ع55.

و"الهند"، ولا لزمتهم الحاجة إلى تلك العلوم بتعليم تلك اللغات، ولو فعلوا لأصبحوا عربا بعقول فارسية وأدمغة يونانية<sup>(1)</sup>.

ولا مرأء، فإن -اللغة العربية- في اعتقادنا - استطاعت في عصور سابقة أن تستوعب العلوم القديمة يوم ترجمت إليها في العصور الزاهرة، وهي اليوم قادرة على القيام بالدور نفسه، ويكفي أن يرجع الباحث إلى كتب القدماء "كابن سينا"، "والخوارزمي"، وغيرهم ليدرك أن ما حوته هذه الكتب من المصطلحات<sup>(2)</sup> يمكن أن يصلح ليكون عمدة لوضع مصطلحات جديدة تعبر عن المعاني العلمية الحديثة.

وقد عكف "أبو اليقظان" على إبراز المميزات التي اختصت بها العربية ما أهلها لأن تكون لغة غنية بمفرداتها، وعلومها، وأساليبها، فقد نالت العربية من الخدمات في العصور الأولى الراقية، بلغت معها من التدوين والتأليف مبلغا في غاية الضبط والإتقان، وصار كما يقول: « أن قامت لها أسواق رائجة في نوادي دمشق، وبغداد، وقرطبة، والقيروان، وتجاوزت أصداء الشعراء والأدباء، والعلماء بين جدران سائر الممالك الإسلامية»<sup>(3)</sup>.

ومن ثم يذهب إلى الجزم بأن العربية لو لقيت من الاهتمام ما تلاقيه اللغات الأجنبية الأخرى لأمكنها أن تحتل الريادة بين غيرها من اللغات، وقد أكد هذا المعنى في قوله: «فلو أن اللغة العربية وجدت ما وجدت اللغات الحية الأخرى من الدول الكبرى من المساعدات العظيمة المادية، والمعنوية على النمو والانتشار، لأصبحت في مقدمة اللغات الحية رواجاً وانتشاراً وثروة»<sup>(4)</sup>.

1. الإبراهيمي، آثار الشيخ البشير الإبراهيمي، ج1، ص260-261.

2. أنظر حول هذا الموضوع: مزيان، د، عبد المجيد، « قضايا التعريب، عقبات وتحديات » ندوة قضايا استعمال اللغة العربية، أكاديمية المملكة المغربية، الرباط، نوفمبر 1993م، ص58 وما بعدها.

3. أبو اليقظان، « اللغة العربية غريبة في دارها » وادي ميزاب، ع55.

4. نفس المصدر والعدد.

هذه مجمل زوايا تفكير "أبي اليقظان" في مجال الدفاع عن اللغة العربية وضرورة بعثها، فقد دعا الرجل إلى تأكيد مطلبين هاميين:

- أحدهما: تحديد أبعاد شخصيتنا الوطنية ذات البعد العربي الإسلامي والتي ترسم معالم وجودنا على هذه الرقعة الجغرافية.

- ثانيهما: تأكيد ارتباطنا بالدين الإسلامي باعتبارها اللسان المعبر والمترجم لهذا الدين القائم بمرجعيتيه الكتاب والسنة.

## الفصل الثانى

الفكر الإصلاحى عند " أبى الیقظان " فى المجال  
الاجتماعى

المبحث الأول: الآفات الاجتماعىة والنزعات  
والمظاهر السلبىة وطرق النهوض بالمجتمع.

المبحث الثانى: المرأة فى فكر  
"أبى الیقظان".

المبحث الثالث: الشباب فى فكر  
"أبى الیقظان"

المبحث الرابع: الوحدة الاجتماعىة فى فكر "أبى  
الیقظان"

المبحث الخامس: آراء اقتصادىة فى فكر "أبى  
الیقظان"

## تمهيد:

رأينا فى المدخل كيف أن الاستعمار استطاع إلى حد بعيد أن يحدث نقلة نوعية فى البناء الاجتماعى، وكيف عمل دون هوادة على تجهيل، وتفريق، وتشريد، وإحياء النزعات القبلية بين أبناء المجتمع الجزائري، ليسهل عليه تزويبه فى الكيان الفرنسى، كيف لا وقد "خارت النفوس القوية وفترت العزائم المنقذة، وماتت الهمم الوثابة، ودفنت الآمال فى صدور الرجال، واستولى القنوط القاتل واليأس المميت" فى النفوس<sup>(1)</sup>.

وفى ظل هذا الواقع، كان على الحركة الإصلاحية أن توجه جهودها إلى الإصلاح الداخلى للمجتمع الجزائري، عن طريق إصلاح الأفراد، بإصلاح نفوسهم، وبعث الشعور لديهم بمقوماتهم العربية الإسلامية، وتخليصهم من قابلية التبعية والانصياع.

ولقد كانت قناعة "أبي اليقظان" تسير وفق هذا المسار، فقد كتب موضحا هدفه فى هذا الإطار أنه: «السعي فى تكوين الأمة تكوينا صحيحا من حيث الأخلاق الفاضلة، والتفكير الصحيح، وذلك بمقاومة الأوهام، والرزائل وبث روح الوئام، والتفاؤل بين المتساكنين على خط الإسلام ضمن الكتاب والسنة»<sup>(2)</sup>، فعليهما قوام الهيئة الاجتماعية وانتظامها وصلاح الفرد هو صلاح المجموع على حد تعبير "ابن باديس"<sup>(3)</sup>.

<sup>1</sup> الطالبي، د، عمار، عبد الحميد بن باديس: حياته وأثاره، ج3، دار البيضة العربية، الجزائر، ط1، 1968م، ص24.  
<sup>2</sup> أبو اليقظان، «الإفتاحية»، وادي ميزاب، ج1، وأبو اليقظان، «المرحلة الثالثة لوادي ميزاب»، المصدر نفسه، ص103.  
<sup>3</sup> ابن باديس، عبد الحميد، مجالس التنكير من كلام الحكيم الخبير، دار البعث للطباعة والنشر، قسنطينة، الجزائر، ط1، 1982م، ص108.

## المبحث الأول: الآفات الاجتماعية والنزعات والمظاهر

### السلبية وطرق النهوض بالمجتمع.

تمهيد:

لئن كان الاستعمار الفرنسي، قد ساهم بشكل كبير في انتشار مختلف الرذائل، والموبقات، بين أبناء المجتمع الجزائري، وبذل جهودا معتبرة لتكريس هذه الظواهر، فإن لعاملي الجهل، والخرافات التي توارثتها الأجيال طوال عصور الانحطاط، دور لا يستهان به في وجود بعض الأخلاق الفاسدة والعادات السيئة.

وقد حارب المصلحون جميع الآفات، والظواهر السلبية سواء منها ما كان موجودا بسبب الجهل بالدين، والغفلة عنه، أو ما كان الاستعمار هو السبب في وجوده كالخمر، والقمار، والبغاء، وغيرها، وهذا ما سنحاول التعرض له في هذا المبحث.

أولا : الآفات الاجتماعية: تطرق "أبو اليقظان" لمعالجة الكثير من الآفات الاجتماعية \* من خمر، وميسر، وبغاء، على أننا سنتطرق إلى نموذج واحد وهو ما تعلق بأفة البغاء .

- آفة الفجور "البغاء": البغاء أو "الزنا" من الآفات الاجتماعية التي استتكرها الشرع، فقد جاء النص القرآني مشددا العقوبة على فاعلها في قوله تعالى: ﴿الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ، وَلَا تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَيْشْنَهُنَّ عَذَابُهُمَا طَائِفَةٌ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾<sup>(1)</sup>، بل إن الخطاب النبوي تجاوز إلى نفي

\* أنظر فهرس المقالات : المبحث الأول من الفصل الثاني.

1. النور، 2.

الإيمان عن مرتكبها، فقد قال ﷺ: «لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن» (1).

وقد استفحلت هذه الآفة في المجتمع الجزائري بشكل مريع بفعل عامل الجهل، وعامل الاستعمار الذي عمل لتكريس مثل هذه الظواهر، وكان ذلك دافعا قويا من وراء اهتمام "أبي اليقظان" لمعالجة مثل هذه الآفة الخطيرة، فقد أدهش - كما يقول - «العقلاء فشو داء البغاء في "الجزائر"، وانتشاره في شوارع كثيرة من البلاد، وسريانه في كثير من العائلات، وانكباب الكثير من الشبان في هاويته السحيقة، وتدفق جيوش كثيرة من البغايا في الأنهج يتعرضن بمناكبهن في سبيل أعمالهن، ويعرضن أنفسهن كالبضائع البائرة» (2).

وموقف "أبي اليقظان" المستنكر لهذه الآفة - يبدو - واضحا، باعتبارها من المحرمات التي نص عليها الشرع، إذ ما من شك أن الله تعالى خلق النوع البشري، وفرض عليه تكاليف وحدد حدودا يقف عندها، ومن هذه الحدود والشرائع تحريم كل ما فيه مقاومة بقاء النوع البشري، أو فساد سيره في الأرض من القتل والزنا (3).

من الواضح أن الفكر اليقظاني، يرفض قيام مجتمع، تكون فيه العلاقات مبنية على الإباحية المطلقة، أو فوضى الأخلاق، دون أن تحكمها ضوابط شرعية تحفظ البناء الاجتماعي، ذلك أن الفوضى من شأنها أن تؤدي "إلى هبوط الإنسان إلى مرتبة الحيوان وتفسد الحياة كلها، إذ تنتهي بها إلى أن تكون ضرورة جسد وشهوة وغريزة، لا ترتفع إلى فكرة عليا، ولا شعور إنساني ولا فن رفيع، وبذلك يتحطم المجتمع وتتهار الحضارة، وينتهي كل شيء إلى البوار" (4).

1. أخرجه البخاري، كتاب المظالم والغضب، باب النهي بغير إذن صاحبه، أنظر صحيح البخاري، ج7، مطبعة مصطفى الباتي الحلبي وأولاده، مصر، دط، 1980م، ص178.

2. أبو اليقظان، «وباء الفجور»، وادي ميزاب، ع93، (7-27-1928م).

3. أبو اليقظان، «وباء الفجور»، المصدر نفسه، ع90، (6-7-1928م).

4. قطب، محمد، الإنسان بين المادية والإسلام، دار الشروق، القاهرة، بيروت، ط11، 1993م، ص166.

ولم يتوان "أبو اليقظان" وهو يعالج هذه الآفة عن استعراض بعض الشواهد القرآنية التي وضعها الشارع كضمانات تحمي المجتمع من السقوط في بؤرة الانحلال، والتفسخ من ذلك قوله تعالى: ﴿وَقُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَعْضُوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَعْضُنَّ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا...﴾ (1).

وقد اجتهد "أبو اليقظان" في السياق نفسه على التنبيه على مضار هذه الآفة على الدين، والصحة، والجانبين الأخلاقي، والاجتماعي، وانتهى إلى التأكيد على أنها إذا استفحلت أفضت بالمجتمع إلى «بؤرة للمفاسد ومستقعا كريها من مستنقعات الشرور، ومزبلة من مزابل الغواية، والسقوط، والنذالة، وليس من وراء أكامها إلا الخراب، والدمار، والانقراض» (2)، وهي بلا شك لا تفسد الدين فقط، وإنما تفسد المال، والدين، والعقل، والجسم، والبيئة (3)، تلك هي النتيجة التي خلص إليها في الإطار ذاته "إبراهيم بيوض" وهو يفسر قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ يُفْرُوجُهُمْ حَافِظُونَ﴾ (4).

إن مثل هذه النتيجة التي خلص إليها "أبو اليقظان"، وانتهى إليها "إبراهيم بيوض" تأكيد على سياسة "فرنسا" التي قامت في شقها الآخر - إلى جانب الآلة العسكرية - على أسلوب تخدير الشعب بأحدث ما أنتجته مخابر أوروبا من جراثيم المسخ، واستحدثته قاعات الموضة، والغواية (5)، ولا أدل على ذلك أن الإدارة الفرنسية، فتحت كل الأبواب، ومنحت الرخص لكل من يرغب في فتح حانة في الوقت الذي شددت على كل ما يرتقي بالسلوك ويسمو بالنفس الإنسانية.

1. النور، 31.

2. أبو اليقظان، «وباء الفجور»، وادي ميزاب، 93ع.

3. بيوض، إبراهيم بن عمر، في رحاب القرآن: تفسير سورة المؤمنون، 5، تحرير عيسى بن محمد الشيخ بالحاج، المطبعة العربية، غرداية، الجزائر، دط، 1998م، ص13.

4. المؤمنون، 5.

5. ناصر، د، محمد، المقالة الصحفية الجزائرية، مج1، ش، و، ن، ت، الجزائر، دط، 1978م، ص205.

وقد اتجه "أبو اليقظان" هذه المرة إلى بيان أسباب الزنا، ويبدو أنه قد تعمد الحديث عن مفسده قبل إيضاح أسبابه أخذاً في الحيطة، ونجده يبرز ذلك في قوله: «إنما قدمنا الأولى عن هذه مع أن تلك المفسد نتيجة طبيعية لهذه لمزيد ارتباطها بحكمة التحريم وشدة أهميتها» (1).

و"أبو اليقظان" في ذلك من الذين يؤمنون أن الوقاية خير من العلاج، التي تقوم على إبراز مخاطر الداء توخياً في الحيطة والحذر، وتجنباً للمزالق التي يمكن أن تحدث، وقد أثبت الواقع أن الإنسان كلما وعى خطورة الفعل وعواقبه، كلما كان ذلك أدعى لتركه.

فمن الأسباب المؤدية إلى الوقوع في هذه الكبيرة - في نظر "أبي اليقظان" - الجهل وقلة التدين وضعف الإيمان وثوران الشباب، والفراغ، ومخالطة الفساق، وطول مدة العزوبة (2).

وقد أكد "أبو اليقظان" من خلال العامل الأخير - طول مدة العزوبة - على العواقب الوخيمة التي انجر عنها عزوف الشباب عن الزواج، وذلك حينما قام بعرض ما توصلت إليه الإحصائيات في أوروبا في هذا الإطار حيث قال: «لقد دلت الإحصائيات الجنائية في بعض السنين على الخصومات، والمنازعات الواقعة من غير المتزوجين بلغت مائة في المائة، وأما الواقعة من المتزوجين فلم تتجاوز 49%، وقد نزلت إلى 45%، لقد أثبت أطباء أوروبا المتمدنة، وعلماء الصحة فيها ما يعترى غير المتزوجين من التأثيرات العظيمة المضرة بالصحة ( ) ووقوع الجرائم القبيحة، وحدوث الجنون المتنوع والانتحار، وإتلاف النفوس» (3).

1. أبو اليقظان، «وباء الفجور»، وادي ميزاب، ع91، (13-7-1928م).

2. نفس المصدر والعدد.

3. نفس المصدر والعدد.

وهذه لفظة ذكية من "أبي اليقظان"، إذ بالقدر الذي أراد أن يؤكد على خطورة طول مدة العزوبة، فبالقدر ذاته أراد أن يؤكد على صحة تصوره بإيراد ما توصلت إليه الأبحاث من نتائج بالدليل المادي الملموس الذي لا يجعل مجالاً للإنكار، أو الشك.

ولا مجال لرفض ما توصل إليه "أبو اليقظان" من نتائج، فلا شك أن التبكير بالزواج أحد المطالب الهامة التي نادى بها الشارع الحنيف لحصول الاستقرار النفسي، والتوازن الجسمي والفكري، وقد ورد ذلك في قوله تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ (1)، وقوله ﷺ:

﴿يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج فإنه أغض للبصر وأحصن للفرج﴾ (2).

ويجب أن نسجل أنه بالرغم من اهتمام "أبي اليقظان" بإبراز مخاطر الداء وأسبابه فإننا لم نعثر له على بدائل للقضاء على هذه الآفة، كدعوته إلى الترغيب في الزواج مثلاً وهو ما قام به غيره من المصلحين أمثال "البشير الإبراهيمي"، وهو يتحدث عن قضايا الأسرة (3)، و"إبراهيم بيوض" وهو يفسر سورة النور (4).

على أننا قد نعذر الرجل، فانتشار هذه الآفة بالشكل الذي أفصح عنه من قبل مبرراً موضوعياً لانشغاله في مكافحتها، وقد أكد هذه الحقيقة أحد الدارسين حينما قام بعملية مسح لما كتب في هذا المجال - الآفات الاجتماعية - فخلص إلى أن "مقاومة المقالة الصحفية الجزائرية للآفات

1. الروم، 21.

2. أخرجه البخاري، كتاب النكاح، باب قوم النبي ﷺ: من استطاع منكم الباءة فليتزوج...، أنظر صحيح البخاري، ج7، ص3. ومسلم بشرح النووي، كتاب النكاح، باب استحباب النكاح لمن تافت نفسه إليه ووجد مؤنة، أنظر صحيح مسلم بشرح النووي، مج5، ج9، دار الفكر للطباعة والشر والتوزيع، 1981م، ص175. والنسائي، كتاب صيام، باب فضل الصيام، أنظر: سنن النسائي بشرح الحافظ جلال الدين السيوطي، مج2، ج4، دار الكتاب العربي، دط، ص169 وما بعدها، وابن ماجه، كتاب النكاح، باب ما جاء في فضل النكاح، حديث رقم: 1845، أنظر: سنن ابن ماجه، ج1، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دار الفكر، دط، ص592.

3. الإبراهيمي، محمد البشير، عيون البصائر، ص132 وما بعدها.

4. بيوض، إبراهيم بن عمر، في رحاب القرآن: تفسير سورة النور، ج6، تحرير عيسى بن محمد الشيخ بالحاج، المطبعة العربية، غرداية، الجزائر، دط، 1998م، ص85 وما بعدها.

الاجتماعية تبدو ضعيفة كما وكيفا إذا ما قيست باهتمامها بالمواضيع الأخرى، فنحن نجد أغلب الكتاب الذين حاربوا الخمر، والدعارة، أو القمار، يلجؤون إلى إحدى الطريقتين في عرض أفكارهم: إما أن يتناولوا الموضوع تناولا عاما بحيث يحشرون في مقال واحد دراسة هذه الآفات جميعا، وإما أن يكتفوا باللمحة السريعة أو الإشارة العابرة<sup>(1)</sup>.

ومع ذلك فقد فكر الرجل في تحديد الجهات المسؤولة التي بإمكانها تجميع جهودها في سبيل وضع برامج جدية للقضاء أو الحد من هذه الآفة، ويحددها "أبو اليقظان" فيما يلي:

**1. على مستوى الجماعات:** وهذه بإمكانها تأسيس الجمعيات على شاكلة الجمعيات الأخرى، كجمعيات مقاومة المسكرات، والسل، والسرطان، وأحسن وسيلة يمكن أن تستخدمها في ذلك إلقاء المحاضرات، ونشر الرسائل التي تبرز مخاطر الداء، و"أبو اليقظان" في كل ذلك لا يرى بأسا من الاقتداء بأوروبا في هذا المجال يقول: «وقد علمتنا أوروبا نفسها كيف يجب الاهتمام بالمصالح العامة لجلبها، وبالمضار العامة لدفعها، وقد تفننت في عقد الاجتماعات والمؤتمرات وتوزيع اللجان لدرس مادة، أو مرض، أو جرثومة، أو مشكلة خاصة»<sup>(2)</sup>.

**2. العلماء:** وهؤلاء بالقيام بعمل الوعظ والإرشاد، وقد خصهم "أبو اليقظان" لما لهؤلاء من نفوذ عظيم لدى العامة ولكلامهم من أثر فعال في النفوس، ومن ثم فإن سكوتهم «وهم بهذه المنزلة- عن ضرر خطير كهذا يعد جرما عظيما وإثما كبيرا لما ينشأ عنه من جراءة الفساق، واستهتار الفجار في فجورهم»<sup>(3)</sup>.

<sup>1</sup> ناصر، د، محمد، المقالة الصحفية الجزائرية، مج1، ص214.

<sup>2</sup> أبو اليقظان، «وباء الفجور»، ع95، (10-8-1928م).

<sup>3</sup> نفس المصدر والعدد.

3. الطبقة المثقفة: وهؤلاء هم الأدباء والكتاب، لما لهم من ملكة الكتابة، وعملهم هذا كما يرى أبو اليقظان - إنما يكون دعاية ضد جريمة الزنا، بما يتوفر لديهم من وسائل النشر (1).

4. رؤساء القبائل وكبار العائلات: بما توفر لديهم من نفوذ على ما تحت تصرفهم ذلك أن « إهمالهم لذويهم وترك حبلهم على غاربهم إنما ضرره عليهم، وعار على أنفسهم قبل غيرهم » (2).

في الأخير يمكن القول أن "أبا اليقظان" قد أصاب في وصف الظاهرة وفي بيان أضرارها، ومفاسدها، وأجاد في تحديد الفئات المسؤولة عن محاربة الآفة شأنه في ذلك شأن غيره من المصلحين الذين وقفوا من هذه " الرذائل المتفشية في الأمة الجزائرية من خمر، وفجور، ومسارعة في الإيمان الفاجرة، وترك الصلاة، وشهادة زور موقف الخصم الجبار، وحملت عليه وما زالت تحمل حملات صادقة شكرها لها المنصفون وإن قلل من شأنها المتعسفون" (3)، وكان لذلك أثره على مستوى سلوك الأفراد والجماعات.

ثانيا: النزعات الفردية والمظاهر السلبية: لا نبالغ إذا قلنا أن اهتماما بالغاً أولاد "أبو اليقظان" إلى هذا الجانب، تؤكد كثرة المقالات الصحفية التي كتبها في هذا الإطار\*، فقد اهتم الرجل منذ البداية باستعراض مختلف صور النزعات الفردية، والمظاهر السلبية التي أصابت القيم الاجتماعية، وأدت إلى تفكيك شبكة العلاقات الاجتماعية.

فمن بين النزعات الفردية، والمظاهر السلبية التي تركزت لدى فئة من الناس داخل المجتمع الجزائري، ما يعرف "بالإعجاب بالنفس"، وهي صفة في نظر "أبي اليقظان" - إذا ما حلت بالمجتمع أدت إلى فساد أخلاقه، وعطلت مواهبه، وخربت ضمائره، خاصة حينما يكون الشعار الذي يرافق

1. أبو اليقظان، «وباء الفجور» ع95.

2. نفس المصدر والعدد.

3. جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، سجل مؤتمر جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، ص74.

\* أنظر فهرس المقالات: المبحث الأول من الفصل الثاني.

الفرد في جميع تصرفاته، وقد كتب "أبو اليقظان" واصفا مثل هذا الواقع بقوله: «يولد زيد من أبوين فيحتضنانه في خمائل الرفاه، والثراء، ولا تفتح عيناه إلا وقد مات أبوه عن ثروة طائلة لا يدري من أين دخلت، ولا يعرف كيف يتصرف فيها، فيدخله الزهو، والغرور، والإعجاب، فيرى نفسه كأنه في قمة جبل القصر الأحمر، والناس من حوله منكسة الرؤوس، خاشعة الوجود ()، يولد عمرو بين أسرة تعشق العلم، وتباهي به، فيودعه أبوه معهدا علميا، ولا يتذوق عسيلة انعلم إلا وقد مات أبوه عن ثروة طائلة فيصبح وهو طفل الأمس وتلميذ انيوم يعد نفسه من الإعجاب، والغرور، بالأسرة، والقبيلة علماء، ومالا، وهو أجهل من حماره () يتخيل المسكين لغروره أن دراهمه تصرف إلى كل شيء وأنها معنى لكل شيء» (1).

إن الفكر اليقظاني - فيما يبدو - لا يعترف بالمادة وسلطان القبيلة، والجاه والأسرة، معيارا لفاعلية الفرد في المجتمع، فقيمة الإنسان - في نظره - تكمن في مدى قدرته على صنع القرار، والبذل، والعطاء، وتواجده في المواقع المطلوبة.

ونعتقد أن في كلام "أبي اليقظان" ما يوحي أنه كان يهاجم طبقة من الأغنياء، وقد ترسخ لديها التفكير المادي، وغدا ميزان الأشياء عندها بمنظار مادي صرف.

ولا يتوان "أبو اليقظان" عن ذكر ما انجر عن هذه الصفة من آثار سلبية على المجتمع، ما جعل الناس، تنقاد وراء هؤلاء بفعل نفوذهم وثرانهم، يقول "أبو اليقظان" مؤكدا ذلك: «يرى الحق له في كل شيء فتتفعل نفوس الضعفاء والغوغاء بذلك، فتصبح في الحال من شيعته وأنصاره لتأثير ذلك الوهم عليها، وتلتفت حوله، تقبل لإقباله، وتدبر لإدباره

1. أبو اليقظان، «الإعجاب بالنفس»، وادي ميزاب، 64ع، (6-1-1928م).

من غير ترو منها، ولا شعور، إذ احتل دماغها شدة تأثيره كما يحتل الجان دماغ المصروع، فيتكلم على لسان الجان، ويتحرك عن إرادته» (1).

وقابلية الانصياع هذه، تؤكد - في نظر "أبي اليقظان" - أن هذا الصنف من الناس هم الأكثر عرضة للتضليل «ولذا تروج فيه أكثر من غيره الخرافات، والأوهام، ويجد فيه النصابون الدجاجلة مرتعا خصبا لأفكارهم» (2)، بل إنها الأكثر عرضة للنسيان، وهو في نظره من أخطر العوامل التي تفضي بالمجتمع إلى حالة من الانحطاط والانقياد «فالشعب المنحط من طبيعته نسيان عدوه الحقيقي تبعا لنسيان إذايته، فيعتقد في عدو الأمس صديق اليوم، فيتراعى في أحضانه، ويلقي إليه أسرارها، ويعلق عليه كل أماله» (3).

ومن المظاهر السلبية التي غدت أحد سمات المجتمع الجزائري الذي استحكمت فيه القابلية للاستعمار، ظهور فئة من الناس نصبت نفسها على أنها القائد المتبع في الأقوال والأفعال، واستطاعت أن تعطل العقل عن التفكير، والفكر عن الانطلاق، يقول "أبو اليقظان" عنهم: «وأكبر سلاح يصطاد به الدجاجلة عقول الأمة، ويفتكون برأيها العام، هو الكذب، والاختلاف، وقلب الحقائق، وإفساد مجرى التفكير الصحيح عنها، وتشويش طرقه عليها، وتشويه لسمعة حياته، وحفر الهوة السحيقة بينها وبينهم ( ) وحتى تضل عن الطريق فيختلوا بها كما تختلي الذئب بالأغنام في المنعطفات الموحشة» (4).

1. أبو اليقظان، «الإعجاب بالنفس»، وادي ميزاب، ع64

2. أبو اليقظان، «هل الشعوب المنحطة بين الأمم إلا كالأطفال الصغير بين العائلة»، الأمة، ع19، (5-2-1935م).

3. نفس المصدر والعدد

4. أبو اليقظان، «الرأي العام»، وادي ميزاب، ع87، (15-6-1928م).

"فأبو اليقظان" يعتقد اعتقاداً جازماً، أن هؤلاء كانوا عامل خنوع وانحطاط، وكانوا حجر عثرة في وجه الإصلاح، واعترضت طريقه واعتبرت كل بادرة للسير بالمجتمع نحو الخلاص خروجاً عن الدين، ولا شك أن هذا ما يفسر تحامله الشديد على هؤلاء، ما جعله يكرس قلمه لمواجهتهم، وكشف مؤامراتهم.

ومما استحكمت في نفوس بعض أفراد المجتمع الجزائري صفة "الأنانية" وكان "أبو اليقظان" يعتقد أنها الأكثر انتشاراً لدى أصحاب الحرف كالتجار، والصناع، وهو الذي جعله يستتكر مواقف مثل هؤلاء، لاستنكافهم عن خدمة قضايا المجتمع، والمساهمة في مواقع البذل، وقد فسر موقفهم السلبي هذا من كونه ناتجاً عن «سوء في الفهم وقصور في النظر، فإن الأناني يظن أن الاشتغال بالمصلحة العامة اشتغال بما لا يعني وتضييع لمصلحته الخاصة، ولم يصل نظره إلى أن مصلحته العامة اشتغال بما لا يعني»<sup>(1)</sup>.

وهي في الحقيقة مهاجمة صريحة من "أبي اليقظان" لأغنياء الأمة، من الذين يبخلون بجزء من أموالهم في خدمة الصالح العام، في وقت كانت الحاجة إلى مساهمات هؤلاء في المشاريع الإصلاحية ضرورية وأكيدة. على أن أخطر المظاهر السلبية التي سرت جذورها في أوساط بعض الشباب الجزائري، ما يعرف "بالتقليد"، ويبدو أن "أبا اليقظان" كان يؤمن أن الأفراد يخضعون لما تخضع إليه الأمم من سنن القوة والضعف عند احتكاكها بغيرها، وهو بذلك يسلم بقاعدة "المغلوب مولع بتقليد الغالب"<sup>(2)</sup>، التي أكد عليها "ابن خلدون" في مقدمته، يقول "أبو اليقظان" في هذا الإطار: «التقليد كما يكون من أمة ضعيفة لأمة أقوى منها، كذلك يكون بين أفراد أمة واحدة، فيقلد الضعيف منهم القوي (ولا يطمئن خاطره

1. أبو اليقظان، «الأنانية»، وادي ميزاب، ع13، (24-12-1926م).

2. ابن خلدون، عبد الرحمان، المقدمة، دار الكتاب اللبناني، بيروت، لبنان، 1982م، ص258.

حتى يسكن كما يسكن، ويأكل كما يأكل، ويشرب كما يشرب، ويلبس كما يلبس، ويتزين كما يتزين ( ) لا يخالفه قيد أنملة ما وجد لذلك سبيلا» (1).

وإذا كان "أبو اليقظان" لا يعترض أن يقلد الإنسان غيره، فإنه يرفض أن ينساق وراء كل شيء دون أن يفرق بين الصالح النافع، والفساد الضار، ما يجعله فردا متميزا عن غيره في القيم والعادات والتقاليد، ولذلك تجده «ولوعا بتقليد كل ما يراه متفوقا عليه في جميع أحواله، ولا يحس لنفسه ذاتية ولا لأدابه قيمة» (2).

ولا يتردد "أبو اليقظان" في عرض الأسباب التي جعلت هؤلاء مولعين بتقليد غيرهم ومسايرتهم، كشعور الواحد منهم بالنقص، وتصوره على أن الإسلام لا يعني سوى التخلف والضعف والوهن، وعامل انحطاط، وجهل(3)، ما يجعل ضرورة التملص من هذا الواقع من ألزم عوامل الخلاص والتقدم.

وهؤلاء الذين قصدهم "أبو اليقظان" هم أنصار العلمانية ممن تتكروا لقيم دينهم وانفتحوا على أوروبا ونظمها المختلفة نتيجة اتصالهم بالثقافة الغربية، وناشدوا الذوبان فيها.

غير أن "أبا اليقظان" فيما نعتقد- كان أكثر تدمرا من بعض المفارقات والتصرفات العجيبة من بعض الناس، كلجوء بعضهم إلى الاتكال على جماعة من الناس لتحقيق السهل الميسور، والتهرب من تحمل المسؤولية والتعالي عن تقبل النصيحة، ما أدى إلى انحلال الأخلاق، وانتشار السلوكات المنحرفة كالنفاق، والوشاية، والحسد(4)، ويسوق لذلك

1. أبو اليقظان، «التقليد» وادي ميزاب، ع36، (18-6-1927م).

2. أبو اليقظان، «هل الشعوب المنحطة بين الأمم إلا كالطفل الصغير بين العائلة»، الأمة، ع19.

3. أبو اليقظان، «الإسلام يحتضر والمسلمون يهزلون» وادي ميزاب، ع17، (21-1-1927م).

4. أنظر في ذلك: أبو اليقظان، «إذا ضعف الشعور بالمسؤولية»، الأمة، ع155، (22-2-1938م).

- أبو اليقظان، «بارك الله فيك»، البستان، ع3، (16-5-1933م).

- أبو اليقظان، «عوم بحرك»، المصدر نفسه، ع4، (23-5-1933م).

- أبو اليقظان، «كلامك هو الكبير»، المصدر نفسه، ع6، (6-6-1933م).

- أبو اليقظان، «أي هكذا»، المصدر نفسه، ع7.

- أبو اليقظان، «ما زال الحال»، المصدر نفسه، ع8، (20-6-1933م).

- أبو اليقظان، «أنظر المقدمين»، المصدر نفسه، ع9، (27-6-1933م).

- أبو اليقظان، «محادثة مع أصم»، المصدر نفسه، ع10، (11-7-1933م).

نموذجاً لمثل هذه المفارقات التي تدعو إلى الرذائل، والاستخفاف بالفضائل، يقول في ذلك : « كن منافقاً مرانياً ملاقاً، وفي كنف هذه الصفة تعش مملوء الجيب، طويل العمر، وإياك والصراحة والجهر بالحق، فإن هذا مما يقصم ظهرك، كن خائناً كذاباً، فإنك بذلك تعيش خفيف الظل، عذب اللسان، وإياك والنصح والصدق، فإن هذا مما يجعلك مرموقاً بعين الحنق والاستئثار»<sup>(1)</sup>.

ويلح "أبو اليقظان" على عامل الأزمة الاقتصادية، فقد ساهم - في نظره - في سريان مثل هذه المظاهر، لدى العامة من الناس، وخاصة التجار ما أدى بهم إلى حالة من الاستسلام والخنوع والخوف الأكيد على مصيرهم التجاري، الذي تلاعب به المعمر وعنصر اليهود على السواء، ولم يبالغ "أبو اليقظان" حين وصف الحالة التي عليها التاجر الأهلي، بالانتحار التجاري<sup>(2)</sup>.

هذه إذن - بعض صور المظاهر السلبية التي غدت تميز المجتمع الجزائري على أن "أبا اليقظان"، لم يقتصر على مجرد استعراض هذا الواقع، بل سعى إلى الدعوة إلى كل ما فيه سبيل النهوض بالمجتمع.

**ثالثاً: طرق النهوض بالمجتمع:** تبعاً لذلك، فقد عكف الرجل على التفكير فيما يمكن أن ينهض المجتمع، وفي خضم ذلك، لم يستبعد "أبو اليقظان" أن يكون ضعف الوازع الديني من أهم الأسباب التي أدت إلى مثل هذا الانحطاط الخلق العام، واستتباب مظاهر اليأس، والقنوط في نفوس العامة، أكد ذلك في قوله: « إن قلة التدين بالإسلام تجعل صاحبها لا يكثرث بما يصدر منه من الأعمال، ولا يرى لنفسه حداً يقف عنده، يقترف جرائم ويرتكب الموبقات، وهو يهزأ ويلعب، وإن أصابت مقاتل دينه وعرضه وشرفه»<sup>(3)</sup>.

<sup>1</sup> أبو اليقظان، « وصية كذاب لابنه »، وادي ميزاب، ع88، (22-6-1928م).

<sup>2</sup> أبو اليقظان، « الانتحار التجاري »، الأمة، ع48، (29-10-1935م).

<sup>3</sup> أبو اليقظان، « أهكذا الإسلام »، وادي ميزاب، ع76، (30-3-1928م).

والتخلص من واقع التخلف لا يكون في نظر "أبي اليقظان" - إلا بتكافؤ القوى يقول في ذلك : « فالعلماء بنشر العلم والعرفان، رجال الشرع الرسميون بالهيمنة على العامة وضبط سيرها، الدعاة والمصلحون بالقيام بوظيفة الدعوة ووضع خطط الإصلاح، الكتاب والأدباء بقيادة النفوس وسيادة العقول (1)، الأغنياء بمواساة الفقراء وتشديد المشاريع الخيرية... »(1).

ومن جملة ما دعا إلى ترسيخه في المجتمع \* ، دعوته إلى العمل وهو أحد ضرورات الحياة، ولذة من لذائذها، وقد جاء القرآن منوهاً به في قوله تعالى : ﴿ وَأَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى، وَأَنْ سَعْيُهُ سَوْفَ يَرَى ﴾(2)، يقول "أبو اليقظان" في دعوته إلى العمل : « إن العمل مخاطرة، وإن العامل مخاطر، وإنه لا يمكن أن يفوز أحد بغايته ومرامه عفواً بدون تحمل أتعاب ومشاق، وتذليل عوائق وعراقيل »(3).

وبناء على ذلك، أكد "أبو اليقظان" على أن الرغائب والثمرات لا تكتسب بالركون إلى الكسل والخمول، وإنما تكون بتكبد المشاق وتذليل الصعاب، وقد بلغ به الأمر إلى الدعوة إلى أن يشتغل الإنسان تحت جناح الاستعمار إذا لزم الأمر، حتى لا يترك فرصة للعناصر المخربة تتحكم في مصيره ، « فإذا لم يمكننا أن نخدم الحق من جميع وجوهه فلنخدمه من الوجوه الممكنة، وإلا كنا خائنين مجرمين، لأننا بهذا نفسح الطريق للأشرار الفجرة من التدخل في أمور المسلمين والتحكم في أنفسهم و أموالهم »(4).

والواضح أن "أبا اليقظان" ليس من الذين يدعون إلى فكرة الغاية تبرر الوسيلة التي برفضها التصور الإسلامي، فهو يحرص في نظرنا - على التوفيق يبين المبدأ والمصلحة ذاتها .

1. أبو اليقظان، « الإصلاح »، وادي ميزاب، ع15، (7-1-1927م).

\* أنظر فهرس المقالات: المبحث الأول من الفصل لثاني.

2. النجم، 38-39.

3. أبو اليقظان، « علي أن أعمل وليس علي أنجح » الأمة، ع51، (30-9-1927م).

4. أبو اليقظان، « النية »، وادي ميزاب، ع44، (12-8-1927م).

وحت أيضا على التعاون كأحد ضرورات الانبعاث الاجتماعي، وخصص لتكريس هذا المظهر أكثر من مقال<sup>(1)</sup> ليؤكد على النتائج الإيجابية التي يمكن أن تجنيها الأمة، يقول في إحدى مقالاته: «فنحن نرى أنه ما فازت أمة بناصية المصاعب وما نال شعب أقصى الأمانى والرغائب، إلا بفعل التعاون والتعاضد، وما تدهورت في حضيض الذل والهوان، بعد رفعة الشأن، وما سقطت جماعة إلى قرارة البؤس والشقاء بعد العز والغناء إلا بسبب التخازل والانقسام»<sup>(2)</sup>.

والتعاون في نظره- يمكن أن يكون بإنشاء المشاريع لاحتضان أبناء الأمة من الضياع، وتوزيع الأعمال المختلفة التي تفيد الأمة، والاتحاد على تكريس مبدأ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والالتزام بكل سلوك إيجابي\*....

ومن الأمور التي كان يدعو إلى الحرص عليها أيضا، احترام الوقت فقد دعا إلى استغلاله أحسن استغلال واستثماره فيما يعود على المجتمع بالخير، وعدم تضييعه فيما لا ينفع، فالإنسان في نظره - إذا ما نظم وقته وانضبط به أمكنه تحقيق غاياته «إن الوقت يا هذا ثمين، والعمر قصير، والأعمال كبيرة متشعبة والقيام بواجبات الدين والوطن والملة يستلزم السهر، والتفكير، والتعاون، كل بما وهبه الله وأعده به»<sup>(3)</sup>.

<sup>1</sup>. أنظر: - أبو اليقظان، «التعاون الاجتماعي وأثره في الأمم والجماعات»، النبراس، ع1.

- أبو اليقظان، «التعاون الاجتماعي وأثره في الأمم والجماعات»، المصدر نفسه، ع2، (28-7-1933م).

- أبو اليقظان، «التعاون الاجتماعي وأثره في الأمم والجماعات»، المصدر نفسه، ع5، (17-8-1933م).

- أبو اليقظان، «التعاون الاجتماعي وأثره في الأمم والجماعات»، المصدر نفسه، ع6، (25-8-1933م).

- أبو اليقظان، «التعاون الاجتماعي وأثره في الأمم والجماعات»، الأمة، ع1.

<sup>2</sup>. أبو اليقظان، «التعاون الاجتماعي وأثره في الأمم والجماعات»، النبراس، ع1.

\* أنظر فهرس المقالات، المبحث الأول من الفصل الثاني.

<sup>3</sup>. أبو اليقظان، «الوقت»، وادي ميزاب، ع10، (3-12-1926م).

ودعوة "أبي اليقظان" هذه تحمل أهمية كبرى، خاصة ما إذا استحضرننا الواقع المعيش للجزائريين، الذي انتشرت فيه البطالة والجهل، واستغله الاستعمار بصورة قسدية لاستيعاب أبناء "الجزائر"، ما جعلنا ندرك قيمة هذا الحرص لاستغلال الوقت واستثماره في الصالح النافع.

ودعا إلى جانب ذلك إلى الأخذ بأفكار العلماء الصالحة، والمشاركة في أمور الدين والدنيا، وبخاصة من ذوي الاختصاص والخبرة يقول: «خلق الله الخلق، وقسم بينهم المواهب كما قسم بينهم المعيشة، فجعل منهم العالم والجاهل، والذكي والبليد، والعاقل، والأحمق، وسديد الرأي وأفنه ( ) فكان المتبحرون في العلوم الشرعية، والاختصاصيون في الحقوق والإدارة، في السياسة، في الطب، في الهندسة ( )، ولكل صنف من هؤلاء الأصناف خبرة ودراية بفنه»<sup>(1)</sup>.

لقد بدا "أبو اليقظان" في هذا الموقف من الذين يحترمون الاختصاص ويدعون إلى الاستفادة من آرائهم، فهو يؤمن إيماناً راسخاً أن الله تعالى وزع القدرات والمواهب على الناس بما يحقق التوازن والتكامل في الحياة، مما يستدعي أن يستفيد كل إنسان في هذه الحياة بما عند الآخرين من الخبرات بعيداً عن الاستكبار.

وهو تصور - فيما نعتقد - يتفق والتصوير الإسلامي الذي أكد على ضرورة الاستفادة من أهل الاختصاص والخبرة، وحذر من الخوض في عمل دون دراية وعلم كافيين، كقوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ، إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولاً﴾<sup>(2)</sup>.

وهي فكرة مهمة في اعتقادنا -، فقد أكدت الدراسات الحديثة أن من إصابات العمل الإسلامي الاستكفاف عن الأخذ برأي أهل الخبرة والاختصاص، من ذلك ما جاء في تصريح أحد المهتمين بالقول: "ومن الأمور الهامة التي غابت عن إدراك الكثير من الجماعات والتنظيمات

<sup>1</sup> أبو اليقظان، «ما رأيك» الأمة، ع32، (9-7-1935م).

<sup>2</sup> الإسراء، 36.

الإسلامية، وأصابنا منها مقتلا عدم تقديرها لأبعاد وقمة الاختصاص، وتقسيم العمل بالقدر المطلوب (١)، ودور ذلك في أداء وظائف المجتمع وضرورته للقيام بأعباء الاستخلاف الإنساني" (١).

هذه إذن - بعض مساهمات الرجل الفكرية لإصلاح المجتمع وبناء الفرد الواعي، ويمكن القول أن عمل "أبي اليقظان" في كل هذا كان أشبه بالقائم بعملية التخلية، والتخلية، التي تنطلق من فكرة إبراز مظاهر وسمات المجتمع المنحط إلى إعطاء الحلول البديلة للنهوض به، فإذا ما تحقق ذلك و«بلغت الأمة إلى هذه الدرجة العليا من الرقي العقلي والنضوج الفكري فقد حل لها أوان ظهور الأبطال والعقريين والنبغاء» (٢) على حد قوله.

<sup>١</sup> عبيد، د، عمر حسنة، مراجعات الفكر والدعوة والحركة، ص 129  
<sup>٢</sup> أبو اليقظان، «الشعور بالواجب»، وادي ميزاب، ع 16، (14-1-1927م).

## المبحث الثاني : المرأة في فكر "أبي اليقظان"

تعتبر قضية المرأة من المسائل التي شغلت حيزا كبيرا من تفكير الإنسان عبر فترات التاريخ، ربما لم تحظ به غيرها من القضايا، ذلك أن قضية المرأة "ليست عارضة زمنية، وإنما هي دائمة مستمرة، ذات وقع، وواقع اجتماعي يومي لا يمكن انحصاره في مستقبل قريب".<sup>(1)</sup>

وإذا ما نحن أردنا أن نقف على المحطات الأولى التي دعت إلى النهوض بالمرأة في العصر الحديث، وفي العالم العربي الإسلامي على الخصوص، وجدنا أن أولى النداءات قد صدرت عن "رفاعة رافع الطهطاوي" (ت 1873 م)، الذي دعا إلى تعليم المرأة والنهوض بها على شاكلة المرأة الأوروبية، ثم جاء بعده "قاسم أمين" (ت 1908 م) من خلال كتابيه : "تحرير المرأة" (1889 م)، و"المرأة الجديدة" (1901 م)، فقد آمن هذا الأخير بأن "تحرير المرأة هو تحرير المجتمع وإصلاحه من هيمنة الغيبيات وسيطرة الدراويش"<sup>(2)</sup>.

ولئن كانت هذه النداءات قد نبعت في المشرق العربي، ووجدت لها أذانا صاغية، واستطاعت المرأة هناك أن تحقق بعض المكاسب كالتعليم، والخروج إلى العمل، والمشاركة في النشاطات الاجتماعية، على الرغم مما شاب هذه المكاسب من تقليد للغرب، وانفتاح على عاداته في السلوك والملبس، فإن هذه الأصوات لم تجد لها صدى في المجتمع الجزائري،

<sup>1</sup> جدعان، فهمي، أسس التقدم عند مفكري الإسلام في العالم العربي الحديث، دن، بيروت، دط 1941م، ص 453.

<sup>2</sup> أمين، قاسم، تحرير المرأة، موقف للنشر، دم، 1988م، ص "د".

"بسبب سيطرة الروح الدينية والتربية والبيئة، هذه البيئة التي كانت تحد من انطلاق الشباب أيضا، وكانت النظرة المحافظة للمرأة بالإضافة إلى تأثير الدين - هي الخوف من أن ترتمي في أحضان الحضارة الغربية فتتخلى عن قيمها وعاداتها وتقاليدها وأخلاقها الإسلامية"<sup>(1)</sup>.

غير أنه ما إن وضعت الحرب العالمية الأولى أوزارها حتى بدأت نتائجها تبرز على جميع الأصعدة، ولم تكن "الجزائر" بمعزل عن ذلك فقد "كانت الزوابع الخارجية التي أخذت تهب على "الجزائر" من المشرق و"تونس" وتيارات أخرى داخلية تدفقت مع الشباب المتخرج من المدارس"<sup>(2)</sup> من وراء الدعوة إلى تحرير المرأة وخرجها.

ومما لا شك فيه أن رجال الإصلاح في "الجزائر" قد حملوا لواء تكوين الفرد الجزائري وإصلاحه، بما في ذلك المرأة باعتبارها محورا أساسيا في عملية البناء، وتصدوا لكل الأفكار التي تمس بكرامتها، وتحط من قيمتها، واستطاعوا أن يحققوا في هذا السبيل مكاسب مقبولة، وعد ذلك تحديا صارخا لمخططات الاستعمار.

وهذه القناعة بضرورة الاعتناء بالمرأة، وتكوينها تكوينا يؤهلها للمشاركة في الحفاظ على الذات الجزائرية، كانت أحد اهتمامات "أبي اليقظان"، ففي معرض حديثه عن المرأة، ومكانتها باعتبارها أحد اللبانات الأساسية في الأسرة والمجتمع، يؤكد على الدور الوظيفي الذي يجب أن لا

<sup>1</sup> الركبي، د، عبد الله القصة الجزائرية القصيرة، ص30.

<sup>2</sup> ناصر، د، محمد، المقالة الصحفية الجزائرية، مج1، ص244.

تخرج عن إطاره كزوجة، وأم، وراعية بيت، فهي ساعد الرجل في مغالبة الحياة منها يستمد قوته وتوازنه، بحكم احتياج كل منهما للآخر فالخير لها كما يقول: « أن تكون عاكفة بمنزلها تدبر شؤونه وتعتني بأمر زوجها وتتقن تهذيب أبنائها وهم رجال العصر »<sup>(1)</sup>.

فهذه - إذن - قناعة الرجل، من أن البيت أفضل محضن للمرأة، في إطاره تقوم بالتكليف الرسالي الذي شرفها به الدين الإسلامي.

وقد نبه "عبد الحميد بن باديس" في السياق نفسه على هذه الوظيفة الخطيرة، وعدها من أهم الوظائف التي تحفظ النسل، وهي كي تؤدي هذه المهمة يجب إعدادها لهذا الدور كي ينشأ على يديها جيل ينتفع به الوطن، "وهي ربة البيت وراعيته والمضطرة بمقتضى هذه الخلقة للقيام به"<sup>(2)</sup>، ولا تختلف النظرة ذاتها عند "البشير الإبراهيمي" الذي كان يرى أيضا أن وظيفتها الأساسية هي الإضطلاع بمسؤولية البيت وراعيته أولا<sup>(3)</sup>.

إن وحدة التصور هذه، تؤكد على أن المكانة الوظيفية التي منحها الإسلام للمرأة، مكانة ثابتة وواضحة استمدت ثباتها ووضوحها من رسم الإسلام الدقيق للحدود الوظيفية لهذا الجنس، ولنا في حديث الرسول ﷺ ما يؤكد هذه الحقيقة: « كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته... والرجل راع على أهل بيته، والمرأة راعية على بيت زوجها وولده، كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته »<sup>(4)</sup>.

1. أبو اليقظان، « المرأة الجزائرية والحجاب »، وادي ميزاب، ع62.

2. الطالبي، د، عمار، ابن باديس حياته وأثاره، ج2، ص469.

3. الإبراهيمي، محمد البشير، آثار محمد البشير الإبراهيمي، ج4، م، و، ك، الجزائر، نط، 1986م، ص46.

4. أخرجه البخاري، كتاب الجمعة، باب الجمعة في القرى والمدن عن ابن عمر، أنظر صحيح البخاري، ج2، مصطفى

الباني الحلبي وأولاده، مصر، دط، 1980م، ص6.

إن قيام المرأة بهذا الدور في تكوين المجتمع، بلا شك إنما يتوقف إلى حد بعيد على مدى الاهتمام بتربيتها على الأخلاق الفاضلة باعتبارها أقوى عاصم يحميها ويحمي مؤسسة البيت من الضياع، ما يستوجب تعليمها وتكوينها لتتمكن من الاضطلاع بهذه المهمة الخطيرة، وهو ما أكد عليه "أبو اليقظان" في غير هذا الموضع\*.

وهذه المكانة التي خصت بها المرأة في قناعة "أبي اليقظان" مستمدة - فيما يبدو - من عدالة التشريع الإسلامي، الذي كرمها وشرفها للقيام بمثل هذه الوظيفة، وليست إلا من باب التشريف والتكريم، الذي لا بديل لها عنه في عالم المدنية الغربية الزائفة.

وتبدو عدالة الإسلام تجاه المرأة في مساواتها بالرجل في التكاليف الشرعية، والكرامة الإنسانية، والمثوبة والجزاء، لا يتفوق عليها إلا في درجة القوامة التي ذكرها القرآن الكريم ﴿... وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾<sup>(1)</sup>، وهذه الدرجة هي درجة "الرئاسة وتسيير شؤون الأسرة والمنزل وليس من لوازمها التسلط بالباطل"<sup>(2)</sup>.

ولئن كان القيام بشؤون الزوج والبيت من الأمور التي أقر بها الإسلام منذ زمن بعيد، فإن تأكيد "أبي اليقظان" لهذه الفكرة له مبرراته - فيما نعتقد - فقد تردت وضعية المرأة إلى دركة من الانحطاط والتخلف، بسبب التقاليد البالية التي أنقصت من شأنها من جهة، ونزعت إلى التسفل والخلاعة بسبب القوانين الوضعية الجائرة التي دعتها إلى الحرية والانطلاق من جهة أخرى لرغبة ملحة هي "الحصول على متعة غير مقيدة والاستفادة بها على مكاسب مادية لا تتحقق إلا على يديها"<sup>(3)</sup>.

\* أنظر عنصر تعليم المرأة ضمن آراء أبي اليقظان التربوية.

<sup>1</sup> البقرة، 228.

<sup>2</sup> الزحيلي، وهبة، التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، ج5، دار الفكر المعاصر، بيروت، دط، 1991م، ص 53.

<sup>3</sup> معمر، علي يحيى، الأقاتيم الثلاثة، دار الفتح، دم، ط1، 1973م، ص8.

وقد جاءت النداءات الداعية إلى سفور المرأة، مؤكدة على ضرورة تخلصها من حجابها كشرط أساسي لانطلاقها وتحررها، فكانت مسألة "الحجاب" من أهم القضايا التي فرضت نفسها موضوعا للنقاش، وكان "أبي اليقظان" موقف واضح من كل هذا.

يؤكد "أبو اليقظان" في هذا الشأن أن الإسلام حين فرض الحجاب على المرأة إنما لحكمة اقتضاها، وهذه الحكمة لا ترتفع بمجرد بعد الناس عن الرذيلة، وارتقائهم في مدارج الكمال، ومن ثم فإن القضية لا تستدعي جدالا، على اعتبار أن الحجاب أمر لا يقبل التعطيل أو التفصيل على حد قوله<sup>(1)</sup>، ذلك أن القرآن الكريم قد فصل في هذا الموضوع منذ عهد بعيد في قوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لَأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلَابِيبِهِنَّ ذَلِكَ أَدْنَى أَنْ يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ، وَكَانَ اللَّهُ عَفُورًا رَحِيمًا ﴾<sup>(2)</sup>.

والواضح أن الذي استثار "أبا اليقظان" للكتابة في هذا الموضوع ما كان ينشر على صفحات الجرائد الفرنسية، وبالخصوص جريدة L'ECHO - D'ALGER التي عكفت في مقال لها على الطعن في الدين الإسلامي، ووصفه بالرجعية، واعتبرته العامل الرئيسي الذي وقف دون نهوض المرأة وانطلاقها، وقعد بها عن الاشتغال في مهام الحياة، بفرضه الحجاب عليها، وقد أورد "أبو اليقظان" موقف صاحب المقال من قضية تحرير المرأة من أنها لا تستطيع أن تحقق ذاتها إلا إذا « نزع الحجاب وترجلت بأقدام وخلعت ثوب تقاليدها، وقطعت كل صلة لها بالماضي »<sup>(3)</sup>.

وقد جاء رد "أبي اليقظان" على هذه المزاعم حاسما، صارما، مؤكدا في ذلك أن الحجاب لم يقف يوما أمام نهضة المرأة، فالرقي الذي نالته في

<sup>1</sup> أبو اليقظان، «ما هكذا الدفاع عن الحجاب»، وادي ميزاب، ع119، (1-2-1929م).

<sup>2</sup> الأحزاب، 59.

<sup>3</sup> أبو اليقظان، «المرأة الجزائرية والحجاب»، وادي ميزاب، ع62.

العصور الزاهرة، لم تبلغه مثيلاتها اليوم ممن خلعت عنها حجاب الستر، وارتمت في أحضان التيارات الوافدة من الغرب<sup>(1)</sup>.

ولا شك فإن نزوع المرأة إلى هذا النوع من التحرر والانطلاق، هو الذي جعل أمثال "محمد رشيد رضا" يندد بشدة بالسفور ونتائجه الوخيمة، الحد الذي جعله يؤكد على أن النساء لسن بحاجة "إلى تحرير من هذا النوع لأنهن أصبحن مظلومات ومسترققات من قبل الرجال الذين نظروا إليها بنظرة الجنس والمتعة"<sup>(2)</sup>، وهو المقصد الذي كان يعنيه "عبد الحميد بن باديس" الذي ناشد دعاة التحرر أن يرفعوا عن المرأة حجاب الجهل قبل أن يرفعوا عنها حجاب الستر، ذلك أن حجاب الستر ما أخرجها في زمان تقدمها، فقد بلغت بنات "بغداد"، وبنات "قرطبة"، وبنات "بجاية" مكانا عاليا في العلم وهن متحجبات<sup>(3)</sup>.

لقد أكدت المرأة ذاتها، واستطاعت أن تحقق مكاسب شهد لها به التاريخ واستطاعت أن تتفوق في كثير من العلوم، دون أن تخلع حجابها أو تتنازل عن شيء من مبادئها وأخلاقها<sup>(4)</sup>.

وتصدي "أبي اليقظان" لأية دعوة تنادي بتحرير المرأة بالمعنى الذي يقصد منه سفورها هدف - في نظره - لا لترقية المرأة، وإنما هو في حقيقته محاولة لفصل الأسرة المسلمة عن دينها، وإذا تداعت دعائم العائلة انهارت البيئة بكاملها<sup>(5)</sup>.

ويبدو أن الدعوات المغرضة للنيل من شرف المرأة وحجابها لم يرتبط فقط بأقلام الجرائد الفرنسية، فقد كتب "أبو اليقظان" رادا على مقال كتب في جريدة "النديم التونسية"، أملته في كل ذلك غيرته الدينية للدفاع على كل ما يمس من قيمة المرأة، و يحط من شأنها.

1. أبو اليقظان، « المرأة الجزائرية والحجاب »، وادي ميزاب، ع 62.

2. رشيد، محمد رضا، « تبرج النساء بمصر »، مجلة المنار، مج 8، ج 13، (31-8-1905م)، ص 517.

3. ابن باديس، عبد الحميد، « الرجل المسلم الجزائري »، الشهاب، مج 5، ج 10، نوفمبر 1929م، ص 9-14.

4. أنظر كتاب: ابن عبد ربه، أخبار النساء في العقد الفريد، تجميع عبده مهنا سمير جابر، دار الكتب العلمية، بيروت، 1990م، وابن باديس، عبد الحميد، رجال السلف ونسأوه، مكتبة الشركة الجزائرية، الجزائر، ط 1 دت.

5. أبو اليقظان، « المرأة الجزائرية والحجاب »، وادي ميزاب، ع 62.

ومما جاء في هذا المقال الذي نقل " أبو اليقظان " بعض فقراته من أن سفور المرأة لا يتنافى وعفتها، بل أن خمارها أخطر على عفتها من السفور، وأن الحجاب ليس إلا تقيّة محكمة تمكنهن إن شئن من القيام بأخطر الأدوار<sup>(1)</sup>.

وكان موقف "أبي اليقظان" من هذا موقفا حاسما، رافضا لكل شكل من أشكال تحرير المرأة التي تجنح بها إلى الانحراف والانطلاق، يقول في ذلك: « إذا كان الحجاب تقيّة محكمة للقيام بأدوار خطيرة، فهل يكون سفور المرأة وهي ناقصة عقل ودين سياجا وحصنا لطهرها وعفافها؟، وإذا كان الحجاب الذي ضربه الله على المرأة يعد سجنا لها وإهانة لكرامتها فهل من الإعزاز لها وإكرام مقامها إخراجها عن الوضعية التي وضعها الله عليها، وتعريض زهرة عفافها للأنظار()، إذا رأيت أن حضرة الناقد في السفور مع تهذيب أخلاقها صيانة وسياجا لعفافها، أفلا ترى الحجاب، مع تهذيبها أكثف سياج وأقوى وقاية لطهرها؟ فالتهذيب جوهر حيائها والحجاب صدفته»<sup>(2)</sup>.

وقد تحولت هذه المعركة الكلامية إلى معركة قلمية حادة، حيث اتجه صاحب المقال إلى نشر مقال آخر ردا على رد "أبي اليقظان" في جريدة "لسان الشعب التونسية" في عددها 285، ما جعل "أبا اليقظان" يلجأ هذه المرة إلى الرد على الخصم بالأدلة القطعية، استنادا على الشواهد القرآنية والأحاديث النبوية، وأقوال السلف ما لا يترك مجالا للمناقشة<sup>(3)</sup>.

<sup>1</sup> أبو اليقظان، "تأبط خيرا"، « همسة في أذن ناقد النديم »، وادي ميزاب، ع67، (1928-1-27م)..

<sup>2</sup> نفس المصدر والعدد.

<sup>3</sup> أبو اليقظان، "تأبط..."، « أردنا نصيحة فأراد فضيحة »، المصدر نفسه، ع70، (1928-2-17م)، أبو اليقظان، « أردنا نصيحة فأراد فضيحة » المصدر نفسه، ع72، (1928-3-2م).

على أن القضية التي تستدعي منا الوقوف عندها، هو موقف "أبي اليقظان" من كتاب "الطاهر الحداد التونسي" (1899-1935م) المعروف بـ "إمرأتنا في الشريعة والمجتمع"، فقد أحدث هذا الكتاب ضجة إعلامية كبرى في "الجزائر" وغيرها من الأقطار، وقد تضمن دعوة صريحة للخروج بالمرأة من كبوتها، وتعليمها مختلف العلوم، وأكد على ضرورة وضع قانون يمنع تعدد الزوجات ويجعل الطلاق بيد المحكمة لا بيد الرجل ولا بيد المرأة، وهاجم عادة تزويج المرأة دون سن الرشد<sup>(1)</sup>.

ونظرا لما تضمنه هذا الكتاب من دعوة صريحة لتعطيل النصوص القطعية التي جاء بها التشريع الإسلامي في هذا المجال، فإن أقلاما عديدة وجهت للرد على صاحب الكتاب ومنهم "عبد الحميد بن باديس" الذي اعتبر ما جاء فيه طعنا في الدين ونصوص الشريعة، ما يمكن اعتباره إحادا في الإسلام، إذ لم يكن "ابن باديس" يعتقد أن يكون "الطاهر الحداد" ممن يدعون إلى الذهاب بالمرأة في تيار المدنية الغربية<sup>(2)</sup>.

وكان "الأبي اليقظان" حظه من هذه الردود، فقد كتب مقالا مطولا جاء فيه «إن من يقرأ سطرا أو سطرين، يتخيل كأنما حكيم من حكماء الإسلام يتكلم غيرة على الدين، وذودا عن الإسلام ( ) وهي عند التأمل كلها تشكيك في الدين والتشريع الإسلامي ونقض لما أبرمه الله في كتابه الكريم على رسوله العظيم ( ) كأنما يقول لنا سي "الحداد" أنا الرسول المجدد

1. محمد كرد، أبو القاسم، الطاهر الحداد رائد الحرية ونصير المرأة، المطبعة العصرية، ط1، تونس، ص70.

2. الطالب، د، عمار، عبد الحميد بن باديس: حياته وآثاره، ج3، ص475.

للإسلام، الناسخ لكثير من آياته، البيّنات المعدل لكثير من مسائله وأحكامه العادلة كمسألة الميراث والطلاق، وتعدد الزوجات والحجاب وشهادة المرأة ومنزلتها من الرجال إلى غير ذلك، كأن الإسلام لم يفرغ من تقرير حكمه فيها منذ ثلاثة عشر قرن ونصف»<sup>(1)</sup>.

ففي الوقت الذي كان يرى فيه الحداد إمكانية النظر في بعض الأحكام لتغييرها بتغيير الظروف والمستجدات، يؤكد "أبو اليقظان" من جهته أن المسائل التي خاض فيها "الحداد" هي من الأحكام القطعية الدلالة والتي لا مجال للفكر الإنساني للخوض فيها واستحداث أحكام قد فصل فيها الشرع منذ زمن بعيد.

على أن "أبا اليقظان" لا يستغرب أن تأتي الدعوات المغرضة للنيل من الإسلام والطعن فيه، وبخاصة المرأة المسلمة، من أناس ساروا في ركب الحضارة الغربية، وتشبعوا بأفكارها، أو من أعداء الإسلام أنفسهم، وإنما الذي يستغربه أن ينصب أحدهم نفسه للحديث عن الإسلام والمسلمين باسم الإسلام، ويدعو إلى تحرير المرأة وسفورها، ومن ثم جاء موقفه كاشفاً خطر هؤلاء على الإسلام والمسلمين «ولو ليس هذا الكاتب زنار الأب "سلام"، أو قبعة "سلامة موسى"، أو وقف على منبر "طه حسين"، أو كتب بقلم "علي عبد الرازق" لهان الأمر، وأخذ العقل حذرهم منهم، ولكنه وقف يطل علينا من منارة الدين، ويشرف علينا من نافذة الإسلام، فأخذ يدعو بما أوتي من وداعة وبرودة، إلى نقض الكثير من أحكام الإسلام، وتجديده حسب الظروف والأعراف»<sup>(2)</sup>.

1. أبو اليقظان، «قبلة الإلحاد في تونس» المغرب، ع25، (18-11-1930م).

2. نفس المصدر والعدد.

إن أمثال "طه حسين"، و"سلامة موسى"، و"علي عبد الرازق"، و"الطهطاوي"، وغيرهم ممن انخرطوا في تيار الحداثة، ساهموا بقسط كبير في الإيقاع بمجتمعاتهم في مديونية حضارية، وعجزوا عن تحقيق التنمية الحضارية المطلوبة، ولم يزد نشاطهم إلا في تحطيم "المكونات والأبنية الفكرية والثقافية والاجتماعية، وعوضتها بتكديس هائل من المنقولات والمستوردات الفكرية والثقافية والقانونية والتنظيمية"<sup>(1)</sup>.

إن موقف "أبي اليقظان" من هؤلاء شبيه بموقف الشيخ "بيوض" حين عرض بهم، وقد جاء في تصريحه: "إن الغريب أن يقول هذا علماء وزعماء وأمراء وسلاطين مسلمون يزعمون أنهم من أتباع محمد"<sup>(2)</sup>.

-إذن - فموقف "أبي اليقظان" يعد امتداداً لمواقف المصلحين السلفيين الذين وقفوا ضد أية محاولة من شأنها أن تنقص من قيمة المرأة وتمس بكرامتها وشرفها، ومسألة "الحجاب" من القضايا التي صدرت فيها أحكام قطعية لا تبنى على الشواذ وإنما بنيت على العموم<sup>(3)</sup>، بحكم أن الضمانات التي تكفل صيانة كل من المرأة والرجل منعدمة، فيما قرره دعاة التحرر، ذلك أن دواعي الميول بين الطرفين موجودة، ولا يمكن أن يعيقها ثقافة أحدهما وارتقاء كليهما إلى درجة من الترقى السلوكي.

ومهما يكن فإن الجبهات التي كان لها "أبو اليقظان" بالمرصاد، لم يكن ينظر إليها إلا من كونها جزءاً من هذا الصراع الفكري القائم بين الإسلام وأعدائه من أبناء الغرب وأذنبه من أبناء الشرق إن «مسألة السفور والحجاب ليست مسألة جمود وحركة، ورقى وانحطاط، وعلم وجهل، بل هي مسألة تدين وتجرد، عفاف، وتهتك، عقل وطيش، وجملة هذه فتنة من فتن أوروبا خدعت بها أعرار المسلمين لينصرفوا عن واجباتهم الدينية والوطنية الحقيقية»<sup>(4)</sup>.

1. برغوث، الطيب، «إشكالية المنهج في جهدنا التجديدي المعاصر»، مجلة الشريعة، ع4، سنة 1994-1995م، ص79.  
 2. بيوض، إبراهيم، في رحاب القرآن: تفسير سورة المؤمنون، ج5، ص132.  
 3. أبو اليقظان، «ما هكذا الدفاع عن الحجاب»، وادي ميزاب، ع119.  
 4. أبو اليقظان، «أردنا نصيحة فأراد فضيحة»، المصدر نفسه، ع72.

رسالة "أشعة انور من النور": هذه الرسالة هي عبارة عن مخطوط ألفه "أبو اليقظان" عام 1967م، بطلب من أحد الطلبة التونسيين الذين كانوا يزاولون دراستهم "بالقرارة".

وقد عالج "أبو اليقظان" من خلال هذا المخطوط مشكلة الحجاب والسفور بناء على نصوص القرآن والسنة النبوية، وخالصة ما حاول إبرازه في كل هذا، مدى هتك الحجاب في العالم الإسلامي، ورد ذلك إلى تدهور الأخلاق، التي أدت إلى التهجم على الحجاب والنيل منه.

تم عمد بعدها إلى الحديث عن الحجاب الشرعي، وما تقتضيه أحكام الشريعة الإسلامية في هذا الإطار، وختم هذا المخطوط بدعوة علماء الأمة إلى أن يقفوا ضد أية محاولة للنيل من الحجاب أو الدعوة إلى السفور<sup>(1)</sup>.

نقد حاولنا استعراض محتوى هذه الرسالة، بهدف إبراز مواقف "أبي اليقظان" إزاء قضايا المرأة، خاصة وأن هذا المخطوط كتب في مرحلة استقلت فيها "الجزائر"، وكنا نظن بأننا سنجد أفكارا جديدة، ومع هذا فقد بقي "أبو اليقظان" غاضبا الطرف عن الخوض في أي طرح، مفضلا بذلك البيت محضنا للمرأة، مقتنعا بالدور الذي يجب أن تضطلع به في تربية الأولاد وإدارة شؤون الزوج.

هذه - إذن - جملة أفكار "أبي اليقظان" حول قضايا المرأة، وقد وجدناه واضحا في مواقفه إزاء مسألة "الحجاب والسفور"، رافضا أية دعوة تهدف إلى سفورها وارتماؤها في أحضان الحضارة الغربية.

<sup>1</sup> أبو اليقظان، «أشعة النور من النور»، مخ.

على أننا نشير أن معالجته لقضية المرأة ظلت محصورة في الإطار النظري، ولم تتعد هذه المعالجة حدود توضيح الأحكام التي خص بها الإسلام المرأة، سواء من حيث مكانتها أو وظيفتها أو حجابها، وغاب في خضم ذلك كله التصوير الحي للواقع الذي كانت تعيشه المرأة الجزائرية بما فيها المرأة الميزابية والسبيل الأمتل لإخراجها منه، ومما لا شك فيه أن هذا الأمر ينسحب على جميع المصلحين، وعليه يمكن القول بأن قضية المرأة في المجتمع الجزائري آنذاك كانت شائكة ومن الصعب طرحها للنقاش بكل صراحة.

## المبحث الثالث: الشباب في فكر "أبي اليقظان"

الشباب في الأمة هو عمودها الفقري وعليه تعتمد في مسيرتها الحضارية، وبقدر ما تمنحه لهذا الرصيد الحي من الاهتمام والعناية بقدر ما يحصل لها من عوامل الرقي والتطور، وبقدر إهمالها لأهم المرتكزات الكفيلة بتزويده بأسباب القوة والمنعة، بقدر ما يكون عرضة لعملية التراجع والسقوط.

ونظرا لما تحمله هذه الفئة من قدرات في بناء الأمم، فقد أخذت الحركة الإصلاحية على عاتقها تكوين هذه الشريحة والاهتمام بها، وتهيئتها لتحمل المسؤولية.

و"أبو اليقظان" على شاكلة غيره من المصلحين، كان على قناعة تامة بما يمكن أن يقوم به الشباب في الدفع بعجلة النهضة، ومن ثم فهو يجزم بأن مقياس تقدم الأمم لا يرتبط بما تمتلكه من إنجازات في النواحي الاجتماعية، والثقافية، والسياسية، والعمرائية، وإنما هو رهين ما عليه شبابها «من تنقيف، أو تهذيب، أو إهمال أو تشريد، فعلى ما تكون المقدمات تكون النتائج»<sup>(1)</sup>.

وإذ هو يركز على الجانب السلوكي - إلى جانب العلم - فلايمانه لما لهذا الجانب من دور في صيانة الأمم من الانحراف والانزلاق الحضاري، وهو بلا شك العنصر الذي تفتقده الحضارة الغربية، التي تقوم معادلة ارتقائها على الجانب المادي، ما يفسر الأزمات الاجتماعية والاقتصادية والأخلاقية الحادة التي يمر بها الغرب ودوله<sup>(2)</sup>.

1. أبو اليقظان، «أحسنوا رعاية الشبان أيها الرعاة»، الأمة، ع52، (26-11-1935م).  
2. أبو سليمان، د، عبد الحميد أحمد، أزمة العقل المسلم، دار الهدى، عين مليلة، الجزائر، ط2، 1992م، ص15.

والواقع أن مرحلة الشباب تحمل أهمية كبرى، حيث يصل فيها الفرد إلى أخصب مراحل حياته، وتتوسع مداركه وتتشكل شخصيته، التي هي محصلة لكل السلوك النفسي والاجتماعي بما تحمل من استعداد وميول، واتجاهات، وأهداف، وهي حقيقة يقر بها "أبو اليقظان"، إذ يرى أن شباب الأمة يمتلك من المهارات والقدرات ما يمكنه من قيادة الأمة والوصول بها إلى مرحلة الانعتاق، غير أنه لم يجد من يكفله بالعناية والرعاية، الأمر الذي جعله يثور على الآداب الاجتماعية والأخلاقية يقول مؤكداً ذلك: «إن في الشباب حيوية فياضة، وفتوة وثابة، وقوة لا تجارى، وأقدام لا يشق لها غبار، كما فيه ذكاء يلمع، وحماس يلتهب نارا، ولكن أضاع هذه المواهب العالية، انكباب على الشهوات، واستهتار في الموبقات والفجور، وانغماس في أنواع المعاصي والمنكرات»<sup>(1)</sup>.

ويعتقد "أبو اليقظان" أن السبب الرئيسي من وراء انحراف النشء، وابتعادهم عن جادة الصواب هو تمردهم على الدين وتعاليمه، فقد أدى ذلك كما يقول: «إلى تهاون بالطهارة، إلى ترك الصلاة، ومن لعب القمار إلى الإدمان على الخمر، وإلى ارتكاب فواحش الزنا، ومن تعاطى المحرمات المنصوصة ( ) ، ومن تقليد الأجانب لا في علومهم وصناعاتهم واختراعاتهم ولكن في أزيائهم ومساخرهم التي ضج عقلاؤهم منها»<sup>(2)</sup>.

ويشير "أبو اليقظان" - في نظرنا - إلى قضية مهمة في تنكر جيل الشباب لدينه، فهذه الظاهرة كانت أحد المداخل الخطيرة التي تنبه لها

1. أبو اليقظان، أبو اليقظان، «هل يستقيم للمسلم أمر في هذه الحياة بغير التمسك بالدين؟»، الأمة، 6ع، (10-23-1934م).

2. أبو اليقظان «أحسنوا رعاية الشبان أيها الرعاة»، المصدر نفسه، 52ع.

الاستعمار في محاولة منه لتتصيره، بدءاً من تشويه عقيدته إلى قطع صلته بدينه، وقد بدأ ذلك واضحاً في تصريح لأحد أقطاب الاستعمار، والذي أكد بقوله : « إن مدارسنا الأوروبية في الشرق لها الفضل الكبير في تحرير كثير من شباب الإسلام وفك رقابهم من تكاليف الصلاة »<sup>(1)</sup>.

وكل هذا يؤكد انشغال "أبي اليقظان"، بضرورة العناية بصورة مركزة على هذه الشريحة من الشباب وإحاطتهم بالعناية والتوجيه السليم، لاعتقاده أنهم أشد خطراً من غيرهم ممن كانوا بعيدين عن مؤثرات الحضارة الغربية، ذلك أن هذه الأخيرة كما يقول : « إن لم تبين فلا تهدم، إن لم تعمر فلا تخرب »<sup>(2)</sup>.

وهو تفكير سليم إذا ما استحضرنا النتائج السلبية التي برزت معالمها في سلوك بعض شباب الأمة ممن انساقوا وراء سموم المدنية الغربية وبريقها، إلى حد بلغ وصف "أبي اليقظان" لسلوكاتهم بأنه تمدن ممسوخ<sup>(3)</sup>. وحيث أن المحاولات الاستعمارية كانت موجهة لاستلاب شباب الأمة، فإن "أبا اليقظان" كان يرى ضرورة الأخذ بأيدي هؤلاء، وتنمية الشعور الديني لديهم، وتقويته بهدف « تجديد شباب الأمة بعد الهرم، وتشديد معالم مجدها وأركان حياتها »<sup>(4)</sup>، وقد حاول أن يبحث في الأسباب والخلفيات التي جعلت الشباب يتصل من واجباته الدينية، وآدابه الاجتماعية، فتبين له أن ذلك ناتج عن جملة من العوامل :

<sup>1</sup> الزاهري، محمد السعيد، الإسلام في حاجة إلى دعابة وتبشير، دار الكتب، الجزائر، دط، 1983م، ص112.

<sup>2</sup> أبو اليقظان « هل يستقيم للمسلم أمر في هذه الحياة بغير التمسك بالدين »، الأمة، ع6.

<sup>3</sup> أبو اليقظان، « التمدن الممسوخ »، وادي ميزاب، ع72.

<sup>4</sup> أبو اليقظان، « الإصلاح »، المصدر نفسه، ع15.

### أولاً : البيئة:

وهي الأرضية الطبيعية لنمو شخصية الفرد، ولا يمكن للكائن الحي أن يعيش دون وسط خاص به، ذلك أنه يخرج بطبيعته مهياً لأن يتأثر بالعوامل المحيطة به، ويتوقف صلاح الفرد وفساده بالوسط البيئي الذي يعيش داخله، وهي النتيجة التي وقف عندها "أبو اليقظان" وعدّ ذلك من الأسباب الهامة التي ساهمت في انحراف الشباب عن جادة الصواب، والتمرد على التعاليم الدينية، يقول في ذلك: «فإن البيئة إذا كانت فاسدة موبوءة تتبعث منها عفونات الأخلاق، كما تتبعث حميات المستقعات، فتسري عدواها إلى كل من يتعرض لها ( ) كالثياب الذين نحن بصددهم، ولا يسلم من بنواها العامة إلا من عصمه الله بحصانة من الدين منيعة»<sup>(1)</sup>.

و"أبو اليقظان" بلا شك إنما يقصد بالبيئة الأسرة والمحيط اللذان يعيش فيهما الشباب، فهما المجالان اللذان ينمو فيهما الفرد وتتبلور شخصيته، واعتبار "أبي اليقظان" البيئة أحد أسباب فساد الشباب دليل على الخلل الذي طرأ على دور الأسرة الجزائرية، وقصورها في القيام بدورها التربوي المطلوب، كموقع لا يستهان به في تأهيل الشباب وإعداده للقيام بأعباء وطنه.

### ثانياً: الحرية وفي ضمنها البطالة:

والحرية هي حق الإنسان في أن يفكر تفكيراً مستقلاً في جميع ما يكتنفه من تصرفات<sup>(2)</sup>، باعتبارها حقاً طبيعياً يعبر من خلالها الفرد عن ذاته ووجوده، على أن "أبا اليقظان" يعتبرها من الأسباب الكبرى التي

<sup>1</sup> أبو اليقظان، «أحسنوا رعاية الشبان أيها الرعاة»، الأمة، ع53، (3-12-1935م).

<sup>2</sup> عاصم، د، أحمد عجيبة، حرية الفكر وترشيد الواقع الإسلامي، مطابع نهضة مصر، القاهرة، ط2، 1990م، ص19.

تؤدي إلى انحراف الشباب، ويخصر بانذكر أولئك الذين لم يتلقوا عن أسرهم تربية صالحة قائمة على أساس من الدين الصحيح، والاعتزاز باللغة والانتماء، إذ تكون هذه الحرية أشد خطراً عليهم في مرحلة المراهقة، وقد دلت الأبحاث أن الناشئ في هذه المرحلة " يخلع عن نفسه ثوب الطاعة والخضوع، وروح التقليد الأعمى التي لم تعد من المعالم الأساسية لعهد الطفولة، واستبدل بها ما هو خير منها ويأخذ هذا الانقلاب صورة ثورة ضد سلطة الوالدين والمدرسة وتقاليد المجتمع"<sup>(1)</sup>.

ونعل أهم مظاهر هذه الحرية انسياق الكثير من الشباب المتمرد على تعاليم الدين والمجتمع والأسرة وراء الموجات الثقافية الأجنبية التي كانت تدعو إلى الانحلال الخلقي، والانسلاخ من الذاتية، والانتماء العربي الإسلامي.

ومن ثم فإن "أبا اليقظان" يرى ضرورة فرض نوع من الرقابة على هؤلاء، ولعلها في مرحلة المراهقة تصبح أكثر من ضرورة وإلا « فإذا لم تضبط هذه العوامل النزاعة إلى الثورة والتبمرد والعصيان، طارت بصاحبها في الفضاء وأردته في هوة سحيقة»<sup>(2)</sup>، فالحرية المطلقة في هذه الفترة من الشباب - في اعتقاد "أبي اليقظان" - أشبه بالسلاح الحاد الطرفين في يد صبي، لا يعي استخدامها، ولا كيف يتصرف فيه، فيضر نفسه وغيره ظناً منه أنه يقصد النفع<sup>(3)</sup>.

<sup>1</sup>. اللبان، د، إبراهيم، إيمان الشباب : صيانه ووسائل دعمه، منشورات المكتبة العصرية، بيروت، لبنان، 1971م، ص

167.

<sup>2</sup>. أبو اليقظان، « أحسنوا رعاية الشبان أيها الرعاة»، الأمة، ع53.

<sup>3</sup>. نفس المصدر والعدد.

على أن "أبا اليقظان" يعود ليؤكد على ضرورة أن يقف المسؤولون تجاههم موقف الوسط في هذا الإطار، إذ الواجب «نحو الشبان مراعاة درجة فورانهم فيتخذ إزاءهم من التدابير الحازمة على قدر تلك الدرجة مسلكا بين طرفي الإفراط والتفريط»<sup>(1)</sup>.

وهو تصور سليم وموقف حكيم - فيما نعتقد - إذ يمكن أن يسهل علاج تصرفاتهم، وفهم مشاكلهم وميولهم، ولم يبالغ "أبو اليقظان" حينما شبه دور المربي في هذه المرحلة بسائق سكة حديدية، تارة ينفس عن فرجتيها من ضغط البخار، وتارة يزيد حتى ينظم سيرها<sup>(2)</sup>.

### ثالثا : الجهل:

لئن استطاعت السياسة الاستعمارية أن تحكم على أبناء الشعب الجزائري بالنتشرد والجهل، مما كان أغلبهم عرضة للانحراف فإن سياستها التي استهدفت تلقين من تمكنوا من التعلم في المدارس الفرنسية كل ما يمجد "فرنسا" وينقص اعترازهم بمقوماتهم قد فاقت كل التصورات.

ومن ثم يركز "أبو اليقظان" على عنصر الجهل بتعاليم الدين على وجه الخصوص، ويعدده من أخطر الأسباب التي تفضي بالشباب إلى الانحراف عن جادة الصواب، وما ينتج عنه من مظاهر سلبية، ولعل أبرز صورته التقليد الأعمى لمظاهر الحضارة الغربية والسير في ركابها، واقتراف الموبقات بشتى أنواعها، والأخطر من ذلك عدم الإحساس بالانتماء الحضاري الذي يوجه الطاقة الشبانية نحو هدف معين، وقد أكد هذه الحقيقة أحد رجال الحركة الإصلاحية في قوله: "لما انتشر الجهل (جاءتنا المدنية الغربية الأوروبية، - لاسيما بعد الحرب العالمية الأولى - بأمراضها الخلقية، فصارت تبث فيها بكل وسيلة، وتبث في شبابها على الخصوص لإضعاف عقيدته الإسلامية وإبعاده عن دينه"<sup>(3)</sup>.

1. أبو اليقظان، «أحسنوا رعاية الشبان أيها الرعاة»، الأمة، ع53.

2. نفس المصدر والعدد.

3. ديبوز، محمد عني، أعلام الإصلاح في الجزائر، ج4، ص146.

لذلك يرى "أبو اليقظان" ضرورة تربية النشء منذ انصغر تربية صحيحة قائمة على الاعتزاز بالدين واللغة والتاريخ ، ذلك كما يقول- : «أن إهمال الطفل وعدم تثقيفه بالعلم الصحيح وتربيته بالتربية المتينة يجعله ناشئا نشأة فاسدة كالجنين المولود معلولا يكون متبهاً لكل علة ومتعرضاً لكل فساد»<sup>(1)</sup> .

#### رابعاً: الإلحاد:

وقد انتشرت موجة الإلحاد بين طائفة الشباب المتقف ثقافة أوروبية، ويؤكد "أبو اليقظان" أن ما أصاب هؤلاء مرده إلى هذه التيارات الفكرية المنحدرة، التي غزت عقولهم في المدارس، وإلى هذه الحضارة المادية التي اعتمدت على المظاهر الخلابية الساحرة، فلم يجد الشاب نفسه إلا وهو يرتطم فيها وينطبع في حمايتها<sup>(2)</sup>، وكان من نتائج ذلك أن خرج منها نماذج تنكرت لدينها ولغتها وقوميتها، واعتمدت عليه فرنسا في تحقيق مسعاها الاستعماري.

وقد أكد على هذا المعنى أيضاً "البشير الإبراهيمي" حين قال : "الإلحاد ضيف ثقيل حل بهذا القطر منذ انتشرت بين أبنائه الثقافة الأوروبية من طريق التعليم اللاديني أو من طريق التقليد الأعمى وغذته غفلة الآباء والأولياء عن هذه الناحية الضعيفة من أبنائهم"<sup>(3)</sup>.

ومع أن الذين تسرب إليهم تيار الإلحاد قلة قليلة من الشباب، فإن "أبا اليقظان" كان يرى ضرورة الاهتمام بالنشء منذ الصغر وحمايته من نتائج المدمرة<sup>(4)</sup>.

<sup>1</sup> أبو اليقظان، « أحسنوا رعاية الشبان أيها الرعاة »، الأمة، ع53.

<sup>2</sup> أبو اليقظان، « الإلحاد والدين »، وادي ميزاب، ع104، (12-10-1928م).

<sup>3</sup> الإبراهيمي، محمد البشير، آثار الشيخ محمد البشير الإبراهيمي، ج1، ش، و، ن، ت، الجزائر، 1978م، ص131.

<sup>4</sup> أبو اليقظان، « الوطنية الحققة »، وادي ميزاب، ع52، (7-10-1927م).

وقد كتب في هذا الإطار عدة مقالات<sup>(1)</sup> اتخذت طابعا توعويا، بين فيها حكمة الله في تنزيل الكتب وإرسال الرسل، وما يستوجبه الإيمان بالله والقضاء خيره وشره، واعتمد في عرضها على الأدلة النقلية والعقلية التي لا تبقى مجالا للشك والحيرة، مما يدل على أن "أبا اليقظان" كان حريصا كل الحرص على أن يبقى النشء متمسكا بدينه ولغته وقوميته، وقد بين أن سبب خوضه في هذا المضمار قوله: «إن أكبر باعث لنا على خوض هذا الميدان وإن لم نكن من فرسانه، هو ما رأينا بأعيننا وسمعنا بأذاننا لمسناه بأدينا من جرائم الزندقة والإلحاد التي سرت عدواها من الغرب إلى الشرق تمزق طرقا عديدة وسبلا كثيرة»<sup>(2)</sup>.

وبناء على ذلك اعتبر "أبو اليقظان" "الإلحاد" أحد الأسباب الكبرى التي من شأنها أن تؤدي بالشباب إلى الانحراف، والتصل من واجباته تجاه الوطن.

#### خامسا: التبشير المسيحي :

هو أحد القنوات التي استخدمها الاستعمار في لبوس كهنوتي، وأمد بكل عون ومناصرة وحماية لتحقيق مراميه التصيرية. وإذا ما علمنا أن النشء أحد الأطراف التي استهدفتهم فرنسا بالتصير وذلك بتصريح "بوجو" (Peugeot) "حاول يا أبي أن تجعلهم مسيحيين وإن فعلت فلن يعودوا إلى دينهم ليطلقوا علينا النار"<sup>(3)</sup>. فإنه يصبح من السهل علينا أن ندرك لماذا اعتبر "أبو اليقظان" "التبشير" من أهم الأسباب التي تهدد الناشئة.

<sup>1</sup> أنظر: أبو اليقظان، «حكمة التشريع الإسلامي»، وادي ميزاب، ع72.

أبو اليقظان، «حكمة التشريع الإسلامي»، المصدر نفسه، ع74، (16-3-1928م).

أبو اليقظان، «حكمة التشريع الإسلامي»، المصدر نفسه، ع79، (20-4-1928م).

أبو اليقظان، «حكمة التشريع الإسلامي»، المصدر نفسه، ع85، (2-6-1928م).

<sup>2</sup> أبو اليقظان، «حكمة التشريع الإسلامي»، المصدر نفسه، ع72.

<sup>3</sup> الخطيب، د، أحمد، الثورة الجزائرية: دراسة وتاريخ، ص118، 119.

وقد كتب في هذا الإطار الكثير من المقالات بين فيها الأخطار التي تختفي وراءها هذه الجحافل<sup>(1)</sup>، وحاول في الوقت نفسه أن ينبه الأولياء على ما تحمله تلك التسهيلات التي يمنحها المبشرون للتلاميذ لاستدراجهم إلى المسيحية بدءاً من النيل من عقيدتهم ولغتهم يقول : « فأنت ترى أنهم يستدرجونهم، ويستغلونهم، بنحو قال الله تعالى في القرآن ونحو عيسى نبي الله إلى أن يقول كل واحد منهم أصبحت بفضل الله مسيحياً، وأي غرض لإنقاذ هذه التعاليم نهم وتكريرها نهم حتى تكون كأتشودة الصباح يتلونها كل يوم أو ليس الغرض الوحيد بذلك هو انتزاع إيمانهم بمحمد عليه السلام من قلوبهم وإبداله بأوهية عيسى عليه السلام »<sup>(2)</sup>.

ولأجل حماية النشء من تيار الإلحاد والزندقة والتبشير، دعا "أبو اليقظان" رجال الإصلاح لتأسيس فرع لجمعية الشبان المسلمين أسوة بـ "بمصر" و "سوريا" و "فلسطين" و "تونس" لاعتقاده أن "الجزائر" هي « الهدف الأول والمرمى المصاب لسهام الزندقة والإلحاد والتبشير »<sup>(3)</sup>، وأكد أن مقاومة هذه الحملات لا تتم « إلا بالقوات المنظمة وهذه لا يمكن إلا بجمع الجهود وتنظيم الأعمال، وتوحيد القوى المتنوعة هنا وهناك، وهذه إنما تلتئم وتثمر ثمرتها المنشودة متى جمعتها جمعية وضمنتها في برنامج محدود، وقانون مسطر »<sup>(4)</sup>.

إن "أبا اليقظان" لا يكتفي بعرض أسباب انحراف الشباب عن تعاليم الدين والآداب الاجتماعية فقط، وإنما راح يفكر في وضع تصور لما يمكن أن يكون عليه الجو الاجتماعي الذي يعيش فيه الشباب، وعليه فهو يهدف إلى "استئصال الأمراض النفسية والاجتماعية من جذورها في النفس

<sup>1</sup> أنظر : أبو اليقظان، « مؤامرات المبشرين »، وادي ميزاب، ع84، (25-5-1928م).

أبو اليقظان، « مؤامرات المبشرين »، المصدر نفسه، ع87.

<sup>2</sup> أبو اليقظان، « افتحوا عيونكم أيها الغافلون »، المصدر نفسه، ع111، (7-12-1928م).

<sup>3</sup> أبو اليقظان، « الدعوة لتأسيس جمعية الشبان المسلمين »، المصدر نفسه، ع107، (2-11-1928م).

<sup>4</sup> نفس المصدر والعدد.

البشرية، وفي داخل العلاقات القائمة بين الناس في المجتمع، حتى يكون الإصلاح سليماً ومثمرًا<sup>(1)</sup>.

وعلى ذلك، فإن العمل على إزالة الفساد الخلقي والديني لدى الشباب، إنما يكون بتظافر جميع شرائح المجتمع ويحددها "أبو اليقظان" فيما يلي:

1. الآباء (الأسرة): باعتبارها " المسرح الأول الذي ينمي فيه الطفل قدراته إلى أن يصير شاباً"<sup>(2)</sup>، وإذا كانت مهمة الوالدين - كما هو متعارف عليه- تتمم في تغذية الطفل مادياً من حيث المأكل والملبس، ليكون أبعد عن أسباب هزال البدن، فإن "أبا اليقظان" يرى أن المطلوب أيضاً تدريبهم على طاعة الله والالتزام بالأخلاق الفاضلة حتى بلوغهم مرحلة يقبلون فيها على التعلم، وهو ما لخصه بالقول « فعليهم واجب الرعاية والمحافظة التامة عليهم من جميع نواحي حياتهم الدينية والخلقية والجسمية والمالية»<sup>(3)</sup>.

وهو منهج وقائي، ينمي في الطفل الأخلاق الفاضلة، ويضمن إخراج قيادات فاعلة قادرة على انتشار واقعها من الفساد.

ونعتقد أنه- كلما كانت الأسرة منضبطة بتعاليم الدين، كلما كان ذلك أيسر لأن ينشأ الطفل على الفضيلة والآداب الدينية، وقد نبه إلى هذا المفهوم الإمام "أبو حامد الغزالي" حين قال: " أن الصبي أمانة عند والديه وقلبه الطاهر جوهرة نفيسة ساذجة ()، وهو قابل لكل ما ينقش، ومائل إلى كل ما يحال به إليه فإن عوده الخير وعلمه نشأ عليه وسعد في الدنيا والآخرة، () فإذا وقع نشؤه كذلك في الصبا كان هذا الكلام عند البلوغ واقعا مؤثرا

<sup>1</sup> برغوث، الطيب، التغيير الإسلامي خصائصه وضوابطه، مكتبة رحاب، الجزائر، دط دت، ص47.

<sup>2</sup> مسن، بول، وكونجر، جون وكاجان، جيروم، أسس سيكولوجية الطفولة والمراهقة، ترجمة أحمد عبد العزيز سلامة، مكتبة الفلاح، الكويت، دط 1986م ص415.

<sup>3</sup> أبو اليقظان، « أحسنوا رعاية الشبان أيها الرعاة»، الأمة، ع53.

ناجعا، يثبت في قلبه كما يثبت النقش على الحجر، وإن وقع النشء بخلاف ذلك حتى ألف الصبي اللعب والفحش وشره الضعام واللباس والتزيين والتفاخر، بنا قلبه عن قبول الحق نبوة الحائط على التراب اليابس"<sup>(1)</sup>.

ونظرا لأهمية التنشئة السليمة في مرحلة الطفولة، فإن "أبا اليقظان" يرى أن المسؤولية تقع على عاتق الأسرة إفراطا أو تفريطا «فهم إزاء من تحت رعايتهم مملكة صغيرة، هم على رأسها، مكفون بحمايتها، وحماية ثغورها ومهما وقع منهم تفريط في ثغر من الثغور حتى تسرب منه العدو "الشيطان"، فأفسد ما أفسد من مملكتهم فهم مسؤولون عنه»<sup>(2)</sup>.

على أن تحقيق هذا المطلب في نظرنا - يتوقف إلى حد بعيد على سلامة تكوين الآباء من الجانبين الديني والعلمي، وهو أمر ضروري لتكوين الجيل السليم، خلافا إذا ما هم فقدوا الحصانة الدينية والعلمية، وهو ما غفل "أبو اليقظان" عن الإشارة إليه، خاصة إذا وضعنا في عين الاعتبار الواقع الاجتماعي المتردي الذي كان يعيشه الآباء، والذي يحتم على المصلحين الاهتمام بتكوينهم وتوعيتهم حتى يتمكنوا بدورهم من تربية أبنائهم.

1. المعلم (المدرسة): إذا كانت الأسرة من أقوى العوامل المساهمة في تكوين شخصية الطفل، المؤثرة في توجيه سلوكه، فإن المدرسة هي المجتمع الثاني الذي ينضم إليه الطفل بعد فترة من طفولته التي قضاها داخل أسرته، "وهي الحقل الذي يمكن للأمة أن تغرس فيه المبادئ وتزرع الأفكار"<sup>(3)</sup>.

<sup>1</sup> الغزالي، أبو حامد، إحياء علوم الدين، ج3، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ط2، ص72.

<sup>2</sup> أبو اليقظان، «أحسنوا رعاية الشباب أيها الرعاة»، الأمة، ع53.

<sup>3</sup> بوحجام، محمد ناصر، «المعلم الكفء يحل كثيرا من المشاكل»، مجلة الحياة، ع1، ص87.

ويعتبر المعلم أحد العناصر الأساسية اللى تساهم فى تشكيل شخصية الطفل، ولذلك يعتبر - "أبو اللىقظان" - مهمته أمانة خطيرة، على أساس أن التلميذ فى مرحلة الدراسة يمكث بين يدي المعلم أكثر من بقائه رفقة والديه. والأكيد أن "أبا اللىقظان"، لا يقصد من هذه المهمة الملقاة على عاتق المعلم تزويد التلاميذ بالمهارات والخبرات والحقائق عن الكون والحياة، ليخرج بذلك جيل تملؤه الحيرة، دون مرشد أو موجه، إنما يقصد بالإضافة إلى ذلك إعداد الفرد الصالح الذى يضطلع بمختلف الأدوار، داخل المجتمع مستقبلاً باعتباره عمدة الأمة وسائقها إلى النجاة.

وعلى ذلك، فعلى المعلم إلى جانب قيامه بمهمة إلقاء الدروس على تلاميذه، أن يقوم ولو بطريق غير مباشر، بتلقينهم بعض المثل العليا والقيم، وكلما كانت علاقة المعلم بهم وطيدة، وقوية كلما كان ذلك أذى إلى تقبل التلميذ لذلك، ولاشك أن أفضل وسيلة لذلك القدوة الحسنة.

2. رؤساء الأسر والعشائر: حيث يؤكد "أبو اللىقظان" على أن لهؤلاء دور كبير فى حماية الشباب من الانحراف، ذلك «لما لهم من نفوذ رسمى وهيمنة شرعية على من تحت تصرفهم ونظرهم من أفراد العائلة أو العشيرة»<sup>(1)</sup>.

إن "أبا اللىقظان" يشير إلى أحد الأنظمة اللى ميزت المجتمع الجزائري فى بعض مناطقه، ألا وهى العشيرة، والعشيرة "مجموعة أسر تربط بعضها قرابة الرحم، ويلتقى نسبها إلى جد واحد، إلا أن رباط الأخوة

<sup>1</sup>. أبو اللىقظان، «أحسنوا رعاية الشبان أيها الرعاة»، الأمة، ع53.

الإسلامية وروح التعاون والتآزر والحب في الله يجعل من هذه العائلات أسرة واحدة متحدة، تربطها غيرها من العشائر روابط التعارف والتكافل الاجتماعي والتعاون لما فيه الصالح العام والتناصح في الله<sup>(1)</sup>.

ونظرا للصلاحيات التي تضطلع بها العشيرة\*، فإن الدور الذي تقوم به في هذا الصدد لا يستهان به في إعادة الشباب إلى جادة الصواب.

**الخطباء والوعاظ:** فهؤلاء يمثلون رجال الدين في المجتمع، وإيهم توكل مهمة توجيه وترشيد الناس، وبخاصة فئة الشباب، بما يمتلكونه من القدرة على التأثير الديني «وعليهم بالخصوص واجب وعظ الشباب وحملهم على الجادة وردعهم عن غوايتهم، وكل سكوت منهم أو تقصير في ذلك يعد منهم إقرارا لحالتهم الفاسدة ورضي بتمردهم وفسوقهم»<sup>(2)</sup>.

ويشير "أبو اليقظان" إلى أن أفضل وسيلة لهؤلاء هو القيام بواجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وهو بلا شك "جهاز المناعة لجسم المجتمع وإذا ما انهارت المناعة صار المجتمع مرتعا خصبا لكل جرثومة، فيتهاوى بنيانه وينهار"<sup>(3)</sup>.

**4. العرفاء رؤساء الدكاكين:** إن المسؤولية فيما يبدو لا تقتصر على من سبق ذكرهم، وإنما تتعداها إلى رؤساء الدكاكين لما لهم من «النفوذ على من تحت نظرهم من العمال والصناع، مسؤولون على سيرهم وأحوالهم الشخصية، لأنهم أمانات وودائع بأيديهم تحملوا حفظها ورعايتها من آبائهم وأوليائهم»<sup>(4)</sup>.

1. جهلان، محمد، أفكر السياسي عند الإباضية من خلال آراء الشيخ محمد اطفيش، جمعية التراث، القرارة، غرداية، الجزائر، دط دت، ص170.

\* تنقسم صلاحيات العشيرة إلى قسمين: 1- التكافل الإلزامي. 2- التكافل الاجتماعي. راجع في ذلك: أبو اليقظان، نظام العشيرة في وادي ميزاب، مخ. وبيوض، إبراهيم، المجتمع المسجدي، إعداد محمد ناصر بوحجام، المطبعة العربية، غرداية، الجزائر، دط، 1989م، ص83 وما بعدها.

2. أبو اليقظان، «أحسنوا رعاية الشبان أيها الرعاة»، الأمة، ع53..

3. باجو، مصطفى، «الأبعاد التربوية للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر»، مجلة الحياة، ع2، ص147.

4. أبو اليقظان، «أحسنوا رعاية الشبان أيها الرعاة»، الأمة، ع53.

إن "أبا اليقظان" لم يقصر مسؤوليتهم على ناحية شغلهم، بل يذهب إلى أبعد من ذلك حين يوجب عليهم «تعليمهم أمور دينهم ودنياهم وصيانتهم من فساد الأخلاق وقطاع الطرق، وماداموا تحت مسؤوليتهم»<sup>(1)</sup>.

والواضح أن "أبا اليقظان" متأثر إلى حد بعيد ببيئته الاجتماعية، ذلك أن هذه المظاهر التي أشار إليها إنما تعرفها منطقة "وادي ميزاب"، ذلك أنه في المدن الكبرى، لا تتعدى علاقة أصحاب الدكاكين بمن تحت مسؤوليتهم إلا في ناحية عملهم فقط.

5. رجال الحكومة: لعل جانباً من المسؤولية يلقبها "أبو اليقظان" على الحكومة ورجالها يقول في ذلك: «فإذا وضعنا أمامنا حكومة ساهرة على قمع الفساد والتمرد على الأوضاع الدينية () يظهر لنا مقدار مسؤوليتهم في ذلك»<sup>(2)</sup>.

والمؤكد أن "أبا اليقظان" إما أنه يقصد الحكومة الفرنسية واعتبارها المسؤول الأكبر والأول عن ضياع الشباب وتمرده على الآداب الاجتماعية والدينية، وإما أنه يقصد أن الحكومة إذا كانت صادرة عن الشعب، مخلصه في خدمته ستكون بلا شك عاملاً قوياً من عوامل حماية الشباب بما تمتلكه من سلطات تشريعية وتنفيذية، وفي ذلك تعريض بما تقوم به الحكومة الاستعمارية من إهمال لمصالح الجزائريين وإغفال لحقوق شبابها في التعليم والتكوين والتأهيل.

<sup>1</sup> أبو اليقظان، «أحسنوا رعاية الشبان أيها الرعاة»، الأمة، 53ع.

<sup>2</sup> نفس المصدر والتعدد.

يمكن القول في الأخير أن أفكار الرجل كانت كلها موجهة في هذا الإطار- إلى ضرورة تكوين الشباب الجزائري تكويناً يؤهلهم إلى القيام بأعباء الوطن وتخليصه من واقع الركود والانحطاط، وكان يرى أن أهم شيء يجب التركيز عليه هو تربية النشء على أساس من الدين كأحد دعائم الشخصية الوطنية ، ذلك لإيمانه أن الجهل بتعاليم الدين من شأنه أن يؤدي إلى تنكّر الجيل لدينه، وانتمائه الحضاري، وحتى تتحقق للجيل مثل هذه الحصانة على الجهات المسؤولة أن تضطلع بواجباتها كاملة غير منقوصة.

## المبحث الرابع : الوحدة الاجتماعية في فكر

### "أبي اليقظان".

تؤكد المقالات التي كتبها "أبو اليقظان" حول الوحدة الاجتماعية أن الرجل كان يؤمن بضرورة وحدة الجزائريين وتماسكهم كأحد شروط النهضة الاجتماعية، وكان "محمد ناصر" على حق حين أكد أن مبدأ التضامن والاتحاد بين الجزائريين، وضرورة تجاوز الخلافات العنصرية كانت من المحاور الهامة التي سخر لها "أبو اليقظان" قلمه<sup>(1)</sup>.

فبدءا من العدد الأول يطالعنا بمقال عنوانه "أيها الجزائري"، وكما يتضح من العنوان أنه كان موجها لكل الجزائريين بغض النظر عن انتماءاتهم، أو مذاهبهم، أو لهجاتهم، إذ كان هم الرجل في كل هذا تذكير أبناء "الجزائر"، بألا وطن لهم غير "الجزائر" أرضا، ولا دين يوحدهم غير الإسلام، يقول في ذلك : «أيها الجزائري الماجد، أعلم أن القطر الجزائري مدينة تاريخية واحدة، مسورة بسور واحد هو الإسلام، وسكان دورها هم سكانه، فلا يمنع انحياز كل في داره، ومحافظة على مميزات عائلته، فيه سائر سكان المدينة من التعاون والتعاقد على جانب المصلحة لها، ودرأ المضرة عنها، فإن مصلحة المدينة هي مصلحة ديارها، ومضرتها هي مضرتها، إذا أقبل النهار فإلى الجميع، وإذا هجم الليل فعلى الجميع»<sup>(2)</sup>.

<sup>1</sup> ناصر، د، محمد، أبو اليقظان وجهاد الكلمة، ص 43.

<sup>2</sup> أبو اليقظان، «أيها الجزائري»، وادي ميزاب، ع 1.

"فأبو اليقظان" كان يأمل أن تقوم بين الجزائريين وحدة إجتماعية، تختفي فيها كل الخصوصيات، وتجمعها معاناة واحدة هي القضية الأم، دون اعتبار للحدود الوهمية والخلافات المذهبية بين مختلف أقطار هذا الوطن.

وتبعاً لذلك لم يتردد الرجل من تحذير الجزائريين من ترديد شعارات التفرقة، لأنها في نظره -إحدى الثغرات الخطيرة التي تسلل منها الاستعمار لتدعيم تواجدته يقول في ذلك: « كفى، كفى، أيها السادة من "نحن وأنتم" فقد جعل من قولكم هذا مالكي وهذا حنفي، هذا إباضي، هذا تيجاني، هذا قادري، هذا عربي، هذا قبائلي، هذا شرقي، هذا غربي، فقد فتح بين صفوفنا المترابطة للغير ثغرات واسعة نفذ منها إلى نفوسنا، فأجج نارها على بعضها، وإلى قلوبنا فأفعمها حقدا على بعضنا، وإلى ألسنتنا فأنطقها ضد بعضنا، وإلى جموعنا فشتت شملها، وإلى أموالنا فبددها، وإلى أخلاقنا فأفسدها، وإلى قوميتنا فأهانها، وإلى بلادنا فجاس خلالها، وإلى ديننا فهتك حرمة»<sup>(1)</sup>.

فالوحدة في نظر "أبي اليقظان" -، يجب أن تسمو عن فكرة المذهبية أو القبلية والإقليمية إلى وحدة تقوم على مبدأ الأخوة والدين، وهو لا يستبعد حينما أشار بقوله "الغير" أن يكون الاستعمار المسؤول الأول عن هذا الواقع، الذي مزقته الانتماءات واللهجات المحلية، فلقد استطاع بجهوده المتكررة أن يحفر في جدار هذا الشعب أخاديد من المنازعات وأذكى بينهم نار الفتنة<sup>(2)</sup>.

<sup>1</sup> أبو اليقظان، «نحن وأنتم» وادي ميزاب، 26ع، (1-4-1927م).  
<sup>2</sup> بوحجاج، د، محمد ناصر، أبو اليقظان في الدوريات العربية، ص86.

والواقع أن "أبا اليقظان" كان يعتقد أن الاستعمار ليس وحده المسؤول عن هذا التفرق، بل إن جزءاً من تبعاته يقع على عاتق خصوم الحركة الإصلاحية<sup>(1)</sup> من المثبتين، ومن ثم فإن التصدي لمثل هؤلاء يعد أمراً ضرورياً في مثل هذه الظروف التي تمر بها "الجزائر"، وذلك بالاتحاد والتضامن «فأنشدكم بلحمة الدين والإسلام أن تضعوا حداً لهذا التبدد الشائن وتدفنوا كل ما مضى من الإحن والشحناء وتغذوا مجموعكم جسداً واحداً يحس بإحساس واحد، ويشعر بشعور واحد»<sup>(2)</sup>.

وكما هو واضح من كلام "أبي اليقظان" أن وحدة الجزائريين يجب أن تقوم على أساس الولاء للإسلام، إذ هو - في نظره - الذي وحد الأمم، وأخرج الناس من مفهوم القبلية المتعددة إلى دائرة الأمة الواحدة، وكان سبب رقيها، وهو الذي اقتبس منه الغرب سر ازدهاره، في الوقت الذي انشغل فيه المسلمون في العالم و"الجزائر" خصوصاً بسفاسف الأمور، وانهمكوا في المشاحنات والمنازعات<sup>(3)</sup>.

-إذن - فقد أدرك الرجل فساد الأحوال التي كان يعيشها المجتمع الجزائري من الشتات، وأكد عليها في الكثير من المواقف<sup>(4)</sup>، كما أحس بتقل الأزمات التي أصابت أفراد المجتمع الجزائري، لذلك فإنه يجزم جزماً قاطعاً أن الإسلام وحده كفيل بأن يقضي على المشاحنات ويوحد الكلمة، حتى إذا ما قام هنالك صراع فلا يكون كما يقول: «بين طائفة وأخرى أو قبيلة وأخرى ولكن بين أهل الصلاح من طرف، وأهل الفساد من طرف آخر»<sup>(5)</sup>.

1. أبو اليقظان، «المصافة البعيدة بين الأقوال والأفعال» النور، ع55، (1-11-1932م).  
 2. أبو اليقظان «رسالة خطيرة إلى المؤتمر الإسلامي العام»، المصدر نفسه، ع23، (1-2-1932م).  
 3. أبو اليقظان، «نحن وأنتم»، وادي ميزاب، ع26.  
 4. أنظر: - أبو اليقظان، «إذا حسنت النيات حسنت النتائج»، النور، ع59، (11-1932م).  
 - أبو اليقظان، «الإسلام يحتضر والمسلمون يهزلون»، وادي ميزاب، ع17.  
 - أبو اليقظان، «من أين نستورد الرجال؟»، المصدر نفسه، ع47، (2-9-1927م).  
 - أبو اليقظان، «تجارتنا وتجارتهم»، المصدر نفسه، ع6.  
 5. أبو اليقظان، «الخاصة والعامة»، المصدر نفسه، ع42.

ومن المقترحات الجريئة التي فكر فيها "أبو اليقظان" كضمان لاتحاد دائم وقوي، دعوته قادة الأمة ومسؤوليها بضرورة إنشاء حزب وطني جزائري تتصهر داخله كل التيارات، وتوحد فيه جميع الأهداف والآراء « ذلك أن تطورات الأحداث دلت على أن الشعب، شعب متماسك ولكنه في حاجة إلى حزب وطني يوحد خطته وأهدافه وزعيم سياسي محنك يقوده ويوجهه وبدون هذين سيكون كالقطار الحديدي بدون مزججة تقوده إلى الأمام»<sup>(1)</sup>.

ولئن لم يوضح من يقود هذا الحزب، فإن اهتمامه الواضح بنشر بيانات، ونشاطات حزب الشعب الجزائري الذي ظهر عام 1937م، ما يدل على أن الرجل وجد فيه إمكانية قيادة الأمة، ولا ضير فقد أكد هذا الأخير مواقفه الصريحة والصارمة، وعدم قبوله أية مصالح مع الاستعمار الفرنسي.

ومن المواقف الجليلة التي تسجل "أبي اليقظان" في إطار دعوته إلى التماسك الاجتماعي، موقفه من الفتنة التي أراد اليهود إيقادها بين المالكية والإباضية، بعد أحداث أوت 1934م، التي وقعت "بقسنطينة"، بسبب اعتداء يهودي على حرمة أحد المساجد، حيث تسببت في مشادات بين المسلمين واليهود<sup>(2)</sup>، وكان من نتائجها أن قاطع العرب التجار اليهود، واتجهوا إلى التجار الميزابيين، وكان هؤلاء قد أسسوا شركة تجارية تحل محل الشركات اليهودية.

<sup>1</sup> أبو اليقظان، « هل في الإمكان تأسيس حزب وطني جزائري ؟ »، الأمة، ع3، (2-10-1934م)

<sup>2</sup> أنظر تفاصيل الحادثة : ابن العقون، عبد الرحمان بن إبراهيم، الكفاح القومي والسياسي، ج1، ص412 وما بعدها.

وكان اليهود في "الجزائر" كما هو معروف يسيطرون على جانب هام من الحركة الاقتصادية، وتدعم مركزهم هذا، عندما تمكنوا من الحصول على الجنسية الفرنسية فأصبحوا عضوا مواليا للإدارة الفرنسية، وتبعاً للأحداث التي جرت "بقسنطينة"، فإنهم طمعوا أن يقوموا برد الفعل تجاه الطائفة الميزابية التي كانت تشكل أكبر منافس لهم في الميدان التجاري، فأوعزوا إلى بعض النفوس الضعيفة لنشر دعاية تدين الميزابيين، وتقاطع تجارتهم، وقد تنبه "أبو اليقظان" لدعايتهم هذه التي كان هدفها ليس فقط إضعاف القدرات المالية للميزابيين، بل والعمل على إشعال نار الفتنة بين المسلمين من أبناء الشعب الجزائري، وبث الخلافات المذهبية والطائفية، جاء هذا التأكيد في قوله: «نحن على يقين بأن اليهود ولا سيما يهود "قسنطينة" منهم، لن يهدأ لهم بال، ويلذ لهم عيش إلا عندما يرونكم تخربون بيوتكم بأيديكم مبددين الشمل مفرقي الكلمة، مهتمي الشرف، مداسي الكرامة، ولبلوغهم هذه الغاية الساقلة تراهم هذه الأيام يبخرون بين المسلمين بمجامر من الفلفل»<sup>(1)</sup>.

واليهود في الحقيقة لهم طرق خاصة في تحقيق غاياتهم، فخلق نوع من المشاحنة بين العرب والميزابيين، والنجاح فيها، يعني كسب ثقة العرب، ولكون اليهود هم مرجع الجزائري عند الحاجة، فهو ملزم بأن يتعامل معهم في جميع التعاملات التجارية، بحكم أن لهم اليد الطولى في كل شيء، وهذا ما كان يخشاه "أبو اليقظان" مما جعله ينبه الجزائريين من

<sup>1</sup>. أبو اليقظان، «اليهود يبخرون بالفلفل» «الأمّة»، ع8، (6-11-1934م).

مغبة الوقوع في مثل هذه الشباك « حذار أيها المسلمون من استغلال اليهود لحسن نيتكم، ولشدة حاجتكم واختلاف منازعكم، فيضرب بعضكم بعضاً، فيرقص اليهود على مصائبكم، ومناحاتكم سرورا وطربا، ويضحكوا شماتة وسخرية من بلاهتكم وغفلتكم»<sup>(1)</sup>.

واعتماد "أبي اليقظان" بنوايا اليهود يحمل كثيرا من الصحة ما يدل على أنهم أكثر الشعوب مكرًا، ودهاء، وفسادا في الطباع التي تجعلهم يسلكون كل الطرق لتحقيق أطماعهم ومصالحهم.

وإلى جانب أحداث "قسنطينة"، نسجل "لأبي اليقظان" مساهمته في معركة قلمية، تدخل في إطار الوحدة الاجتماعية للجزائريين، وهذه المرة كانت المحاولات لخلق النزاع من داخل الأمة ذاتها، وهي فئة تمثل أحد أذئاب الاستعمار وتخدم مصالحه، فقد سعى أحدهم إلى نشر مقال بعنوان "إخواننا في الدين" بجريدة "النيل" الانتقادية بامضاء "زعفان" تضمن تهجما قبيحا على الطائفة الميزابية، واتهاما صريحا ضدهم، من كونهم مستعمرين وأنهم مجردون من كل عاطفة إنسانية، وكانت مثل هذه الادعاءات مثار غيرة الكثير من الكتاب الصحفيين، الذين ساهموا في الرد على ما جاء في المقال، ومن هؤلاء "محمد السعيد الزاهري" الذي فند ما جاء في المقال بالإحصائيات والدلائل التي تؤكد مساهمة الجمعيات الميزابية في بناء النهضة في القطر الجزائري<sup>(2)</sup>.

<sup>1</sup> أبو اليقظان، « اليهود يبخرون بالقلقل »، الأمة، ع8.

<sup>2</sup> الزاهري، محمد السعيد، « صرخة غضبان في وجه زعفان »، الأمة، ع80، (23-6-1936م).

ولئن تجند "محمد السعيد الزاهري" لدحض مزاعم صاحب المقال، فإن مساهمة "أبي اليقظان" في الرد على ما جاء في المقال كان يحمل دلالة كبرى، فالرجل كان على يقين بأبعاد المقال، الذي لم يقصد به صاحبه التهجم على الطائفة الميزابية فقط، بالتقدير الذي كان يهدف من خلاله خلق نوع من البلبلة بين الإخوة الجزائريين في وقت كانت معالم الوحدة تبرز مع مجيء المؤتمر الإسلامي الجزائري كأحد الأحداث الهامة، التي ضمت كل الجزائريين من مختلف منازعهم، وبدا هذا واضحا فيما كتبه "أبو اليقظان" من خلال المقدمة التي وطأ بها نمقال "محمد السعيد الزاهري"، حيث يقول: « في الوقت الذي أخذت تبدو فيه ثمرات الدعاة المرشدين ونتائج جهاد العاملين في توحيد كلمة المسلمين وإنعاش الأخوة الإسلامية بين سكان "الجزائر" عامة، وبين المالكية والإباضية خاصة ( ) في الوقت الذي مست فيه حاجة العربية والإسلام إلى هذه الأخوة الإسلامية العامة، في هذا الوقت نفسه يبرز هذا المقال الذي ملأه صاحبه سبابا مقذعا واتهامات باطلة»<sup>(1)</sup>.

"فأبو اليقظان" كان يدرك تماما ما يعني إشعال نار الفتنة بين الجزائريين، ما يدل على أن أفكاره تعكس بحق إخلاصه الواضح في دعواته للم شمل الجزائريين، والترفع عن كل ما يسيء إلى وحدتهم، وهو نابع من قناعة الرجل بضخامة النتائج السلبية للتفرق الذي لا يكرس - في نظره - سوى الضعف والهوان وتعطيل المصالح الكبيرة والكثيرة وإطلاق العنان للمفاسد والشرور وإخلال الجو للفساد والعابثين بحرم الوطن والملة والدين<sup>(2)</sup>.

<sup>1</sup> الزاهري، محمد السعيد، « صرخة غضبان في وجه زعفان »، الأمة، ع80.

<sup>2</sup> أبو اليقظان، « الخاصة والعامة »، وادي ميزاب، ع42.

هذه - إذن - أهم أفكار الرجل، والتي أكدت في مجملها، إيمانه بأن الوحدة والتماسك الاجتماعي ، هما صمام الأمان الذي يحمي الأمة من التفرق والاختلاف، والطريق الوحيد لأية انطلاقة اجتماعية .

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

## المبحث الخامس : آراء اقتصادية في فكر "أبي اليقظان"

تمهيد :

بدخول الفرنسيين أرض "الجزائر"، كانت كل موارد الرزق والتجارة قد تحولت إلى أيدي المعمرين ، وأصبح تسيير الحركة الاقتصادية تحت طوعهم، وبانتقال دواليب الحركة الاقتصادية إلى هؤلاء، فقد سدت أبواب الكسب أمام الجزائريين ولم يبق لديهم سوى بعض الصناعات التقليدية ، أو التجارة البسيطة .

وقد اهتم "أبو اليقظان" بإيجاد الحلول لبعض المسائل الاقتصادية اهتمامه بالجوانب الأخرى، ولئن سجلنا قلة المواضيع التي كتبها في هذا الإطار فإن سبب ذلك يعود إلى غلبة الطابع الاجتماعي على بعض المواضيع الاقتصادية من جهة، وارتباط الاهتمام الفائق بالمسائل الاقتصادية في صحافة "أبي اليقظان" باسم "بكلي عبد الرحمان بن عمر" كما أشار إلى ذلك "محمد ناصر" من جهة أخرى<sup>(1)</sup>.

وقد أمكن تتبع ما كتبه "أبو اليقظان" في المجال الاقتصادي الوقوف على محورين هامين الأول: يتعلق بحاجة البلاد إلى مصرف أهلي. والثاني: حول أسس التجارة الناجحة.

<sup>1</sup>. ناصر، د، محمد، أبو اليقظان وجهاد الكلمة، ص148.

### أولاً: الحاجة إلى إنشاء مصرف أهلي :

تعد ضرورة إنشاء مصرف أهلي ، من أهم المسائل التي استحوذت على تفكير "أبي اليقظان" ، وقد شعر الرجل أن مبررات الدعوة إلى تكوين مصرف أهلي اقتضته ضرورات اقتصادية ملحة، لم يخف التصريح بها في قوله : «وحيث لا سبيل إلى تلك المجاراة إلا بتوسيع نطاق أعمالنا، ومشاريعنا في هذه الحياة، وحيث لا يمكننا ذلك إلا برؤوس أموال كبيرة، وحيث أننا لا نملك منابعها ولا نجد لها إلا في مصارف أجنبية، وحيث لا نتوصل إلى هذه إلا بطرق المراباة المحرمة في شرعنا بنص الكتاب والسنة، ونحن نؤمن بما فيها أنه حق من عند الله، فإنه يجب على قادة الأمة ومفكراتها وعلمائها أن يتبادلوا الرأي في وجه الحل لهذا المشكل، ولا يسوغ الوجوم والسكوت عنه، والأمة كما نراها مرتطمة في حريق الربا مرتمية في أحضان المصارف الأجنبية»<sup>(1)</sup>.

وضمن هذه المبررات، فإن موقف "أبي اليقظان" الراض للفتاوى الآتية من التعامل مع المصارف الأجنبية كان واضحاً، باعتبارها من الربا المحرم شرعاً، وموقفه هذا يمكن اعتباره امتداداً لمواقف فقهاء الشريعة الإسلامية ، الذين عكفوا على بيان كل الأحكام المتعلقة بهذا النوع من التعامل بناء على الكتاب والسنة.

وفي خضم السيطرة الاستعمارية المحكمة، ومنافسة اليهود الذين استحوذوا بشكل كبير على دواليب الحركة الاقتصادية في "الجزائر" مع ما

<sup>1</sup> أبو اليقظان، « حاجتنا إلى مصرف أهلي » وادي ميزاب، ع89.

كانت تقدمه لهم المصارف الأجنبية من مساعدات، في الوقت الذي كان التاجر الأهلي يجد صعوبات جمة لتسيير تجارته، ما يضطره للتعامل مع المرابين ، الذين يأخذون منه فائضا بين 18 و 20 في المائة<sup>(1)</sup>، كان "أبو اليقظان" يرى ضرورة أن يفكر الجزائريون جديا في إنشاء مصرف أهلي لإنقاذ التاجر الأهلي، « إن وجه الحل لهذه المشكلة هو أن يقوم بعض متتوري الأمة بفتح مصرف أهلي يؤسس على انقواعد الإسلامية المقررة في الفقه الإسلامي ويسير بأساليب البنوك انعصرية برؤوس أموال المتتورين من المسلمين في عاصمة "الجزائر" أو "قسنطينة" ويربط صلاته مع المصارف الأخرى الأجنبية على قاعدة تعيين الوكالات منها ويعرفون كيفية التعامل الإسلامي لتسهيل التبادل والتعاون معها بما لا يخرج عن قواعد الإسلام »<sup>(2)</sup>.

فكل ما ناشده "أبو اليقظان" - إنن - هو تأسيس مصرف بديل عن نظام المصارف الأجنبية، يقوم على أساس من أحكام الشريعة الإسلامية، ويسير وفق أساليب العصر، وبذلك يتخلص التاجر الأهلي من تبعية الأجنبي.

وفكرة إنشاء مصرف أهلي تعتبر بادرة مبكرة جدا على عصر "أبي اليقظان"، وقد سبق "الإبراهيمي" إلى هذه الفكرة، وقد دعا هذا الأخير أيضا إلى إنشاء بنك مصرفي بديل عن نظام البنوك القائمة على الربا، وبرز ذلك في تصريحه حين قال : "والذي تقتضيه الحكمة الهادئة لنحفظ أنفسنا من هذه المزاحمة المريعة هو تأسيس شركات التعاون بين الفلاحين

<sup>1</sup> المدني، أحمد توفيق، كتاب الجزائر، ص 392.

<sup>2</sup> أبو اليقظان، « حاجتنا إلى مصرف أهلي »، وادي ميزاب، ع 89.

وشركات التعاون بين التجار، لتقي انصغار من الجانبين، ثم تحكم الأجانب في أملاكهم ومجهوداتهم ثم تأسيس مصارف مالية صغيرة تكون واسطة بين الجميع وتكون مع ذلك مستودعا للأموال المخزونة المعطلة<sup>(1)</sup>.

فدعوة الرجلين تصور بصدق الحالة الاقتصادية المتردية للتجار الجزائريين، والتي انتقلت فيها القوة إلى التحكم والتوجيه إلى عناصر دخيلة من المعمرين واليهود، ما جعل التجارة الأهلية تعرف اختناقاً شديداً بسبب هذه الهيمنة.

ومهما يكن فإن فكرة إنشاء بنك مصرفي، قد وجدت فعلاً كما أكد ذلك "أحمد توفيق المدني"<sup>(2)</sup>، غير أنها لم تتجح لأسباب غير معروفة، رغم النوايا الصادقة التي بذلها بعض المخلصين لإنجاح المشروع، ولم يكتب لمنزل هذه الأفكار التي نادى بها أمثال "أبي اليقظان" و"الإبراهيمي" أن ترى النور إلا بعد الستينات أين بدأت النواة الأولى لأول تجربة للبنوك الإسلامية سنة 1963 م في "مصر"<sup>(3)</sup>، وعرفت بعد ذلك انتشاراً واسعاً في مختلف العالم الإسلامي.

<sup>1</sup> الإبراهيمي، آثار الشيخ محمد البشير الإبراهيمي، ج1-ص14.

<sup>2</sup> المدني، أحمد توفيق، كتاب الجزائر، ص392.

<sup>3</sup> بوجلال، د، محمد، البنوك الإسلامية، ش، و، ن، ت، الجزائر، دط، 1980م، ص46.

### ثانيا : أسس التجارة الناجحة في فكر "أبي اليقظان"

كان قطاع التجارة في القطر الجزائري متطورا جدا، وكانت "الجزائر" واسطة لنقل التجارة بين أوروبا وأواسط إفريقيا بواسطة قوافلها العديدة<sup>(1)</sup>، وتغير هذا الوضع بدخول الاستعمار الفرنسي، فقد حدث تحول كبير في الحياة التجارية ما جعل عملية التبادل التجاري جد صعبة خاصة على التجار الأهالي .

وكان اهتمام "أبي اليقظان" في هذا الإطار منصبا على بيان واقع التجارة الأهلية، والمشاكل التي يتخبط فيها التاجر الأهلي ، ورغم الإطناب الذي لاحظناه في معالجته لمثل هذا الموضوع ، وهو إطناب يمكن أن يكون ناتجا عن تدمير الرجل من المناورات التي كان يلاقيها التاجر الأهلي من طرف التجار اليهود على وجه الخصوص، باعتبارهم أكبر منافس للتاجر الأهلي ، فإنه كان يهدف في اعتقادنا - إلى نشر نوع من القلق لدى التجار للنهوض بقطاعهم، وقد بدا ذلك من خلال الوصف الذي قدمه للحالة التي عليها التاجر الأهلي « ثم إنه إذا توجه إلى بعض المستودعات الكبرى يستورد ما يسد فراغ دكانه ، فهناك المقت الأزرق، وهناك الموت الأحمر، يلقي من السيد صاحب المستودع الشموخ بالأنف إلى عنان السماء، الإعراض بالجانب ، المصاعرة بالخد ، عبارات التحقير، والاستخفاف بالمسلم، وبما يصرفه من الإسلام، العيون تغمز و الألسن تنبذ و الأيدي تهمز ، ()، والمسكين يتذلل وهو عظيم ، ويتبذل وهو ذكي، ويتصامم وهو سميع، ويتعامى وهو بصير ()، كل ذلك منه تلطيفا من نزق السيد، وتخفيفا من جبروته عليه يجد المجاملة والملاينة في المعاملة»<sup>(2)</sup>.

<sup>1</sup> المدني، أحمد توفيق ، كتاب الجزائر، ص392.

<sup>2</sup> أبو اليقظان ، « تجارنا وتجارهم »، وادي ميزاب، ع12.

ولا يفتأ "أبو اليقظان" في حديثه عن واقع تجارة الأهلي، يقارن بين تجارة اليهود، وبين التجارة الأهلية، فيؤكد أن تجارة هؤلاء إنما تفوقت بفعل عوامل ثلاث هي « العلم والاتحاد والمال »<sup>(1)</sup>، وأن سبب تراجع تجارة الأهالي مردها إلى « الجهل والافتراق والفقير »<sup>(2)</sup>.

والمهم في كل ذلك أن الرجل لم يكتف بمجرد بيان هذا الواقع الذي تمر به التجارة الأهلية، وإنما راح يفكر في إيجاد بعض المقترحات للخروج بالتجارة الأهلية إلى حالة من الانتعاش، وتبعاً لذلك كتب "أبو اليقظان" مجموعة من المقالات بين فيها مجموعة من الأسس لإنجاح سير التجارة، وهي كما أوضحها :

1. العلم بفنها وإدارتها .
  2. رأس المال باعتباره النواة الأولى التي تقوم عليها التجارة و تزدهر .
  3. إختيار الموقع المناسب الذي يسمح برواج التجارة .
  4. ضرورة ربط التجارة بالمستودعات الكبرى<sup>(3)</sup>.
- والملاحظة الجديرة بالذكر أن أبا اليقظان يؤكد بخصوص العنصر الأول أن العلم المقصود ليس فقط معرفة الأساليب التقنية المتعلقة بإدارة التجارة والمستودعات الكبرى، وإنما العلم هنا معرفة أيضا ما تعلق بالحلال والحرام في التعاملات التجارية « إنه يلزمنا للدخول في هذا الميدان تعليم أبنائنا جميع ما يتعلق بالمسائل المالية من الحلال، والحرام، وأحكام البيوع، والربا، وسائر النوازل المستحدثة، حتى يعلم الولد ما يأخذ

<sup>1</sup> أبو اليقظان، « تجارتنا وتجارتهم »، وادي ميزاب، 4ع، (22-10-1926م).

<sup>2</sup> نفس المصدر والعدد.

<sup>3</sup> أنظر -أبو اليقظان، « تجارتنا وتجارتهم » المصدر نفسه، ع3.

وَأبو اليقظان، « تجارتنا وتجارتهم »، المصدر نفسه، ع4، (22-10-1926م).

وَأبو اليقظان، « تجارتنا وتجارتهم »، المصدر نفسه، ع5، (29-10-1926م).

وَأبو اليقظان، « تجارتنا وتجارتهم »، المصدر نفسه، ع6.

وَأبو اليقظان، « نظرة في التجارة »، المغرب، ع3، (10-6-1930م).

وما يذر، وما يمنع لئلا يتسرب إليه الفساد، فيخسر الربح ورأس المال»<sup>(1)</sup> فالنشاط التجاري - في نظر "أبي اليقظان" - يجب أن يتجاوز مجرد تحقيق المنافع المادية إلى ضرورة أن تكون التجارة دروساً علمية، وعملية لبناء الأخلاق الفاضلة، وهي نظرة تصب في تصور الإسلام، الذي يوجه المسلم في معاملاته التجارية والاقتصادية عامة إلى أن يتحلى بالصفات الخلقية، الأمر الذي يجعل ممارسته تلك، ممارسة أخلاقية<sup>(2)</sup>.

وقد وجد "أبو اليقظان" ما يسند قناعته التي آمن بها بناء على الكتاب والسنة من ذلك قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً عَنْ تَرَاضٍ مِنْكُمْ﴾<sup>(3)</sup>، وقوله ﷺ: ﴿أَطِيبِ الْكَسْبَ عَمَلِ الرَّجُلِ بِيَدِهِ، وَكُلْ بَيْعَ مَبْرُورٍ﴾<sup>(4)</sup>، فكل هذه النصوص تدل في منطوقها على سبل الكسب المشروع.

ولم يكتف "أبو اليقظان" بالتوجيه إلى أسس التجارة الناجحة، وضرورة معرفة الحلال والحرام، بل ذهب إلى أبعد من ذلك حين دعا التاجر الأهلي إلى ضرورة الالتزام ببعض الواجبات تجاه تجارته، وإزاء من تحته من العمال، فمن الواجبات التي يجب أن يلتزم بها التاجر، أن يقوم بتسيير تجارته بنفسه، وألا يوكل بها إلى غيره إلا لمن يرى فيه صفات الثقة والأمانة، وأن يولي دكانه العناية التامة خاصة ما يتعلق بالناحية الجمالية<sup>(5)</sup>. وأما واجباته إزاء عماله فعليه:

- تعليمهم شؤون التجارة وفنونها.

- تعليمهم أمور دينهم.

- العناية بصحتهم<sup>(6)</sup>.

<sup>1</sup> أبو اليقظان، «تجارتنا وتجارتهم»، وادي ميزاب، ع4.

<sup>2</sup> أبو يحيى، ده محمد حسن، إقتصادنا في ضوء الكتاب والسنة، دار عمار للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط1، 1989 م، ص37.

<sup>3</sup> النساء، 29.

<sup>4</sup> أخرجه الإمام أحمد في مسنده من حد يث رافع بن خديج روى أنظر ابن حنبل، الإمام أحمد، مسند الإمام أحمد بن حنبل، ج4، دار الفكر، ط1، ص141.

<sup>5</sup> أبو اليقظان، «كيف يجب تسيير التجارة؟»، المغرب، ع5، (23-6-1930م).

<sup>6</sup> أبو اليقظان، «كيف يجب تسيير التجارة؟»، المصدر نفسه، ع8، (15-7-1930م).

فكما نلاحظ فإن "أبا اليقظان" يولي اهتماما كبيرا بالجانب الإنساني في معاملة الأجير، وهو تصور ينبع من صميم الإسلام الذي لا ينظر إلى الإنسان مجرد آلة عليها القيام بكل ما يوكل إليها من الأعمال، دون أن يأخذ في الاعتبار متطلبات الجسد الروحية والمادية.

ولن نبرح تفكير "أبي اليقظان" في الجانب الاقتصادي، دون أن نستكشف موقفه من الأزمة الاقتصادية التي عرفها العالم و"الجزائر" على وجه الخصوص، فبدأ من العدد الأول من صحيفة "المغرب" يستوقفنا اهتمام ملفت للنظر، بهذا الموضوع، فقد كانت الأزمة الاقتصادية عاملا هاما في توقف الحركة الاقتصادية، مما جعل المهتمين يفكرون في ضرورة إيجاد الوسائل الكفيلة للخروج من هذا الوضع.

ويرى "أبو اليقظان" كغيره من المختصين في عالم الاقتصاد أن أسباب الأزمة الاقتصادية كان ناتجا عن مشكلة التنافس الصناعي بين الدول، والزيادة في الإنتاج والمحصول الزراعي والصناعي، ما أدى إلى اختلال كفتي العرض والطلب<sup>(1)</sup>.

فالأزمة الاقتصادية في نظر "أبي اليقظان" - تبقى رهينة هذه الأسباب ما لم تخضع المشكلة لتفكير جدي من مسؤولي الدول، واكتفى الرجل بالإدلاء برأيه في هذا الإطار، بدعوة حكومة "الجزائر" أن تحذو حذو حكومة "فرنسا" لحل الأزمة، بأن تسمح للتجار بإرجاع ما استجلبوه من المحصولات الزراعية مقابل أخذهم ما تقاضته منهم الحكومة بواسطة الجمارك<sup>(2)</sup>، وهو ما حدث بالفعل كحل عملي لتفادي تطورات الأزمة.

1. أبو اليقظان، «الأزمة الاقتصادية» المغرب، ع1، (26-5-1930م).

2. أبو اليقظان، «الأزمة الاقتصادية» المصدر نفسه، ع2، (3-6-1930م).

والطريف في الأمر أن "أبا اليقظان" لم يكتف بمجرد الإشادة بالقرار المتخذ لحل الأزمة، بل ذهب إلى عرض مجموعة من النصائح للتجار والفلاحين بضرورة اتباعها في ظل هذه الظروف.

ومن هذه التوجيهات: التضييق قدر الإمكان من دائرة تجارتهم وعدم التوسع فيها لأن ذلك يؤدي إلى كساد البضائع وتراكمها، ومن ذلك ضرورة عدم اقتراض الأموال<sup>(1)</sup>.

لقد بدا "أبو اليقظان" من كل هذا أشبه ما يكون بالمرشد الاقتصادي الذي يفكر في كيفية توجيه أرباب الأعمال للحفاظ على أموالهم وممتلكاتهم، ويرشدهم إلى ما يجب أن يقوموا به في مثل هذه الظروف.

ويمكن القول في الأخير أن "أبا اليقظان"، ورغم افتقاره إلى ثقافة اقتصادية عصرية، فإن دعوته إلى إنشاء مصرف أهلي تعد بادرة هامة في عالم الاقتصاد الإسلامي، إذ كان في كل ذلك يؤكد على ضرورة تمسك التاجر بالمثل العليا في معاملاته التجارية بناء على ما قررته الشريعة الإسلامية.

1. أبو اليقظان، «الأزمة الاقتصادية»، المغرب، 2ع

## الفصل الثالث

الفكر الإصلاحى عند "أبى اليقظان"

فى المجال السياسى.

المبحث الأول: علاقة "أبى اليقظان"

بالسياسة وموقفه منها.

المبحث الثانى: قضايا وأحداث السياسة

الداخلية.

المبحث الثالث: السياسة الخارجية.

## تمهيد:

لم ينفصل الخوض فى السياسة مطلقاً، عن نشاط الحركة الإصلاحية، فقد رافق إصلاحاتهم فى المجالات الدينية والاجتماعية والثقافية، ويؤكد هذه الحقيقة أحد الدارسين بالقول: "والعلماء كانوا مصلحين بالمعنى الشامل للإصلاح، والإصلاح بالمعنى الشامل قد تبدأ بالثقافة أو الدين، أو بالمجتمع، ولكنه فى نهاية الأمر يغطي كل مظاهر الحياة فى مجتمع ما، بما فى ذلك السياسة، وهذا بالضبط ما حدث للإصلاح فى "الجزائر"<sup>(1)</sup>.

ولئن تظاهر المصلحون الجزائريون فى بداية حركتهم، بمجانبة السياسة، وأخذوا بنصيحة "محمد عبده"، عند زيارته "للجزائر" بضرورة مسالمة الحكومة الفرنسية وترك الاشتغال بالسياسة، والجد فى تحصيل العلوم الدينية والدينيوية<sup>(2)</sup>، فإن سيادة الوعي الثقافى وازدياد حدة الشعور الوطنى وبخاصة خلال فترة الثلاثينيات، قد جعل كثيراً منهم يقتحمون الميدان السياسى، ويتعاطون القضايا السياسية الوطنية، وقد برز هذا جلياً مع مواقف جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، رغم أن قانونها الأساسى كان ينص على ضرورة تجنب الخوض فى أمور السياسة، وتكثيف الجهود حول الإصلاح الدينى والاجتماعى والثقافى<sup>(3)</sup>.

ولئن كانت كتابات "أبى اليقظان" قليلة - فى هذا الإطار - من حيث الكم، بالمقارنة مع غيرها من الجوانب الاجتماعية والتربوية إذ يقر هو بذلك: «ومن أجل هذا كانت فصول أغلب صحفنا اجتماعية أكثر منها سياسية»<sup>(4)</sup>، فقد سجل على شاكلة غيره من المصلحين آراءه ومواقفه إزاء بعض القضايا والأحداث، وسنتطرق إليها فى هذه المباحث.

<sup>1</sup> سعد الله د، أبو القاسم، الحركة الوطنية الجزائرية، ج3، ص86.

<sup>2</sup> رضا، محمد رشيد، تاريخ الإمام الشيخ محمد عبده، ج1، مطبعة المنار، مصر، ط1، 1931م، ص873.

<sup>3</sup> أنظر نص القانون: سعد الله د، أبو القاسم، الحركة الوطنية الجزائرية، ج3، ص457.

<sup>4</sup> أبو اليقظان، أهدافى العليا بالعمل فى هذه الحياة، دون ترقيم.

## المنحى الأول: علاقة "أبي الیقظان" بالسیاسة وموقفه منها

یبدو أن علاقة "أبي الیقظان" بالسیاسة، وثیقة جدا، فقد تولد الشعور الوطنی لنیه، نتیجة عوامل متعددة، وهي:

أولا: علاقته الوطیة بالمجاهد اللیبی "سلیمان البارونی"، وقد كان لهذا الأخير أثر كبیر فی توجیه "أبي الیقظان" السیاسی.

ثانیا: تعرفه علی الشیخ "عبد العزیز الثعالبی"، أثناء تواجده "بتونس"، سنة 1917م أين تمكن من الانخراط ضمن التشیكلات الفدائیة السریة التي كان "الثعالبی" قد أنشأها للثورة ضد المستعمر فی الشمال الإفریقی\*.

ثالثا: واقع العالم العربی الإسلامی: فقد مكنه الاطلاع علی مختلف الصحف العربیة من التعرف علی الظروف السیاسیة التي كان يمر بها العالم العربی والإسلامی من مؤامرات استعماریة، "فكان یستفز الغیرة الإسلامیة ویحركها بین جنبیه ما یقرأه عن وحثیة الغزاة الإيطالیین فی "طرابلس"، وما تركته جیوشهم علی أرضها من ضروب الفتك والإبادة، كما كان یأسى متألما لما تتعرض له بلاد "البلقان" من حروب دامیة من طرف أعدائها الغربیین، تقلصت من جرائمها دولة الخلافة، وأصببت بالوهن والشیخوخة"<sup>(1)</sup>، وكان لذلك أثره العمیق فی إیقاظ الحس السیاسی والشعور الوطنی لدى "أبي الیقظان".

\* هذه التشیكلات كان هدفها الثورة علی الاستعمار، وكان عملها یقوم علی عملیات القتل والاعتقال وتخرب المؤسسات، بوقب نظام الحكم، أنظر: دبوز، محمد علی، أعلام الإصلاح فی الجزائر، ج3، ص233، وأبو الیقظان، نشأته، دون ترقیم.

<sup>1</sup> ناصر، د، محمد، أبو الیقظان وجهاد الكلمة، ص13.

رابعاً: الصحافة التونسية: شكلت الصحافة التونسية رافداً آخر في إنضاج فكر "أبي اليقظان" السياسي، فقد وجد فيها مجالاً واسعاً لعرض آرائه السياسية، وكانت جريدة "المنير" التونسية من أهم المنابر التي أولى من خلالها اهتمامه بالقضية الجزائرية، وقد تحدث "الجابري محمد صالح" عن قيمة كتابات "أبي اليقظان" – والتي كان ينشرها في شكل رسائل – بالقول أنها: "تحمل أهمية خاصة – في نظرنا – لأنها الرسائل الوحيدة التي انبثرت للتأكيد على الشخصية الجزائرية، وكانت البديل الذي أغنى الزعماء الآخرين على الانشغال بالقضايا التونسية انبثقت" (1).

من ذلك دعوته الملحة عبر صفحات جريدة "المنير" إلى الاعتماد على النفس والاتصاف بالوطنية والإخلاص، وأنصدق والثبات (2).

وعندما قامت السلطات الفرنسية بإصدار قرار منع رواج الصحف التونسية، كتب "أبو اليقظان" مندداً بهذه السياسة التي كان يرى فيها خطة مقصودة لضرب جدار من القطيعة بين "الجزائر" و"تونس"، وفرض حصار إعلامي على الشعب الجزائري، جاء هذا في قوله: «ليت شعري ما جناية هذا الشعب المسكين حتى استحق هذا الاستخفاف والازدراء، دون بقية الشعوب، هل جنايته كونه شعباً مسلماً معتدلاً ساكناً تحت راية العدالة والإخاء والمساواة، يحاول قراءة ما يكتبه أخوه ديناً، ولغة، وإقليماً، وجنساً» (3).

خامساً: الصحافة الجزائرية: منذ صدور أول صحيفة سنة 1847م، كانت الصحافة الجزائرية تعاني من واقعين، فإما أنها كانت تسير في فلك "فرنسا" تعبر عن إرادتها، وإما أنها كانت خاضعة لرحمة الرقابة الاستعمارية وصرامتها (4)، وعلى الرغم من هذا الواقع، فقد أبدى الكتاب مواقفهم السياسية بكل جرأة، من ذلك دعوة "أبي اليقظان" الملحة لمعاودة

1. الجابري، محمد صالح، النشاط العلمي والفكري للمهاجرين الجزائريين بتونس، ص 158.

2. ناصر، د، محمد، أبو اليقظان وجهاد الكلمة، ص 91.

3. الجابري، د، محمد صالح، النشاط العلمي والفكري للمهاجرين الجزائريين بتونس، ص 158.

4. ناصر، د، محمد، «الصحافة العربية» مجلة الثقافة، ع 28، فيفري، مارمن، 1974 من ص 50.

"الأمير خالد" في الانتخابات التي جرت عام 1921م، ومناشدته الجزائريين أن يشدوا من أزره، وقد عبر عن ذلك في قوله: « ما تزال الأمة في سبات عميق وظلام حالك، مادامت لم تعرف صديقها من عدوها، ومصالحها من فاسدها، فإذا أخذت تعرف ذلك وتحسن اختيارها لرجالها، فأبشر بأنها قد استيقظت من سباتها، وكما أن الجسد لا بد له من اللسان، واللسان لا بد له من الجسد، فكذلك "الجزائر"، لا بد لها من "الأمير خالد"، و"الأمير خالد" لا بد له من "الجزائر" »<sup>(1)</sup>.

وحيثما حاولت السلطات الاستعمارية الفرنسية تعميم مشروع "التجنيد الإجباري" على أبناء "الجزائر" بما فيهم أبناء "وادي ميزاب"، كتب "أبو اليقظان" منددا بهذا القرار، مؤكدا أن ذلك مناقضا لمعاهدتي 1853م-1882م اللتان تتصان على أن "ميزاب" بلاد حماية لا مستعمرة، وقد أكد إصراره هذا في قوله: « ولكننا نحتج ضد صنيعها هذا بكل ما لدينا من الحجج الشرعية ونحاكمها أمام الرأي العام الفرنسي، وأمام التاريخ ما بقي فينا رفق من الحياة »<sup>(2)</sup>.

فهذه العوامل مجتمعة كما رأينا ساهمت في إيقاظ الحس الوطني والسياسي لدى "أبي اليقظان"، وقد برز ذلك جليا من خلال صحافته، ومن بين ما كتب في هذا الإطار مقالا عن "الوطنية الحقة"، فقد ساعد الواقع الاستعماري على خلط المفاهيم، واستغلها بعض الجزائريين ممن انساقوا وراء وعود "فرنسا" لتخدير ضعاف النفوس، وكسب ثقتهم، فجاء مقاله موضحا لمعنى الوطنية « ليست الوطنية في تعديل القوام، وتحسين الهدام، والجري وراء القصف والمجون، إنما الوطنية شرارة نارية يقذفها الله في النفس، فيلتهب بها الدماغ، وترسل أشعة نورها إلى القلب، فتحرك حرارتها الأعضاء وتثير الأشعة الساطعة أمامها طريق العمل... »<sup>(3)</sup>.

1. أبو اليقظان، جريدة "الإقدام"، ع38، (5-8-1921م).

2. نفس المصدر والعدد.

3. أبو اليقظان، « الوطنية الحقة »، وادي ميزاب، ع52.

وبنفس الحدة واللهجة يتحدث عن معنى الحرية الحقيقية ويبرز موقفه بضرورة المطالبة بالاستقلال والانفصال عن "فرنسا"، بأن يكون للأمة الحق في حكم نفسها بنفسها، داخل حدودها الطبيعية بإدارة شؤونها، وخارجها بتمثيل نفسها لدى الأمم الأخرى (1).

فالرجل في كل هذا كان يرى من موقعه كصاحب رسالة سامية، وبما امتلكه من وسيلة لها قدرة التأثير، ضرورة إبداء موقفه من بعض المسائل السياسية، قصد توعية الجماهير وتعبئتها، وعدم ترك المجال للانتهازيين لخلط المفاهيم، وتشويهها، والتلاعب بعقول الجماهير، وهو في كل ذلك - فيما نعتقد - كان ينطلق من فكرة حرية الفكر، وحرية إبداء الرأي السياسي كحق مكتسب ومشروع، بمعنى ممارسة الحرية السياسية التي تعني انعدام "الرقابة على الفكر والنقد" (2).

على أننا نتساءل عن سبب تراجع الرجل عن موقفه هذا إلى لعن السياسة، فهل هي قناعة ترسخت لدى "أبي اليقظان" بضرورة الابتعاد عن الخوض في السياسة لعدم جدواها؟، أم أنه تعبير منه عن حالة التذمر من واقع حال دون حرئته في ممارسة حقه المشروع؟.

يتعرض "أبو اليقظان" في إحدى مقالاته إلى توضيح مفهوم السياسة في قالب هزلي ساخر، يتهم به على السياسة الاستعمارية التي جثمت على صدور الجزائريين، وكملت الأفواه، وحرمت الأفراد من أدنى حقوقهم المشروعة، فيقول: «قراءة الأجرومية \* سياسة، لما فيها من الأحكام الاستثنائية، و"ابن عاشر" كذلك بنواقض وضوئه، وحكمه العقلي سياسة، وقراءة الأربعين حديثاً النووية سياسة، الحاصل أن مفهوم السياسة واسع

1. أبو اليقظان، «ما هي الحرية الحقّة؟»، ولدي ميزاب، 26ع.

2. الفخري، د، أحمد شوقي، الحرية السياسية.... أولاً، دار القلم للنشر والتوزيع، الكويت، ط2، 1986م، ص15.

\* الأجرومية عبارة عن تخيص مشهور في النحو لابن أجرؤم (ت 723هـ)، أنظر: عاصي، د، ميشال، وبيدع يعقوب، د، راميل بيدع، المعجم المفصل في اللغة والأدب، ج1، دار العلم للملايين، بيروت، ط1، 1987م، ص44.

رحيب، كريم المائدة، موطأ الأكتاف، لا يجيب سائلا، ولا يرد مستجديا»<sup>(1)</sup>.

فالساسة كما يراها "أبو اليقظان" في قاموس الاستعمار، تتنوع وتستوعب كل المفاهيم التي قد تسيء من قريب أو بعيد إلى سيادته، وهذا المفهوم للسياسة، الذي انتهى إليه "أبو اليقظان"، ينسحب تماما على ما ذهب إلي "البشير الإبراهيمي"، وهو يتحدث عن السياسة الاستعمارية التي تتلون بكل لون وتتغير باستمرار، لتظل قادرة على احتواء تطورات الحركة الوطنية، وقد جاءت تعبيره بصيغة السخرية كما هو واضح في قوله بأن : «معناه غير محدود، ولا مستقر، يتسع إلى أقصى حدود الاتساع، فيحمل ما قارب، وما باعد، وما جانس، وما خالق، وما اطرده، وما شذ، ويضيق إلى أقصى حدود الضيق فتلوي مسالكه وتسد مجاريه وتتهافت أقيسته»<sup>(2)</sup>.

وعندما يتسفل مفهوم السياسة - عند الاستعمار - ويحرم المواطن من أدنى حقوقه الإنسانية في إبداء رأيه بحرية، فإن كلمة "السياسة" نتيجة الوضع الاستعماري، يتحول إلى معنى يحمل الرعب والهلع، ويثير الخوف في نفوس المشتغلين بها، الأمر الذي يجبرهم إلى الانصراف عنها، والزهد فيها، يقول "أبو اليقظان" واصفا هذا الواقع: «لا أنطق بها ناسيا، ولا أتوهمه، ولا أعمده، ولا أظنه، ولا أشك فيه، ولا أحدث به نفسي، ولا يخطر ببالي، ولا يقع في هاجسي ولا خيالي، فإن أرغمت، وأجبرت، وألجأتني الضرورة - لا قدر الله - واللهم يا لطيف على النطق به، فإني أستبدله -بال... بو.. لي.. تيك، إذ أن هذا اللفظ معناه الخاص في دائرته الضيقة المحدودة وحده الفصل بين ما هو من السياسة أستغفر الله وأتوب إليه وأقلع عن هذه الزلة، وما ليس منها»<sup>(3)</sup>.

<sup>1</sup> أبو اليقظان، «أعوذ بالله من السياسة... أديب و»، البستان، ع6.

<sup>2</sup> الإبراهيمي، محمد البشير، عيون البصائر، ص38.

<sup>3</sup> أبو اليقظان، «أعوذ بالله من السياسة... أديب و»، البستان، ع6.

وموقف "أبي اليقظان" المعادي للسياسة - في الظاهر - يشبه إلى حد بعيد موقف "محمد عبده"، الذي ذهب إلى حد لعنها\*، وتجنب التلطف بها، ونبذها، وقد جاء ذلك على لسانه بالقول: «فإن شئت أن تقول أن السياسة تضطهد الفكر أو العلم، أو الدين، فأنا معك من الشاهدين، أعود بالله من السياسة ومن لفظ السياسة ومن معنى السياسة، ومن كل أرض تذكر فيها السياسة، ومن كل شخص يتكلم أو يتعلم، أو يحن، أو يعقل في السياسة...»<sup>(1)</sup>.

والسياسة أيضا - في مفهوم الاستعمار - عندما تهدد مصالحه، وتزعزع استقراره، تغدو جريمة يعاقب عليها كل من سولت له نفسه الخوض فيها، وتعرضه لمخاطر كبيرة، والعقوبة عنده تتنوع بحسب الجريمة المرتكبة، «تلك السياسة التي أخاف منها، ولا أجد في التلطف بها رغم محاولتي عبثا- ذلك فإنها لاذعة، ولاذعة حقا، ويعاقب عليها القانون، عقوبة كبرى، وربما بالضرب بالسياط، من فوق الثياب أو بمباشرة الجسد، ونو سالت الدماء، إذ لا مسؤولية، وربما بالسجن لمدة أو مدد، وقد يكون ذلك في الحبس الابتدائي، وقد يكون في الثانوي الذي يحصل فيه الإنسان على لقب "الكابران" \*\*، أو "الكونترولور"\*\*\*»<sup>(2)</sup>.

وهذه هي خطة الاستعمار في البلدان المستعمرة، لأنه يعلم أنه في ظل الحرية السياسية، "تعم النهضة الفكرية والأدبية" ( )، وفي ظل أجهزة الرقابة والإرهاب يتوقف الفكر الحر وتتذلل كلمة الحق والحقيقة"<sup>(3)</sup>.

وقد تعرض "أبو اليقظان" لكل أنواع العقوبة، فلم يعصمه قلمه المستعار، ولا إسناد إدارة تحرير بعض صحفه إلى غيره، ولا لجوءه إلى أسلوب السخرية في الكتابة كلون من ألوان التفتيس عن سياسة القهر التي

\* عاب عليه محمد قناتش موقفه هذا وعده جهلا بأرقى فن من الفنون، أنظر قناتش، محمد، المواقف السياسية بين الإصلاح والوطنية في فجر النهضة الحديثة، ش، و، ن، ت، الجزائر، دط، ص 58.

<sup>1</sup> رضا، محمد رشيد، تاريخ الشيخ الإمام محمد عبده، ج 1، ص 891.

\*\* هي إحدى الرتب في الجيش.

\*\*\* كلمة تطلق على مفتش الضرائب.

<sup>2</sup> أبو اليقظان، «أعود بالله من السياسة... أديب و» البستان، ع 6.

<sup>3</sup> الفخري، د، أحمد شوقي، الحرية السياسية.. أولا، ص 39..

كان يعانيتها المصلح الجزائري، ونعتقد أن مثل هذا الواقع هو الذي جعل "ابن باديس" - خلال العشرينيات - يدعو رجال الأمة إلى تجنب الخوض في السياسة، فقد جاء على لسانه: "ولندع هذه الناحية، وما يضارها من كل ماله مساس بالسياسة، لأن ذلك خير في الجملة من تحطيم أعلامنا"<sup>(1)</sup>. وفي ظل هذا الواقع الذي تكبل فيه حرية المواطن، عن ممارسة حقه المشروع، ويعرض فيه إلى أقسى أنواع العقوبة، يعمل الاستعمار في الوقت ذاته، على نشر كل المفاهيم التي تكرس الخرافة والقبالية للاستعمار، حتى تظل العقول معطلة عن أداء وظيفتها في التمييز بين النافع، والضار، وهو ما عبر عنه "أبو اليقظان" بالقول: «وقد راجعت معيار العلوم "للغزالي"، والسلم وحواشيه في المنطق، فوجدت أن لفظ "البوليتيك" جامع مانع، ومطرد منعكس، يدخل فيه ما هو سياسي أو يخرج به أو عنه ما ليس بسياسي بخلاف اللفظ الآخر المشؤوم (السياسة)، فإنه يمتد ويسترخي، ويتمدد مثل الكاوتشو (أي المطاط)، ويتمطط قليل "امرؤ القيس" من شدة المعاناة، لما تمطى من صلبه»<sup>(2)</sup>.

ولفظ "البوليتيك" يحمل في دلالاته معنى الخرافة، والشعوذة، والتضليل وهي المفاهيم التي يسعى إلى تكريسها الاستعمار داخل البلاد المستعمرة حتى يحكم قبضته ويوطد أركانه، فلا تقوم للشعب بعد ذلك قائمة.

هذا هو - إذن - موقف الرجل من السياسة التي تعني تقييد حرية الإنسان من ممارسة حقه المشروع، وعليه "فأبو اليقظان" لم يعالج مفهوم السياسة معالجة نظرية علمية جادة، وإنما تطرق إليها كجانب قائم من جوانب الواقع الجزائري المتردي.

<sup>1</sup> ابن باديس، عبد الحميد، الشهاب، ج 1، مج 6، فيفري، 1930م، ص 34.

<sup>2</sup> أبو اليقظان، «أعوذ بالله من السياسة... أديب و...»، البستان، 6ع.

## المبحث الثاني : قضايا وأحداث السياسة الداخلية

تمهيد:

لقد أسفرت السياسة الفرنسية داخل "الجزائر"، عن قضايا عديدة، وأحداث كبيرة، تطلبت من المصنحين أن يحسموا فيها مواقفهم، وكان "لأبي اليقظان" في كل ذلك رأيه الذي عبر فيه عن وجهة نظر الحركة الإصلاحية، ومن بين الأحداث والقضايا السياسية التي كان لها حظ في كتاباته نذكر : قضية التجنس بالجنسية الفرنسية، التمثيل البياني ، المؤتمر الإسلامي.

أولاً: التمثيل النيابي:

لقد كان للوعي السياسي الذي تشبع به الجزائريون، خاصة فيما بعد الحرب العالمية الأولى أثرا كبيرا في ضرورة البحث عن الطرق المشروعة، والكفيلة للخروج من الأزمة، وكان "التمثيل النيابي"، أحد المطالب التي دعوا إليها للمساواة بينهم وبين الفرنسيين، باعتباره الوسيلة المثلى للدفاع عن حق الوجود في هذا الوطن.

وإذا كان هذا المطلب قد جاء بعد محاولات عديدة، فإن الإدارة الفرنسية سعت في كل الظروف كي تضع العراقيل في وجه الناخبين والمنتخبين من المسلمين الجزائريين لئلا يشكل هؤلاء خطرا على الأقليات

الأوروبية في "الجزائر"، فلكي يترشح الشخص لابد أن تتوفر فيه مجموعة من الشروط: كالإخلاص وضعف الشخصية والترديد البيغاني لأقواله الاستعماري<sup>(1)</sup>، وذلك بهدف إبعاد العناصر الجزائرية الكفأة، ومن ثم السيطرة على مناصب الحكم وتوجيه الأمور حسب الأهداف الاستعمارية.

وإلى جانب الشروط المتعلقة بالمرشح، فإن شروطاً أخرى وضعت أمام الناخبين: كأن لا يتجاوز سن الواحد منهم الخامسة والعشرين، وأن يكونوا مقيمين بالمنطقة البلدية منذ عامين على الأقل، إضافة إلى ضرورة أن تتوفر فيهم صفة العمل في الجندية البرية أو البحرية<sup>(2)</sup>، وغيرها من الشروط التي تصعب من إمكانية إلقاء الناخب برأيه واختيار الأمتل بحرية. هذه بعض الملابسات التي كانت تجرى فيها الانتخابات، وقد أدرك رجال الإصلاح الأهمية التي تكتسبها النيابة في حق الأمة، فشارك كل بآرائه ومواقفه في القضية.

والنائب كما يعرفه "أبو اليقظان" هو «الوكيل الرسمي لموكليه واللسان المعبر عما في ضميرهم، صوابه لهم وخطأه عليهم»<sup>(3)</sup>. فالنيابة من منظور "أبي اليقظان" تكليف وليست تشريفاً، بحكم أن النائب مسؤول أمام منتخبيه على نقل اهتماماتهم وانشغالاتهم إلى أصحاب القرار.

ولئن كان "أبو اليقظان" على وعي كبير بالأساليب المتلوية التي تستخدمها الإدارة الفرنسية، لتحويل أصوات الجماهير لصالحها، فقد كتب

<sup>1</sup> ناصر، د، محمد، المقالة الصحفية للجزائرية، مج 1، ص 345-346.

<sup>2</sup> المدني، أحمد توفيق، كتاب الجزائر، ص 279.

<sup>3</sup> أبو اليقظان، «الانتخابات المقبلة بوادي ميزاب»، وادي ميزاب، ع105، (19-10-1928م).

من باب التذكير متوجها ببناء إلى الحكومة الفرنسية مناشدا إياها أن تلتزم الحياد التام أثناء سير الانتخابات، وتترك الحرية التامة للأهالي لاختيار نوابهم يقول مؤكدا ذلك : « وأما واجب الحكومة فالحياد التام وإمساك أيدي الأعوان، عن تشويش حركة الانتخابات وعن تحويل مجراها الأصلي إلى عكس إرادة الأمة، ووقوفهم إزاءها موقف النزاهة التامة، فإن تدخلهم فيها، وشبح الشباك لاقتناص العقول، وابتياح الضمان، واستخدام السلطة، واستعمال القوة لترشيح الأميين، وإبعاد الأكفاء، وإقصاء الخبراء من كراسي النيابة، كل ذلك لا يدل على الحنكة والسياسة الرشيدة ولا على حسن النية»<sup>(1)</sup>.

وكما نبه " أبو اليقظان " الحكومة الفرنسية من نتائج تدخلها في سير الانتخابات، فقد كتب منبها أيضا الأمة الجزائرية بضرورة اختيار الأكفاء من أبناء الأمة والقادرين على تحمل الأمانة والمسؤولية، لتكون النيابة في مستوى طموح الجزائريين.

وقد رأى " أبو اليقظان " من نفسه إمكانية أن يوجه الجماهير إلى الأسس التي يجب أن يختار الشعب على أساسها نوابه، وإذا كانت الكفاءة السياسية من أهم الشروط الأساسية التي يجب أن تتوفر في المترشح، فهي غير كافية - في اعتقاد "أبي اليقظان" - إذ يرى ضرورة أن ترفقها مجموعة من الاعتبارات بأن يكونوا «متشبعين بروح التربية الصحيحة،

<sup>1</sup> أبو اليقظان، « الانتخابات الأهلية »، وادي ميزاب، 103ع.

والأخلاق الفاضلة، بصرف النظر عن قوة المال والجاه والشرف العائلي، فإن هذه لا دخل لها في النيابة إذا كان الرأس فارغاً، والنفس خاوية، والذمة خربة»<sup>(1)</sup>.

فالفكر اليقظاني يؤكد على الاعتبارات الأخلاقية، كأحد الضمانات التي تآمن غش الأمة، وتحفظها من الوقوع في شباك مراوغات السلطة الحاكمة.

وهذا الاختيار الصائب للنواب - في نظر "أبي اليقظان" - إنما يكون بالنظر في شخصية النائب وتتبع ماضيه، والتحري الدقيق في قدرته على تحمل مسؤولية النيابة، ولا يكون ذلك إلا بالتحلي بالموضوعية في البحث كشرط أساسي لاختيار الأمت، ذلك أن تحكيم العواطف والأغراض الشخصية كما يقول "أبو اليقظان" فهو: «تسليم في البضاعة ومساومة في الحقوق، وبيع بذات مصلحة الأمة والوطن، لا يقدم عليها إلا أحد ثلاثة: إما جاهل أبله، وإما خائن لأمته، وإما دخيل من أكفان الموتى»<sup>(2)</sup>.

ولكننا نتساءل هنا إلى من توكل مهمة البحث عن ماضي المترشح وأخلاقه؟، يقرر "أبو اليقظان" هنا بأن المهمة في ذلك موكولة إلى رجال الأمة من المصلحين في كل بلد، و الأقدر على القيام بهذه المهمة، والأصلح لأن يقرروا فيها إذا كان المترشح يصلح للنيابة أم لا ؟ يقول في ذلك: «لتعقد كتلة المصلحين من كل بلد اجتماعاتهم المتداولة في اختيار الأكفاء ( ) و لتشكل من كل عشيرة لجنة لتأييد من وقع عليه اختيار كتلة المصلحين وتعزيدهم بصفوفهم المتراصة»<sup>(3)</sup>.

<sup>1</sup> أبو اليقظان، « الانتخابات الأهلية » وادي ميزاب، ع103.

<sup>2</sup> نفس المصدر و العدد.

<sup>3</sup> أبو اليقظان، « الانتخابات المقبلة »، المصدر نفسه، ع105.

ويبدو أن "أبا اليقظان" قد أسس قناعاته بضرورة اختيار الأكفاء، بناء على الآثار السلبية التي تمخضت عن اختيار مثل غير الأكفاء « من ضياع الحقوق، و تلاشي المصالح وفوات الفرص، () وتهديد كيان الأمة، وفساد حالتها المادية والأدبية «(1)، والذي يرجع في الأصل إلى الاستهانة بأمر الانتخابات وأهميتها.

وقد كتب "محمد السعيد الزاهري" مؤكدا على النتائج السلبية التي انجر عنها اختيار غير الأكفاء لمتى هذه المهام، فقد انتقد على هؤلاء النواب ما جاء في قوله: "أن فيهم من لا يعرف كيف يضع إمضاءه بالقلم العربي بل إن أكثرهم - وهم ربع مجموع النواب - جاهلون لا يفقهون المسائل التي تطرح أمامهم للبحث، والمناقشة، فكثير منهم يرفعون أيديهم حين الاقتراع على شيء مصادقة على ما لا يعرفون "(2).

ويذهب "أبو اليقظان" إلى أبعد من ذلك في نظريته لتمثيل نيابي ناجح، بأن دعا الأمة بعد اختيارها لنوابها - إن هي وفقت إلى ذلك أن تشد من أزرهم، وتقف إلى جانبهم وتحمل معهم مسؤولية أعمالهم حتى يتمكنوا من القيام بواجبهم، بل كما يقول: « أن تحسن الظن بهم وتحتوهم بتقنتها وأن تتصحهم عن الخطأ بالأسلوب الحكيم «(3).

وعلى الرغم من هذا الطرح الجاد لتمثيل نيابي ناجح، فالعملية - في نظر "أبي اليقظان" - ليست بالهينة، بحكم ما كان يكرسه الواقع الاستعماري من مراوغات سياسية، فالنواب لا يمكنهم أن « يزيحوا هذه

1. أبو اليقظان، « الانتخابات المقبلة »، وادي ميزاب، ع105.  
 2. ناصر، د، محمد، المقالة الصحفية الجزائرية، مج1، ص353.  
 3. أبو اليقظان، « الانتخابات المقبلة »، وادي ميزاب، ع110، (30-11-1928م).

الأخطار بمجرد تعيين أشخاص بدار الندوة الفرنسية - البرلمان الفرنسي - ولا مجرد تأسيس هذه النيابة الأهلية هناك والأمة الجزائرية على ما هي عليه»<sup>(1)</sup>.

فهؤلاء النواب - كما يعتقد "أبو اليقظان" - وإن هم تمكنوا من الوصول إلى البرلمان فهم لا يشكلون كتلة ذات قيمة في البرلمان الفرنسي، تجعلهم يملكون القدرة على التعبير عن مشاكلهم، إن لم يكونوا في الأغلب الأعم بوقا يعبر عن إرادة "فرنسا"، يقول في ذلك: «وهل المرشحون أنفسهم من الأهالي لتبوا مقاعد النيابة أحرارا في مبادئهم، أم هم آلات صماء في أيدي الأحزاب الأوروبية تستعملها لخدمة سياستها وتأييد سياسة الاستعمار»<sup>(2)</sup>.

ومن ثم فلطالما انتقد سلوك مثل هؤلاء وعد ممارساتهم تلاعبا بمصالح الشعب والأمة «إن الأقوال الخلابة والكلمات المعسولة لا تصلح مقياسا للرجال القادرين فقد أرتنا التجارب أن الأقوال كالزبد سرعان ما يذهب جفاء لا يزيل ظمأً() وإنما المقياس الحقيقي للرجال هو الأعمال الجليلة والآثار الخالدة التي تبقى كالذهب على ممر الأيام والسنين»<sup>(3)</sup>، فهؤلاء كثيرا ما بذلوا الوعود الكاذبة، ورفعوا الشعارات البراقة حتى ما إذا استقطبوا أصوات الأهالي، ووصلوا إلى سدة البرلمان انقلبوا عليهم، وغدت مثل هذه التلاعبات أمرا معتادا مع كل عملية انتخاب، والأدهى من ذلك أن الأهالي ظلوا منساقين لمطالب المترشحين، فضاعت مصلحة الأمة باسم

1. أبو اليقظان، «السياسة الأهلية»، وادي ميزاب، ع66، (1928-1-20م).

2. أبو اليقظان، «كيف يغالطون في الحق»، المصدر نفسه، ع113، (1928-12-21م).

3. أبو اليقظان، «الانتخابات الأهلية»، المصدر نفسه، ع103.

الأمة، وخرجت الحكومة من كل ذلك منتصرة من تبعات ذلك وألقتها كلها على كاهل الأمة في شخص نوابها<sup>(1)</sup>.

وكل هذا في نظرنا- يوحى برفض "أبي اليقظان" للتمثيل النيابي والدخول في معترك الحياة الانتخابية ما لم تكن الأمة في مستوى الحدث ومقتضياته، واعتبارا من ذلك يرى أنه كي نجد تصوراته تلك بشأن الانتخابات وأقبعها العملي، لابد أن يكون الأهالي في هذا الميدان على قدر كبير من النضج السياسي، حتى يكون التمثيل في صالحهم، وأي محاولة للسعي للحصول على هذه النيابة قبل إعداد الأمة سياسيا، هو إلقاء بها إلى التهلكة، وإعطاؤها هذا الحق كإعطاء مديه في يد صبي، فهو قبل أن يزود به عن نفسه يعدمها به<sup>(2)</sup>.

ونخلص إلى القول أن الفكر اليقظاني يرفض دخول الأمة معترك الانتخاب الذي لا يقوم على أساس النضج السياسي، ولا يرفض المطالب ذاته كحق مشروع يكفل للجزائريين حق المطالبة بحقوقهم السياسية، وإمكانية اختيارهم الحر لمنتخبهم، والقادرين على تمثيلهم أحسن تمثيل.

<sup>1</sup> أبو اليقظان، «هل الانتخابات مسألة مصلحة أم مسألة ذات»، الأمة، ع3.  
\* كتب أبو اليقظان عدة مقالات في هذا السياق كاشفاً مهازل الانتخابات، فنظر فهرس المقالات: المبحث الثاني من الفصل الثالث

<sup>2</sup> أبو اليقظان، «السياسة الأهلية»، وادي ميزاب، ع66.

### ثانياً: قضية التجنس بالجنسية الفرنسية

يعتبر التجنس بالجنسية الفرنسية من القضايا التي أفرزتها سياسة الاستعمار الاندماجية في "الجزائر"، وهو تشريع يقضي بالسماح للجزائريين أن يتجنسوا بالجنسية الفرنسية، ليتمكنوا من التمتع بالحقوق المدنية والسياسية التي يتمتع بها المواطن الفرنسي، ومعنى هذا أن المتحصل على الجنسية الفرنسية يصبح خاضعاً في هذه الحالة للقانون الفرنسي بسهولة عندما يلتزم بالخروج عن أحكام الشرع الإسلامي<sup>(1)</sup>.

وقد تباينت المواقف حول هذه القضية، ففي الوقت الذي رأت فيه جماعة النخبة سبيلاً لنيل الحقوق السياسية، جاء الرفض القاطع لهذا القانون من طرف رجال الإصلاح، وأعلنوا حرباً حامية الوطيس ضد دعاة التجنيس، وحذروا من نتائج قبوله، وكانت الصحافة من أهم الوسائل التي عبروا فيها عن مواقفهم وأفكارهم التي أكدت دائماً على الذات العربية الإسلامية.

وكان "أبي اليقظان" حظه من هذه المسألة التي شغلت الرأي العام الجزائري، فقد عدها مؤامرة تهدد مقومات الشخصية الوطنية، ونحسب أن الدافع الذي جعل "أبا اليقظان" يدلي برأيه في الموضوع جملة من الأسباب: أولاً: سكوت كثير من العلماء عن إبداء رأيهم الشرعي في المسألة.

ثانياً: التطور الخطير الذي آل إليه هذا الأمر، خاصة وأن هناك من الجزائريين من وقع في شباك هذا الطعم، وجعل الكثير يباركه ويسعى لتبنيه<sup>(2)</sup>.

ونحسب أن هذين السببين هما دافع "أبي اليقظان" للإدلاء برأيه في مسألة التجنس، وليس الرغبة منه في إصدار الحكم الشرعي لأنه يجزم أن مجرد الكلام - كما يقول - «على مسألة التجنس وبيان فسادها

<sup>1</sup> المدني، أحمد توفيق، كتاب الجزائر، ص 350.

<sup>2</sup> أبو اليقظان، «رأينا في التجنيس»، وادي ميزاب، ع 70.

وخطورتها من الوجهة الدينية والوطنية، كالكلام على ظلام الليل، ومرارة الحنظل، وسم العقرب، وفرقة الديناميت»<sup>(1)</sup>.

وقد جاء موقف "أبي اليقظان"، من مسألة التجنيس واضحا وصريحا وحاسما، حيث اعتبر كل متجنس بالجنسية الفرنسية، كافرا مرتدا، عن الدين الإسلامي<sup>(2)</sup>.

وموقف "أبي اليقظان" المتمسم بالرفض التام لقانون التجنيس - فيما نعتقد - نابع من قناعته بالأساليب الملتوية التي كان ينتهجها الاستعمار الفرنسي مع الشعب الجزائري، في محاولة منه لسلكه عن جذوره العربية الإسلامية، لذا كانت ضرورة الفصل في هذا الموضوع من أوجب الواجبات.

وقد انطلق "أبو اليقظان" في تقريره لهذا الحكم الشرعي بناء على حكم الشريعة الإسلامية التي تصنف مثل هؤلاء المتجنسين في نفس مرتبة المرتدين، ولأجل التأكيد على ذلك استعرض بعض النصوص القرآنية كقوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَىٰ أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ، وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾<sup>(3)</sup>.

واعتبر "أبو اليقظان" هذه البلبلة هدف تسعى من خلاله "فرنسا" إلى فتنة ضعاف النفوس في دينهم، وشغل علماء الأمة بالمناقشة الجانبية حتى « لا يتفرغ الكل لإعداد وسائل الدفاع واسترداد حقوقهم المغصوبة، وحتى يبقى الجميع تحت أسر استعبادهم إلى الأبد إن تم لهم الأمر»<sup>(4)</sup>.

1. أبو اليقظان، « رأينا في التجنيس »، وادي ميزاب، ع70.

2. نفس المصدر والعدد.

3. المائدة، 51.

4. أبو اليقظان، « رأينا في التجنيس »، وادي ميزاب، ع70.

على أن هناك رأياً يخالف هذا الطرح الذي تبناه "أبو اليقظان" وفصل الموضوع بشأنه، فقد كتب "الأمين العمودي" مصرحاً بأن المسألة ليست بالشيء الهين الذي يرجع فيه الحكم إلى فرد واحد، إذ لا ضرورة أن يشغل المفكرون والعلماء أنفسهم بالبحث في تجنس الأفراد، على اعتبار أن هذا النوع من الأشخاص إنما يخدم مصالحه الشخصية، وعليه، فالواجب عليهم كما يقول: " أن يبحثوا في التجنيس ولياقته وحليته أو حرمة، ومنافعه أو مضارده، من حيث تعميمه وتطبيقه على سائر الشعب، فإن ألفوا في نصوص الشريعة رخصه، يتأتى بها للجزائريين الانخراط في الجنسية الفرنسية بدون أن يعد منهم ذلك ردة، أو مروفاً، أو انحرافاً عن الدين الصحيح، أعلموا بذلك ومهدوا لنا سبل التقدم، واكتساب الحقوق التي تنتفع بها خيراتهم دونهم، وإن وجدوا كل الأبواب مغلقة دون ذلك طرقتوا أبواباً أخرى سعياً وراء تحسين أحوال هذا الشعب من وجود عديدة"<sup>(1)</sup>.

"فإنعمودي" - إذن - يدعو مفكري الأمة وعلمائها إلى إيجاد مسوغات شرعية تمكن الجزائريين جميعاً من الحصول على المواطنة الفرنسية، دون أن يعتبر ذلك خروجاً على أحكام الشريعة الإسلامية، في الوقت الذي يرفض فيه "أبو اليقظان" أية مناورة - فيما يبدو - لقبول مثل هذا الطعم.

وقد يعود رفض "أبي اليقظان" لمسألة التجنيس برمتها، هو الخوف من أن يجد الجزائري - إذا ما هو قبل التجنس بالجنسية الفرنسية - نفسه غريباً عن وطنه، منفصلاً عن كل ما يربطه بأصوله العربية الإسلامية، من جهة، وبحكم انعدام الضمانات التي تحفظ للجزائري دينه ولغته وانتماءه، وهو تفكير صائب - فيما نعتقد - إذا ما قسناه بالنتائج الخطيرة التي انجرت عن تجنس بعض الجزائريين.

<sup>1</sup>. العمودي، الأمين، «التجنس والتفرنج»، جريدة "الإصلاح"، ع6، (24-10-1929م).

وبنفس الحكم الذي قطع به "أبو اليقظان"، أفتت جمعية العلماء المسلمين في ذلك، واعتبرت كل متجنس بالجنسية الفرنسية خارجا عن الإسلام، ونصت في هذه الفتوى بما يلي «إن التجنس بجنسية غير إسلامية، يقضي رفض أحكام الشريعة ومن رفض حكما واحدا من أحكام الإسلام عد مرتدا عن الإسلام بالإجماع، والمتجنس بحكم القانون الفرنسي يجري تجنسه على نسله، فيكون قد جنى عليهم بإخراجهم من حظيرة الإسلام»<sup>(1)</sup>.

وقد أعطت مثل هذه الفتاوي ثمارها، تجلى في نفور الجزائريين من هذا الطعم، وابتعادهم عن كل ما يمس مقومات الأمة .

<sup>1</sup> وزارة الشؤون الدينية، آثار الإمام عبد الحميد بن باديس، ج3، دار البعث، قسنطينة، الجزائر، ط1، 1984م، ص 308.

### ثالثا: المؤتمر الإسلامي

لقد تضافرت مجموعة من الأحداث لانعقاد المؤتمر الإسلامي الجزائري، وكان أغلبها ناتجا عن التحولات السياسية التي عرفتها "فرنسا" عام 1936م، والتي شكلت دافعا قويا لدى رجال الحركة الإصلاحية والوطنية في "الجزائر"، إلى ضرورة إيجاد الحلول للمطالبية بالحقوق التي حرموا منها لعقود طويلة.

ومهما يكن من خلاف حول من دعا إلى فكرة انعقاد المؤتمر الإسلامي، فإن هذا الأخير جاء كمحاولة لإيصال آمال الجماهير الجزائرية إلى السلطات الفرنسية، والتي كانت تمثله الجبهة الشعبية آنذاك. وقد شارك في المؤتمر كل التيارات السياسية - باستثناء نجم شمال إفريقيا - بكل من النواب والعلماء والشبان والشيوخ والاشتراكيون وحتى المرابطون<sup>(1)</sup>.

وفي ظل هذه الحركة النشيطة التي بدأت معالمها تدب في الأوساط الجزائرية، كتب "أبو اليقظان" مباركا هذا التكتل الذي وحد الأمة، وجمع شتاتها، وأكد في السياق نفسه أنه لا سبيل لنجاح القضية الجزائرية إلا في ظل وحدة أبنائها يقول في ذلك: «ظاهرة الوحدة التي تجلت في هذه الحوادث تجلي الشمس في رابعة النهار، التي تستحق كل عناية وتقدير، وتستوجب استفراغ الوسع، وبذل الجهد، في تغذيتها وتوثيقها، تلك الظاهرة التي لا تقوم للأمة قائمة، ولا تنال أي حق طلبته أو تطلبه ولا تعيش عيشه مرضية، إلا إذا اتخذتها شعارا تقدهه وقبله تتوجه إليها كل وقت وحين، وعلما تتضوي تحت ظله، ومنهاجا تسلكه لا تتكبر عنه بحال»<sup>(2)</sup>.

<sup>1</sup> سعد الله، د، أبو القاسم، الحركة الوطنية الجزائرية، ج3، ص156.

<sup>2</sup> أبو اليقظان، «إلى قادة الإصلاح»، الأمة، ع88، (1-3-1936م).

فالفكر اليقظاني - إذن - يؤمن تماما بأن الجهود إنما تكون ثمارها في إطار من الوحدة وتكاتف القوى، إذ في إطارها تطرح مشاكل الأمة للنقاش المتبادل، وهي ضرورة ملحة خاصة إذا ما استحضرننا الواقع الأليم الذي كانت تمر به "الجزائر" من استبداد سياسي وظلم اجتماعي، ما يجعل مثل هذه المبادرات الجماعية المنظمة أمرا أكيدا.

وعلى الرغم من أن "أبا اليقظان" لم يحضر أشغال المؤتمر ولا نقاشاته\*، فقد أكد على الوفد\*\* الذي اختير لنقل مطالب الجزائريين بضرورة الحذر، بحكم أن المسألة مصيرية «الموقف والله جل، والمسؤولية خطيرة، المسألة ليست مسألة سياحة، ولكنها مسألة شعب، مسألة أمة، مستقبل أجيال، فعسى الرؤساء، والزعماء قد أدركوا هذا جيدا، فلا يخطئوا التقدير في تقرير المصير»<sup>(1)</sup>.

ويبدو أن "أبا اليقظان" كان متحفظا كثيرا، وهو تحفظ في اعتقادنا نابع من شكوكه في سياسة "فرنسا" القائمة على الغش والمناورة، وعلى الرغم من جدية النقاش التي اكتتفت سير المؤتمر حول المطالب التي ستقدم للحكومة الفرنسية، فإنه لم يتردد مرارا أن يبدي تخوفاته من أن يكون في صلب تلك المطالب الغث والسمين، أو أن تكون صادرة نتيجة انفعالات نفسية شأنها في ذلك شأن المحبوس المكبوت حينما تباغته التباشير وتفاجئه هزات الفرع<sup>(2)</sup>.

ويضيف محذرا الوفد من أية مقايضة بمقومات الشعب، أو أن يتنازل عن بعض حقوقه ويقدم "ما حقه التأخير ويؤخر ما حقه التقديم، ويعظم ما حقه التصغير، ويصغر ما حقه التعظيم، ويكثر ما حقه النقل، ويقلل ما حقه التكثر، ولا يعلم ماذا يقصد، ولا ماذا يريد، وفي أمثال هذه

\* ظل أبو اليقظان يتابع سير الحدث إلى نهايته، أنظر: فهرس المقالات: المبحث الثاني من الفصل الثالث.

\*\* منهم: عبد الحميد بن باديس، فرحات عباس، البشير الإبراهيمي، ابن جلول، وغيرهم.

<sup>1</sup> أبو اليقظان، «حذار من الانحدار في هوة الاندماج»، الأمة، ع82، (7-21-1936م).

<sup>2</sup> نفس المصدر والعدد.

الظروف تظهر الحنكة والتؤدة، ويبدو فيهم الرجال من أشباه الرجال، وإنما تظهر المواهب والنوايا عند مسيس الحاجات"<sup>(1)</sup>.

وقد أكدت الأيام مخاوف "أبي اليقظان" التي اتسمت بالحذر من سياسة "فرنسا"، فقد ذهبت مساعي الجزائريين أدرج الرياح، وليس غريبا أن يسيء "أبو اليقظان" النية "بفرنسا"، ووعودها فقد كتب قائلا: «ومع هذا يلوموننا إذا نحن استرينا هذه السياسة، سياسة المطل والتسويق التي كانت تصلح عندما كان الشعب الجزائري صيبا من شأنه أن يتلهم باللعب والعلاقات ومعسول الأمان، ويتحاملون علينا إذا نحن دعونا للاعتماد على النفس، ونبذ التواكل الذي هو وسادة لينة لا يطلبها إلا من يميل إلى النعاس ( ) وليس من الغريب أن تسيء "الجزائر" المسلمة ظنها في تلك السياسة بعد أن أحسنته وأن نتني صدرها عنها بعد أن فتحت، وأن تقبض يدها بعد أن بسطتها، وأن تظهر من أمارات اليأس وعلائم القنوط ما أظهرته من توالي استعفاءات النواب، واعتزالهم سياسة التعاون والمشاركة مع الحكومة»<sup>(2)</sup>.

وبهذه الصراحة، يحسم "أبو اليقظان" موقفه النهائي من السياسة الفرنسية، وهو موقف يعبر في السياق نفسه عن قناعات رجال الحركة الإصلاحية، فقد كانت صور الظلم المسلطة على أبناء هذا الشعب أكبر من أن يكتم الرجل غيظه.

والواقع أن خيبة أمل "أبي اليقظان" في نتائج المؤتمر الإسلامي تشبه في التعبير عن مرارتها إلى حد بعيد ما تضمنه خطاب "ابن باديس"، بعد عودته من "فرنسا" والذي دعا فيه إلى الاعتماد على النفس، وقطع الأمل في عدل "فرنسا" وديمقراطيتها، يقول بهذا الشأن: "أيها الشعب إنك بعمالك العظيم الشريف برهنت على أنك شعب متعطش للحرية وهائم بها،

<sup>1</sup> نفس المصدر والعدد.

<sup>2</sup> أبو اليقظان، «الجزائر: القضية الجزائرية تدخل في فضاء من السراب فسيح»، الأمة، ع134، (17-8-1937م).

تلك الحرية التي ما فارقت قلوبنا، منذ كنا نحن حاملين للوائها، وسنعرف في المستقبل كيف نعمل وكيف نحيا ونموت لأجلها" (1).

هذه - إذن - مواقف "أبي اليقظان"، التي دلت على صدق آرائه، وأصالة انتمائه، وصراحته التي لم تعرف انمداهنة لسياسة "فرنسا"، وعلى الرغم من فشل المؤتمر الإسلامي فإن وحدة صانعي الحدث دلت على ظاهرة الوعي التي سرت جذورها بين أبناء الأمة، فقد شكل هذا المؤتمر جهازا سياسيا فوق الأحزاب حمل الإدارة الاستعمارية وجها لوجه مع الشعب ذاته لا مع القادة السياسيين على حد تعبير "مالك بن نبي" (2).

عبد القادر للعلوم الإسلامية

<sup>1</sup> الطالب، د، عمار، ابن باديس: حياته وأثاره، ج3، ص331-332.

<sup>2</sup> بن نبي، مالك، الصراع الفكري في البلاد المستعمرة، دار الفكر، دمشق، سورية، طهت، ص68.

## المبحث الثالث: السياسة الخارجية.

تمهيد:

على الرغم من اهتمام "أبي اليقظان" بقضايا وأحداث السياسة الداخلية "للجزائر"، فإنه لم يهمل في المقابل، أحداث وقضايا السياسة الخارجية، فلطالما انفعل معها، وعبر عن مواقفه تجاهها، عبر صفحات جرائده، وعلى الرغم من قلتها (المقالات) من حيث الكم، فقد أكدت على التواصل الموجود بين "الجزائر"، والعالم الخارجي، ويمكن أن نحصر كتابات "أبي اليقظان" في مجال السياسة الخارجية التي انصب اهتمامه حولها في العناصر الآتية:

أولاً: المغرب العربي.

ثانياً: قضية فلسطين.

ثالثاً: العالم العربي الإسلامي.

### أولاً: المغرب العربي:

لئن كان الحصار الذي فرضه الاستعمار على "الجزائر"، لمنع أي تواصل بين "الجزائر" والأشقاء في المغرب العربي، فإن ذلك لك يقف سدا منيعاً أمام "أبي اليقظان" ليشارك أشقائه واقعهم الأليم، تأكيداً على أن ذلك إنما يندرج ضمن رسالته الإصلاحية.

ونسجل هنا أن انشغال "أبي اليقظان" في هذا الإطار قد انصب على وصف الواقع السياسي لهذه البلدان، والتدبير بأشكال وصور عدوان الاستعمار الأوروبي، ونعتقد أن سبب ذلك مرده إلى أن من تولى الكتابة حول قضايا السياسة الخارجية على وجه الخصوص هو "سليمان بوجناح" الملقب "بالفرقد".

فقد جاءت كتاباته مؤكدة على الواقع الأليم الذي كان يعانيه المغرب العربي الكبير من التمزق، بسبب تكالب القوى الاستعمارية عليه، وسعيهم الحثيث الذي استهدف إضعاف معنويات المسلمين، وتفارقة جموعهم، وتشثيت شمل وحدتهم يقول واصفاً ذلك: «برح الخفاء وأصبحت إيطاليا ذات جرار في البر والبحر والجو "بطرابلس" يسامت "مصر" من الشرق، و"تونس" من الغرب، كما أصبحت هي و"ألمانيا" تأخذان مركزهما في "إسبانيا"، و"المغرب الإسباني"، بكيفية مهولة تهدد البحر الأبيض المتوسط، وشمال إفريقيا، و"إنجلترا" تلهو في "فلسطين"، و"فرنسا" تلعب في الشمال الإفريقي، تلك تجعل من "فلسطين" أتونا تتأجج، وجحيما يتلظى، وهذه تجعل من "مراكش" في المغرب "فلسطينا" في المشرق، ومن "تونس" أحزاباً يضرب بعضها رقاب بعض، ومن "الجزائر" صبياناً تلهيهم بعلاوات الوعود والأمانى»<sup>(1)</sup>.

<sup>1</sup> أبو اليقظان، «ماذا تريد إيطاليا بإنزال قواتها في طرابلس؟»، الأمة، ع142، (2-11-1937م).

ولئن جسد هذا الوصف معاناة بلدان المغرب العربي وغيره، فقد أكد "أبو اليقظان" على فكرة سياسة الاستيطان والتنافس الاستعماري التي كانت دائما أحد معالم الدول القوية، والتي أعادت إلى الأذهان مبدأ اقتسام ممتلكات الرجل المريض واستنزاف خيراته.

ولم تكن سياسة الاستيطان تخل من صور العسف وانظلم المسلط على المسلمين - في نظر "أبي اليقظان" - ولا أدل على ذلك سياسة الاستعمار الفرنسي تجاه أبناء "المغرب"، كلما لاحت لهم بوادر الانفراج «بينما أبناء "المغرب" الأحرار ينتظرون وهم على أحر من الجمر إنجاز الوعود وتنفيذ المطالب المستعجلة، وابتسام عهد جديد لسياسة اللين والعدل، وحسن المفاهمة، إذا هم يصطدمون بصخرة العسف والجبروت، حينما يمموا وجدوها تائهة أمامهم، وقد سدت عنهم منافذ الطرق، ومناهج الحياة»<sup>(1)</sup>.

ويكرس هذه السياسة أكثر عندما يتدخل المعمر، لفرض وجوده كعنصر داخل المستعمرة، فيلجأ إلى سن القوانين التي تخول له حق استنزاف خيرات البلاد والتحكم فيها، وإبادة الأهلي، إذا ما رأى فيه خطرا يهدد مصالحه، ويؤكد "أبو اليقظان" ذلك وهو يتحدث عن المؤامرات التي يحيكها المعمر ضد الأهلي المغربي بالقول: «فقد عودنا هؤلاء أنهم إذا أحسوا بعطف "فرنسا" على رعاياها، في المستعمرات وبلاد الحمایات أقاموا ضجة كبرى، وهولوا الأمر، بما أوتوا من حول وطول، هنا وفي "فرنسا"، دفاعا عن مصالح "فرنسا" العليا في الظاهر، ومحاماة عن مصالحهم الذاتية في الباطن، ولا يزالون كذلك ورؤوس الأموال تساندهم، حتى يصرفوا الحكومة عن وجهها، ويبقوا البلاد والعباد بقرة حلوبا يستغلونها بدون مراعاة لمصلحة البقرة، ولا لمصلحة صاحبة البقرة»<sup>(2)</sup>.

<sup>1</sup> أبو اليقظان، «على هامش حوادث المغرب: إذا كان العدل أساس الملك فالعسف ماذا؟»، الأمة، 143ع، (9-11-1937م).

<sup>2</sup> نفس المصدر والعدد.

ونعتقد أن مثل هذه المؤامرات التي كانت تحاك ضد الأهلي المغربي، لم تكن تختلف في أبعادها عما كان يلاقيه الجزائري في وطنه، فقد سلبه المعمر أرضه بالقوة، وسيطر على موارد البلاد وجعلها تحت تصرفه، وحتى عندما صدقانون التجنيس الذي يخول للجزائري الحصول على الجنسية الفرنسية، فإن المعمر الأجنبي وقف بالمرصاد لهذا القرار، حتى لا يتساوى مع الأهلي الجزائري، وبلغ أقصى صورته، أن الجزائريين الذين تمكنوا من الحصول على الجنسية الفرنسية لم تغير من نظرة المعمرين لهم، بل ظلوا في نظرهم كما يشير إلى ذلك "صلاح العقاد" ذلك الجنس المحتقر، جنس السكان الأصليين<sup>(1)</sup>.

ولا يلبث "أبو اليقظان" يؤكد على البعد الصيني لمثل هذه الحملات الاستعمارية في "المغرب"، والتي برزت معالمها - في نظره - في إقصاء الإسلام ومطاردة القرآن، وغزو الإيمان في قلوب أهله، إمعانا في تنفيذ سياسة التنصير، وهي في نهايتها كما يقول "أبو اليقظان": «امتداد طبيعي لسياسة صليبية صلبة لم تخرج عما يحدثنا به التاريخ في العهد البائد في القرون الوسطى»<sup>(2)</sup>.

وقد برزت معالم ذلك عندما أصدرت السلطات الفرنسية سنة 1930م مرسوما يرمي إلى فصل سكان المغرب من البربر عن الشريعة الإسلامية، واتخذت تدابير لنفس الغرض في المجال الثقافي، عندما لجأت إلى تأسيس المدرسة البربرية، ومنعت تعليم اللغة العربية وهكذا كانت الغاية مزدوجة وهي إخراج البربر من الإسلام، وتجريدتهم من جنسيتهم.

<sup>1</sup> العقاد، د، صلاح، المغرب العربي، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ط2، 1966م، 167.  
<sup>2</sup> أبو اليقظان، «على هامش حوادث المغرب: إذا كان في العدل أماس الملك فلحسف ماذا؟»، الأمة، ع143.

على أننا نشير أن البعد الصليبي ظاهرة عالمية لا تقتصر فقط على "المغرب"، فقد كان التعصب الديني السبب الجوهرى للغزو الأوروبى، ويؤكد هذه الحقيقة "محمد رشيد رضا" فى مقال له قائلاً: "فقد كانت المطامع السياسية فى معاملات الأوروبين مع الدولة العلية العثمانية دوما مشوبة بالتعصب الدينى الذمى"<sup>(1)</sup>.

وعلى الرغم من هذه السياسة الجائرة المسلطة على أمثال أبناء المغرب، فإن الرجل راح يتحدث هذه المرة بنبرة تفاؤلية تؤكد - فى نظره - أن التعسف والإرهاب الاستعماري إنما هي أحد العوامل لشحن عزائم المضغوط عليه، وتمرينه على العمل، فقد كتب مناشداً التونسيين بالألا، يضيّقوا بتلك السياسة، وما نزل بهم من الظلم والحيث، وألا يستلموا لذلك، ذلك كما يقول: «أنه مهما طال الليل فلا بد أن يعقبه نهار، ومهما اشتد العسر فلا بد أن يتبعه يسر، ومهما استحكمت حلقات المحن والمصائب فلا بد أن تتحل عقدها، ويحل الفرج محلها»<sup>(2)</sup>، وإلا فأى قوة فى الدنيا ترد الهلال عن الاكتمال، أو الطفل عن النمو»<sup>(2)</sup>.

ويبدو أن تنبؤات "أبى اليقظان" كانت فى محلها، فقد عرف المغرب العربى الكبير نهضة قوية مع ظهور الحركات الوطنية، التى كانت لسانا صادقاً عن آلام شعوبها، وبرزت معالم الكفاح والنضال أيضاً فى تشكيل الجمعيات والأحزاب السياسية، التى كثفت جهودها لمكافحة القوى الاستعمارية، وتوعية الرأي العام، ودعوته للمطالبة بالاستقلال.

على أن السير بالشمال الإفريقي -المغرب العربى- نحو الاستقلال - فى نظر "أبى اليقظان" - يحتاج إلى رأس مدبرة، توحد الصفوف، وتوثق أواصر التعاون والتضامن السياسى لمناهضة الاستعمار ومقاومته،

<sup>1</sup>. رضا، محمد رشيد، «الجيش الغربى المعنية فى الفتوحات الشرقية»، المنار، مج1، ج17، 1898-1899م، ص 301.

<sup>2</sup>. أبو اليقظان، «لابد للصبح من نهار: السياسة الرشيدة تحل محل العسف والإرهاب بتونس»، الأمة، ع76، (1936-5-26م).

ولا يصلح لذلك إلا شخص "عبد العزيز الثعالبي"، فقد وجد فيه "أبو اليقظان" الرجل الأليق للعمل نصالح الشمال الإفريقي.

فما إن عاد "الثعالبي" إلى "تونس" من منفاه، حتى خاطبه "أبو اليقظان" معلقا عليه الأمل في توحيد هذه الأمة وتخليصها من مخالب الاستعمار فكتب قائلا: « لا يعزب عن مدارككم العالية أيها الأستاذ أن الشمال الإفريقي بعدكم قد تطور أطوارا، وخطا خطوات، وسار أشواطا ذات اليمين، وذات الشمال، ولكنه في جميع أطواره وتقلباته، قد احتفظ بالبذرة التي بذرتموها بيدكم في الزمان الماضي، ولقد أسفر غبار هذه التطورات عن قوتين عظيمتين تتجاذبان زعامة النهوض به، قوة الشيوخ بتجاربهم، وقوة الشباب بنشاطهم، وقد كادت القوتان تمزقان جسم الأمة الإفريقية، فقوة الشيوخ وحدها رأس بلا جسد وقوة الشباب وحدها جسد بلا رأس، وفي وجودكم على رأس القوتين كفالة تامة لجمع أشلاء هذا الجسد وصيانتها من عوادي التبيد والتمزيق، وجعله صفا متماسكا مترابعا، وقيادته إلى حيث المجد والعظمة، والكمال في دائرة العروبة والإسلام»<sup>(1)</sup>.

وفي اعتقادنا- أن اختيار "أبي اليقظان" "للثعالبي" كي يحمل عبء هذا النضال - رغم وجود زعماء قادرين على القيادة أمثال "عبد الحميد بن باديس" و"إبراهيم بيوض"، وغيرهما- نابع من إيمانه بقدرة الرجل على قيادة الشمال الإفريقي لما له من تجربة ميدانية كبيرة، إذ كان على رأس التشكيلات السرية التي أخذت على عاتقها مهمة النضال في الشمال الإفريقي ضد الاستعمار، وما من شك أيضا أن "أبا اليقظان" كان على احتكاك كبير بالرجل ما جعله يرى فيه الشخص المناسب لهذه المهمة.

1. أبو اليقظان، «زعيم شمال إفريقيا المنتظر» الأمة، ع130، (1937-7-20م).

هذه هي- إذن - المحطات التي تناول فيها "أبو اليقظان" واقع المغرب العربي ولا نبالغ إذا قلنا بأن اهتمامه بهذا الجانب، لم يتعد القراءة الوصفية لما كان يعانيه أبناء هذه الأقطار، فقد اكتفى في أغلب الأحيان بالتنديد بممارسات الاستعمار الاستيطانية وكان في كل ذلك يؤمن بأن الاستعمار ظاهرة عابرة، يمكن أن تزول بتضامن أبناء هذه الأقطار وتوحدتهم.

الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

## ثانياً: قضية "فلسطين"

تعتبر قضية "فلسطين" من أصعب القضايا التي عرفها التاريخ، ومنى بها العالم الإسلامي، وكان لذلك أثر عميق في نفوس المسلمين، فقد كتب هؤلاء مدلين بمواقفهم ومنددين ومعارضين إزاء ما يحدث في المنطقة.

وقد بلغ اهتمام "أبي اليقظان" بقضية "فلسطين" مبلغاً كبيراً، كيف لا؟ وهي كما يقول: «مبعث أنوار الهداية، وجامعة السلام الأممية، ومهد الأنيان ومعراج سيد الوجود من الأرض إلى السماء»<sup>(1)</sup>، وقد برزت معالم عنايته بهذه القضية، في حرصه على نشر كل ما يتعلق بالحدث من الأخبار والمنشورات التي كانت تصدرها اللجنة الفلسطينية العربية، إلى ما كان يخص به تطورات الحدث من مقالات.

والحديث عن "فلسطين" في فكر "أبي اليقظان" يستدعي منا أن نعود إلى الخلفية التاريخية للقضية، حتى نتمكن من فهم أفكار الرجل والحكم له أو عليه في كل ذلك.

أ. الخلفية التاريخية لقضية فلسطين: برزت معالم المؤامرة على "فلسطين" مع ظهور وعد "بلفور" (balfour) على أن أطماع اليهود في "فلسطين" ارتبطت ارتباطاً وثيقاً بالحركة الصهيونية\*.

ولما كانت أنظار الاستعمار الأوروبي متجهة نحو الشرق، فقد ارتبطت مصالح الطرفين بضرورة إقامة وطن لليهود، تكون "فلسطين" المكان المناسب لذلك، وكان ظهور الحركات القومية في أوروبا عاملاً مهماً جعل زعماء الصهاينة يتجهون إلى إضفاء صفة القومية على حركتهم، فطالبوا بوطن قومي لليهود، ومنذ سنة 1882م بدأت جماعات من

1. أبو اليقظان، «فلسطين الدامية تنتصر لنفسها حين خذلها العالم»، الأمة، ع78، (9-6-1936م).  
\* ظهرت هذه الحركة بشكل واضح في أواخر ق19، في أعقاب حركات الاضطهاد والمذابح التي تعرض لها اليهود في دول شرق أوروبا وعلى وجه الخصوص في روسيا وكندا، ولم يكن هذا الاضطهاد بسبب الدين وإنما لأسباب اقتصادية وعنصرية، أنظر: السروخي، د، محمد محمود، «وعد بلفور والتنافس الدولي في المشرق العربي»، مؤتمر الحركات الهدامة في التاريخ الحديث قديماً وحديثاً، مج2، كلية الآداب، جامعة الزقازيق، 20-22 نوفمبر 1990م، ص2.

اليهود تهاجر وبأعداد قليلة من أوروبا الشرقية خاصة، واستقر بعضها أفرادياً، وبعضها أسس مستعمرات داخل المنطقة<sup>(1)</sup>، ورغم الحظر الذي فرضته الدولة العثمانية على دخول اليهود "فلسطين"<sup>(2)</sup>، فقد استمرت هجرتهم إليها.

ونظراً لما كان يتمتع به اليهود من نفوذ سياسي كبير في البلدان الأوروبية، فإنهم استغلوا هذا النفوذ لتحقيق أطماعهم في الأراضي المقدسة، وكانت الحرب العالمية الأولى فرصة سانحة لتحقيق هذا المطمح، حين وجدوا "بريطانيا" في حاجة إلى إعادتهم، وشرعوا يفاوضون الحكومة البريطانية لإضفاء صفة الشرعية على مطامعهم، وتوجت مساعيهم بإصدار تصريح رسمي اعترفت فيه "بريطانيا" بحق اليهود في إقامة وطن قومي في "فلسطين"، و"تعهدت بمنح يهود "فلسطين" جميع الحقوق السياسية والمدنية، وبفتح باب الهجرة لليهود، وبالموافقة على تكوين شركة احتكارية تكون لها الأولوية في تملك الأراضي والمشروعات الاستغلالية"<sup>(3)</sup>، وكان وعد "بلفور" ( balfour ) أكبر ضربة وجهت للعرب.

وقد لجأت السياسة البريطانية في هذا السبيل إلى العديد من أساليب المخادعة والتضليل وادعاء الحياد في النزاع العربي الصهيوني، وأصدرت في سنة 1922م، "الكتاب الأبيض"، الذي حدد الهجرة والذي لم يرم مطلقاً - في نظرها- إلى تسهيل إيجاد أكثرية يهودية في "فلسطين"<sup>(4)</sup>.

<sup>1</sup> شاليل جيرار ، المقاومة الفلسطينية ، ترجمة صباح كنعان، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، ط1، 1970م، ص29.

<sup>2</sup> الجمل، د، شوقي عطاء الله، « الحركة الصهيونية وانعكاساتها على العالم العربي والإسلامي »، مؤتمر الحركات الهدامة في التاريخ الحديث قديماً وحديثاً، مج2، ص95.

<sup>3</sup> يحيى، د، جلال، فلسطين والاتجاهات الدولية، منشأة المعارف ، الإسكندرية ، دط دم، 1965م، ص22.

<sup>4</sup> شاليل جيرار ، المقاومة الفلسطينية، ص33.

وبرز العداء العلني بين أبناء "فلسطين" واليهود، عام 1929م، إثر حادث المبكى وهو حائط له قداسته عند المسلمين لارتباطه بحادثة الإسراء والمعراج، كما أنه مقدس عند اليهود لأنه من بقايا هيكل "سليمان" يحجون إليه ويكون عنده، وقد أدت هذه الاضطرابات إلى سقوط العديد من الأرواح من الجانبين.

وأمام تطورات الوضع أرسلت الحكومة البريطانية لجنة تحقيق برلمانية برئاسة "والتر شيلد" ( walter-child ) لبحث أسباب الاضطرابات، فقررت هذه الأخيرة في تقرير لها بوجوب تنظيم الهجرة اليهودية وتحديد كثافتها<sup>(1)</sup>، وتعهدت "بريطانيا" بتنفيذ توصيات هذه اللجنة، غير أنها تراجع عن قراراتها أمام ضغط اليهود، واستمرت الهجرة اليهودية إلى "فلسطين".

وتظاهرت "بريطانيا" بالعمل على إيجاد حل نهائي لمشكلة "فلسطين"، فعرضت فكرة تقسيمها إلى دولة عربية وأخرى يهودية، يتمتع كل منهما بالحكم الذاتي في ظل الانتداب البريطاني، إلا أن هذه الفكرة وجدت مقاومة عنيفة من طرف الفلسطينيين، وعاودت "بريطانيا" الكرة عندما تبنت مشروع "بيل" (peel) بتقسيم "فلسطين" إلى دولة يهودية وأخرى عربية تتوحد مع إمارة شرق "الأردن" وبقاء الأماكن المقدسة تحت الانتداب البريطاني<sup>(2)</sup>، وظلت هذه المبادرة تعرف مقاومة شديدة، وبقيت المنطقة تعرف اضطرابات متوالية حتى قيام الحرب العالمية الثانية أين استحال "فلسطين" إلى ميدان حرب وأعقبها قيام دولة "إسرائيل".

<sup>1</sup> الجمل، د، شوقي عطاء الله، « الحركة الصهيونية وانعكاساتها على العالم العربي والإسلامي »، مؤتمر الحركات الهدامة قديما وحديثا، مج2، ص110.

<sup>2</sup> يحي، د، جلال، فلسطين والاتجاهات الدولية، ص230.

ب. قضية "فلسطين" في فكر "أبي اليقظان": بناء على ما سبق فالمؤامرة على "فلسطين" في نظر "أبي اليقظان" - ليست وليدة ظروف أنية، بل إن أصولها تعود إلى عقود طويلة غيرت من أوضاعها وقلبته رأساً على عقب، وجعلتها كما يقول: «مستعمرة لا كالمستعمرات وميداناً للفتن لا كالميادين، ومسرحاً للقلقل لا كالمسارح»<sup>(1)</sup>.

والواقع أن موقف "أبي اليقظان" من القضية لم يتضح جلياً، إلا عندما انفجر الوضع بين اليهود والعرب سنة 1929م، حول ما يسمى "حائط المبكى"، وهنا يؤكد أن ما حدث بـ"فلسطين"، لا علاقة له بأي بعد ديني كما يزعم بذلك اليهود، وإنما هي - في نظره - أطماع الصهيونية في إثارة مثل هذه الفتن كخطوة ممهدة لامتلاك "فلسطين" على أنها أرض الميعاد يقول مؤكداً ذلك: «إن من يمعن النظر في قوادم المسألة وخوافيها، يجد أن المسألة ليست مسألة المبكى والبراق، وإنما حقيقة المسألة هي السرطان الصهيوني الناشب مخالفه في غلصمة العام الظاهرة عوارضه الراهنة في فردوس الإسلام وجنته الأرضية، ومقر أنبياء الله "فلسطين"»<sup>(2)</sup>.

"فأبو اليقظان" يرفض البعد الديني في القضية، ولا يرى له أدنى تبرير أمام مساعي الصهيونية لتهويد "فلسطين"، وقد أكد هذه الحقيقة أحد المفكرين عندما كشف خيوط المؤامرة على "فلسطين" بالقول: "إن الحكومة الإنجليزية من عهد ابتكار "اللورد بلفور" (متعمدة حشر ما يمكن حشره من اليهود في "فلسطين" لأجل إيقاد نار الفتنة بينهم وبين العرب بوازع الدين في الفريقين ومساعدة اليهود على العرب لأجل جعل المنطقة من بلاد العرب يهودية بريطانية"<sup>(3)</sup>.

1. أبو اليقظان، «مسألة فلسطين»، ميزاب، 1ع.

2. نفض المصدر والعدد.

3. رشيد، محمد رضا، «فتح اليهود لباب الفتنة في القدس»، المنار، مج29، ج6، (14-10-1928م)، ص416.

ويؤكد "أبو اليقظان" على حقيقة أخرى، من أن اليهود لم يكن باستطاعتهم الوصول إلى تحقيق أطماعهم في "فلسطين" لولا "بريطانيا"، التي لطالما شجعت هذه الفئة المشردة على تكوين وطن قومي، وتأكدت هذه المؤامرة بتصريح "بلفور" (balfour) يقول في ذلك: «ففي الوقت الذي تقطع فيه -"فلسطين"- على نفسها عهدا جديدا يجعلها مع شقيقتها إمبراطورية عربية مكافأة "للشريف حسين" \* على ما قام به في وجه دولته "تركيا" أمام محنتها، في هذا الوقت نفسه، عينه كانت تقطع على نفسها عهدا آخر يجعلها وطنا قوميا "بلفور" وقومه تحت وصايتها بموجب عقد من جمعية الأمم»<sup>(1)</sup>.

وكل هذا يؤكد تأثير اليهود وضغطهم الشديد الذي تكفل بإقامة وطن قومي "بفلسطين"، ومن ثم فإن تظاهر الحكومة البريطانية بإرسال لجان التحقيق في كل مرة لحل مشكلة "فلسطين" لا أساس له من الصحة وهو ما وضحه "أبو اليقظان" في قوله: «إن حكومة الإنجليز تعرف كل شيء وتعلم سائر الأسباب والمسببات في هذه المسألة، بإرسال لجنة التحقيقات ومواصلة البحث والتتقيب فيما هو ظاهر إلا ذر الرماد في العين وخلق الأسباب للتقهقر بانتظام حسب مقتضيات السياسة، وإلا فما أغنى "إنجلترا" عن هذا العناء بسلوك خطة العدل والإنصاف، وإزالة جرثومة المسألة من أصلها - إلغاء وعد "بلفور" - كما يراه كثير من عقلائها الفضلاء، وكما هو الضالة المنشودة للمسلمين كافة»<sup>(2)</sup>.

وسياسة الحكومة البريطانية، وغيرها من السياسات - في اعتقادنا - هي ظاهرة عامة كلما تعلق الأمر بنزاع بين المسلمين وأعدائهم، وهي سياسة لم تخرج عن فكرة المماطلة والتسويق التي عهداها المسلمون في كل حقبة من حقبات التاريخ.

\* يقصد بذلك معاهدة "حسين-مكماهون".

1. أبو اليقظان، «فلسطين الدامية: تنتصر لنفسها حين خذلها العالم!»، الأمة، ع78، (9-6-1936م).

2. أبو اليقظان، «مسألة فلسطين»، ميزاب، ع1.

ورغم أن وعد "بلفور" ( Balfour ) ، الذي قضى بتسليم "فلسطين" إلى اليهود، يعد من الضربات الكبرى التي تلقاها المسلمون، فإن "أبا اليقظان" اعتبر هذا الحدث عاملاً مهماً - أيقظ العرب من غفلتهم، ووجد شعور المسلمين، ونبههم إلى واجبه، وجمع شمل أمرانهم يقول في ذلك: « وأي مصيبة جمعت بين أمراء الإسلام ورعاياهم في الرأي وبين المسلمين والمسيحيين في الكلمة، غير هذه المصيبة التي في طيها نعم لا تحصى »<sup>(1)</sup>.

وأمام ذلك راح "أبو اليقظان" يبارك اتفاق الأحزاب في "فلسطين"، ويؤكد لهم على ضرورة الاتحاد، فكتب داعياً إلى ذلك «يجدر بكم وبأمثالك من الزعماء، والرؤساء، وأعيان البلاد أن تأووا إلى ركن من الاتحاد والوئام شديد، فإن الأمر جد وليس بالهزل، إذ الساعة رهيبة، واليوم عبوس قمطيرير، فلا ينفع فيه مال ولا بنون، إلا من أتاه بقلوب متألفة، ونفوس متلاحمة وأفكار متمازجة، وأسنة متوافقة »<sup>(2)</sup>.

فهذا الخطر الذي داهم المسلمين - في اعتقاد "أبي اليقظان" - هو الذي أدى إلى تحكيم العقل والحكمة الرشيدة، وجمع الكلمة، ودفن الأحقاد والضغائن، ومع ذلك يعود ليؤكد على ضرورة الوحدة، والحذر من مغبة الخلاف الذي لا يؤدي بالأمة إلا إلى الدمار، ولا يزيد طوائفها، وأحزابها، وقبائلها إلا تفرقا، وهي الفرص التي يتحيناها الاستعمار<sup>(3)</sup>.

وفي خضم هذا الاستبشار باتفاق أحزاب "فلسطين"، الذي حمل معه استهانة "أبي اليقظان" بقوة "بريطانيا"، ونوايا اليهود، لتهود "فلسطين"، كان قرار التقسيم من أكبر الصدمات التي هزت الكيان العربي والإسلامي، وتجاوزت المؤامرة الدولية كل التصورات، وذهبت "فلسطين" كما يقول "أبو اليقظان": « ضحية هذا الخطل والخطأ، على مرأى ومسمع من

<sup>1</sup> أبو اليقظان، « فلسطين الدامية: تنتصر لنفسها حين خذلها العالم!»، الأمة، ع78.

<sup>2</sup> أبو اليقظان، « من الفرقة والخصام إلى الألفة والوئام فهل من مذكر»، المصدر نفسه، ع47، (1935-10-22م).

<sup>3</sup> نفس المصدر والعدد.

جمعية الأمم حامية الضعيف، بل على مرأى ومسمع من أربعمائة مليون من المسلمين»<sup>(1)</sup>.

هذه جملة أفكار "أبي اليقظان" حول قضية "فلسطين"، والتي أكدت إيمان الرجل بالواقع والمصير المشترك للبلدين، وكشفت القناع عن كل مما يدور في مسرى الرسول ﷺ، وعن أطماع الصهيونية وخطرها على العالم الإسلامي.

<sup>1</sup> أبو اليقظان، «فلسطين: إنكلترا تقاوم إرادة الله»، الأمة، ع125، (15-6-1937م).

### ثالثاً: العالم العربي الإسلامي:

على الرغم من قلة المقالات الصحفية التي كتبها "أبو اليقظان" في هذا الإطار\*، فيمكن القول أن الرجل، أكد من جهته أن اهتماماً آخر قد أولاد لقضايا إخوانه في المشرق العربي، فالواقع مشترك ورابطة الدين واللغة والانتماء، كلها دوافع تستدعي مثل هذا الاهتمام، تأكيداً على ارتباط "الجزائر" بهذا الجزء الكبير المترامي الأطراف.

فحين اشتد الخلاف في "مصر" بين حزب الوفد المصري، وانقصر\*\* عام 1938م، وهو صراع كان قائماً حول قيادة البلاد، أين تمكن الناصر آنذاك من تولي زعامة الحركة الوطنية باختفاء شخصية الملك "فؤاد" الاستبدادية، البغيضة لدى الشعب، وتولي ابنه القاصر "فاروق" العرش، وكان أن اتجهت كل القوى التي التفت حول الملك الجديد إلى تقديمه في صورة محببة لدى الجماهير الشعبية، وخلق نوع من العداء ضد حزب الوفد<sup>(1)</sup>.

في خضم هذا الصراع المحتدم، أبدى "أبو اليقظان" من كل هذه الأحداث استنكاره لمثل هذه الخلافات، واعتبرها من أهم العوامل التي تسببت في "مصر" ومؤشراً قد يؤدي إلى توهين أركان الدولة، خاصة وأن الخلاف كان بين الإخوة المصريين ذاتهم، لا بين المصريين وأعدائهم إذ لو كان الخلاف - في نظره - خارجاً لأمكن ذلك.

ولم يستبعد "أبو اليقظان" أن تكون خلف هذه الخلافات الداخلية التي تشهدها "مصر" أيد أجنبية من مصلحتها أن تستمر نار الفتنة بين الوفد

\* فمعظم ما كتبه أبو اليقظان هو من قبيل الأخبار والتعليق.  
\*\* تأسس الوفد المصري في 13 نوفمبر سنة 1918م برئاسة سعد زغلول، وأصبح فيما بعد حزباً سياسياً منظماً، ونص قانونه على السعي بالطرق السلمية المشروعة حيثما وجد للسعي سبيلاً، في سبيل استقلال مصر استقلالاً تاماً، أنظر: أنطونيوس، جورج، نهضة العرب، دار العلم للملايين، بيروت، ط8، 1987م، ص30.  
1. رمضان، د، عبد العظيم، الصراع بين الوفد والعرش، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط1، 1979م، ص13.

والقصر على السلطة، حتى ما إذا سنحت الفرصة سمحت لنفسها بالتدخل في شؤون الدولة، لذلك كتب مناشدا الإخوة المصريين بضرورة تجاوز مثل هذه الخلافات « فليفكر المصريون في ذلك وليمنعوا النظر فيها هنالك لأن قضية "مصر" وانهايار بنيانها - لا سمح الله- ليس بالعملية الخاصة بأرض الكنانة، بل هي ضربة قاضية على مستقبل العروبة، بل الشرق والشرقيين، ولا شك أن هناك عملا وراء الستار يقوم به بعض الأجانب لغاية إخفاق "مصر"، وتشتيت شملها بعد وحدتها، وتحقيق كبوتها بعد عزتها»<sup>(1)</sup>.

والواضح أن "أبا اليقظان" - فيما يبدو - لا يقصد بالأيدي الأجنبية سوى "بريطانيا"، فهي التي من مصلحتها أن يشتد الخلاف بين حزب الوفد المصري والقصر، وهو المدخل الوحيد المتاح لها للتدخل مرة أخرى في شؤون "مصر" الداخلية، بعد أن تغير وضعها السياسي، واعترفت فيه "بريطانيا" باستقلالها، وانتهاء احتلاله.

وفي الوقت الذي ناشد فيه "أبو اليقظان" الإخوة المصريين بضرورة تجاوز هذه الخلافات، كتب مشيدا بحزب الوفد المصري، وأرجع إليه الفضل في إنقاذ مصر من نير الإنجليز، وعبر في الوقت نفسه عن استيائه مما آل إليه أمر الحزب من الضعف يقول: «وإنما الدهش والاستغراب في تضاول حزب الوفد، ووهن وضعف عزيمته بعد أن علم المفرد، والجمهور أنه الروح المسخرة في جسم "مصر" وقلبها النابض ومنه تؤلف الأغلبية بالبرلمان المصري»<sup>(2)</sup>.

لقد اكتفى "أبو اليقظان" من كل هذه الأحداث بتحذير المصريين من النزاع ونتائجها، دون أن يحاول توضيح أسباب الخلافات التي نشبت بين حزب الوفد والقصر، وإلى خلفيات تراجع حزب الوفد.

وهو أمر في غاية الأهمية بالنسبة لحزب قاد البلاد إلى الاستقلال، على أننا نعذر الرجل فقد تكون الظروف السياسية التي كان يمر بها العالم

<sup>1</sup> أبو اليقظان، « الصراع في مصر بين حزب الوفد والقصر»، الأمة، ع150، (11-1-1938م).

<sup>2</sup> نفس المصدر والعدد.

أذاك من الأسباب الهامة التي حالت دون التتبع الدقيق لكل الأحداث. وصور الشك التي اعترته حين أكد أن أيد أجنبية من وراء خلافات "مصر" خامرته أيضا عندما تم عقد معاهدة بين "اليمن" و"إيطاليا" عام 1926م، وأبدى شكوكه صراحة على أن المعاهدة وإن كانت تحمل طابعا اقتصاديا في الظاهر فإنها في الوقت نفسه تحمل أبعادا سياسية خطيرة يقول مؤكدا ذلك في قوله: «وإذا كان لابد من أحد الخطرين، خطر الأجنبي وخطر "ابن السعود" فما هو الأخف ضررا على الإسلام والمسلمين؟، وإذا فرضنا خروج "اليمن" من قبضة إمامها الحازم فما هو الأسهل وقعا في نفوس المسلمين أخرجوها إلى يد غريبة مخالفة لها في الدين، واللغة، والجنس، أم إلى يد موافقة لها فيها؟»<sup>(1)</sup>.

فموقف الرجل المعادي لأي شكل من أشكال الاستعمار -فيما نرى - هو الذي جعله لا يقبل أية مصالححة مع العدو، ولذلك فهو لا يرى بأسا أن تخضع "اليمن" لحكم دولة مسلمة مثلها على أن تقع في أيد أجنبية كافرة، وهو موقف -فيما نعتقد- نابع من قناعة الرجل بأن أطماع أوروبا الاستعمارية لا يمكن بأي حال من الأحوال تجاهلها بمجرد ربط علاقات صداقة بينها وبين الدول الإسلامية، خاصة مع الثورة الصناعية التي عمت أرجاء أوروبا والتطور الذي رافق المكتشفات العلمية، ما جعل الأوروبيين يفكرون في البحث عن أماكن أخرى لتسويق منتجاتهم. ومن بين ما كتب عنه "أبو اليقظان" مشكلة "لواء الإسكندرون"، وهي تعتبر من أعسر ما واجه المسلمين، وقد وردت أول إشارة إلى "لواء الإسكندرون"، كمنطقة متنازع عليها في الكتاب الذي أرسله "الشريف حسين" إلى "هنري مكماهون" (HENRY MC MAHAUN) سنة 1915م، حيث اقترح هذا الأخير فصل المنطقة عن "أنطاكيا"، غير أن هذا الاقتراح قوبل بالرفض.

<sup>1</sup> أبو اليقظان، «ماذا يخفى الغرب للشرق؟: المعاهدة اليمنية الإيطالية»، وادي ميزاب، ع23، (11-3-1927م).

وعندما عقد الحلفاء معاهدة الصلح مع الدولة العثمانية سنة 1920م (معاهدة سيفر)، تنازلت الدولة العثمانية على منطقتي "الإسكندرون"، و"كيليكييا" مما أثار بعض الأتراك من الاتجاه الطوراني، والتفوا حول "كمال أتاتورك" ورفضوا بذلك معاهدة "سيفر"، وظل الصراع الدولي حول المنطقة محتدماً بتدخل الحلفاء، دون أن يتمكن أي طرف من حل مشكل المنطقة<sup>(1)</sup>.

وكان "أبو اليقظان" في كل هذا لا يؤمن بنوايا "فرنسا" والإنجليز، في سعي كل منهما لتمتين علاقاتها بحكومة "أنقرة" دون أن تحمل هذه النوايا أطماعاً استعمارية وقد صرح بذلك في قوله: «إن الفرنسيين كالإنجليز ليسوا فقط بعيدين عن فكرة ترمي إلى مناورات الترك لأجل خلاف فرعي لا يمس مصالحهم إلا بصورة غير مباشرة، بل إنهم شديدي الميل إلى توثيق عرى التفاهم والصدقة بينهم وبين حكومة "أنقرة"»<sup>(2)</sup>.

ويؤكد "أبو اليقظان" على أن مثل هذا الخلاف السياسي داخل "مصر" والمناورات التي يتحين فرصها الاستعمار هنا وهناك للإيقاع بالدول الإسلامية، ما هي إلا نتيجة طبيعية لعامل التفرق بين أقطار هذا الوطن، ولذلك كتب مذكراً زعماء هذه الدول بواقعهم المزري الذي تعيشه شعوبهم والذي لم يستفد منه سوى الغرب «فلقد أرتنا الظروف مغبة هذا الانفراد، والانزواء، واختلاء ذناب الاستعمار بقطعان من أغنام الأمم الضعيفة وما انجر عن ذلك من الولايات والمصائب، وقد ذاق أبناء الغرب لذة الغنائم الباردة، فكانت سياستهم نحو الأمم المغلوبة على أمرها مؤسسة على قاعدة فرق تسد»<sup>(3)</sup>.

<sup>1</sup> عن تفاصيل هذا الصراع أنظر: الكيالي، د، عبد الوهاب، موسوعة السياسة، ج3، المؤسسة الوطنية للدراسات والنشر، بيروت، ط1، 1981م، ص492-493.

<sup>2</sup> أبو اليقظان، «الاتجاه السياسي في الشرق الأدنى»، الفرقان، ع2، (12-7-1938م).

<sup>3</sup> أبو اليقظان، «سياج جزيرة العرب»، وادي ميزاب، ع50، (23-9-1927م).

ومن ثم فقد عكف الرجل على تحذير المسلمين من التماذي في أشكال الفرقة منبها إياهم من نتائج التعادي والتباغض التي كانت عليها حكوماتهم وشعوبهم من التنافر والتدابير، وناشد أن تكون «روابط الدين والجنس واللغة والواقع المشترك»<sup>(1)</sup> الحافز لتجاوز مثل هذه الخلافات.

لقد تجلت خطط الاستعمار ومحاولاته للسيطرة على المسلمين، في تشجيع كل مبادرة من شأنها تشتيت المسلمين وتعميق هوة الخلاف بينهم، إذ أن «كل سعي من شأنه جمع المسلمين وضم شتاتهم وتوحيد كلمتهم، يعد - في نظرهم- جريمة كبرى ومناقضا لمصالحهم، والساعي فيه يسمونه بميسم العدو اللدود، ويعملون على حصد شوكة، وتوهين قوته، وتطويقه بدائرة حديدية تحول دون أعضائه، وسواعده ما وجدوا لذلك سبيلا، وبالعكس كل من سعى لتبديد شمل أمته ويعمل لفت سواعدها وقتل روح الحياة، والنهوض فيها فهو الصديق المخلص يستحق كل تشجيع وكل تحميد وتقديس»<sup>(2)</sup>.

والمحاولات الاستعمارية لا تتوقف عند حد هذه المناورات بل إنها تتعدى أساليب أكثر نجاعة وفاعلية، للإجهاد على المسلمين، من ذلك أن الغرب لم يعد يفكر في استعمار الدول باستخدام قواته العسكرية وإنما أصبح يتذرع بذرائع أخرى ليتحكم فيها ويجهز على العالم العربي الإسلامي كإقامة علاقات صداقة معهم، واستثمار أموالهم داخلها، واستغلال الضغائن المتوارثة بين أبناء المسلمين لبث دعايتهم وسموم المدنية الغربية بينهم<sup>(3)</sup>.

1. أبو اليقظان، «إلى أين نسير؟»، وادي ميزاب، ع45، (19-8-1927م).

2. أبو اليقظان، «سياح جزيرة العرب»، المصدر نفسه، ع50.

3. أبو اليقظان، «ماذا يخفى الغرب للشرق»، المصدر نفسه، ع18، (1-28-1927م)، وأبو اليقظان، «التمدن الممسوخ»، المصدر نفسه، ع72، وأبو اليقظان، «الإسلام بين شقي المقرض»، المصدر نفسه، ع88، (5-22-1928م)، وأبو اليقظان، «الإسلام يحتضر والمسلمون يهزلون»، المصدر نفسه، ع17.

ولا يفتأ "أبو اليقظان" أمام هذه السياسة الغربية يدعو زعماء المسلمين إلى الوحدة والتضامن فيما بينهم<sup>(1)</sup> لمواجهة القوى الاستعمارية، وكان يرى في أمراء الجزيرة العربية قدرتهم على صد مثل هذه الأطماع «إن لكل من أمراء الجزيرة قوة لا يستفيد أحدهم بها من الآخر ما دام منفردا في حيزه منزويا في داره ولكن بتعاونهم وتبادل المصالح بينهم تتضامن القوات وتتماسك أجزاءها ( ) فإننا نرى من المحتم وقد قربت الأبعاد وطويت المسافات الشاسعة، السعي الحثيث من كل جانب لعقد حلف ودي بينهم يوطد علاقاتهم وينظم طرق التعاون بينهم ويوحد أهواءهم، لكي يتسنى لهم أن يسيجوا جزيرتهم بسياج من المنعة ( ) حتى يقطعوا أطماع الأجانب، وأغراضهم السيئة نحوهم»<sup>(2)</sup>.

وفي خضم هذا الواقع راح يؤكد إمكانية تفويت الفرصة على قوى الغرب من تحقيق أغراضها لا اعتقاده أن الجزيرة وأمرائها يملكون من القوة ما يساعد على تعاونهم واتحادهم، خاصة مع بوادر اليقظة التي يشهدها الشرق «فلتبشر أوروبا بأن شرق اليوم غير شرق الأمس ( )، وليدأب ابن الشرق الناهض في سيره واسع الخطى إلى الأمام، ولكن في دائرة الإسلام العزيز، فإن الحرية والسعادة في انتظاره هناك»<sup>(3)</sup>.

ويحمل كلام "أبي اليقظان" أهمية كبرى، فكل ما نأشده فيما يبدو - أن تقوم بين الأقطار العربية الإسلامية نوعا من الرابطة السياسية، يكون الإسلام في كل ذلك موجهها، وهي الدعوة التي نادى بها "جمال الدين الأفغاني" من قبل فقد تاق أن يقوم المسلمون بتكوين جامعة إسلامية على أن يكون القرآن الكريم سلطان جميعهم، يقول في ذلك: " أليس لهم أن يتفقوا على الذب والإقدام، كما اتفق عليه سائر الأمم ( )، فيقيمون بالوحدة سدا منيعا يحول عنهم هذه السيول المتدفقة عليهم من جميع الجوانب، لا ألتمس

1. أبو اليقظان، «إنما المؤمنون إخوة»، وادي ميزاب، ع116، (11-1-1929م).

2. أبو اليقظان، «سياج جزيرة العرب»، المصدر نفسه، ع50.

3. أبو اليقظان، «ماذا يخفى الغرب للشرق»، المصدر نفسه، ع18.

بقولي هذا أن يكون مالك الأمر في الجميع شخصا واحدا فإن هذا ربما كان عسيرا، ولكن أرجو أن يكون سلطان جميعهم القرآن ووحدتهم الدين " (1).

وتكريسا لهذه القناعة، فلطالما وجدناه يثور على المسلمين بلهجة عنيفة، من تخاذلهم لإعزاز الإسلام والذود عنه ، في الوقت الذي يتحد فيه الأعداء على ضربه وقمعه، مشيرا أن الإسلام ليس في حاجة إلى التكاثر منه بالقدر الذي هو في حاجة إلى إسعافه، يقول في ذلك: « إن الإسلام في حالة احتضاره ليس في حاجة إلى الاستكثار من عدد المنتسبين إليه، ولا إلى توسيع خريطته خيالا ووهما، فإن هذا لم ينقذه ولن ينقذه مما هو فيه من الضعف والوهن وإنما هو في حاجة أكيدة إلى إسعافه بالأدوية الناجعة، إلى العدة اللازمة، والقوة العتيدة من المال والعلم والثقافة الإسلامية » (2).

ومساهمة منه في تصعيد إيمانهم بدينهم، كتب عدة مقالات عن القرآن الكريم، بين فيها مكانة القرآن في نفوس السلف الصالح، وكيف أصبح مهينا في نفوس من جاء بعدهم، وأكد على أن ارتقاءهم لن يكون إلا بما كان عليه سلفهم من الولاء للقرآن باعتباره مرجع الإسلام، وبين ضرورة اهتمامهم به بالدفاع عنه ضد أعدائه، بتكوين الجمعيات، والعمل أيضا على نشره وتعهده بالحفظ والدراسة، والتيقن بقدرته على حل مشاكل البشرية ونهضتهم السياسية (3).

وفي خضم الاستبشار بيقظة العرب والمسلمين، راح "أبو اليقظان" يعدد بوادر هذا المستقبل الذي بدأت معالمه تظهر في أقطار الأمة العربية الإسلامية، من قيام الحركة الوهابية في "الحجاز"، إذ عدها حركة قومية إسلامية بيدها بعث الشعور بالذات في شبه الجزيرة العربية (4)، كما استبشر بما يقوم به "الإمام يحيى" في سبيل النهوض ببلاد "اليمن"، وإحياء مجد

1. الأفغاني، جمال الدين، عبده، محمد، العروة الوثقى، دار الكتاب العربي، بيروت، ط3، 1983م، ص112.

2. أبو اليقظان، « الإسلام يحتضر والمسلمون يهزلون »، وادي ميزاب، ع17.

3. أنظر: - أبو اليقظان، « القرآن بين الأمس واليوم »، النبراس، ع2.

- أبو اليقظان، « القرآن بين الأمس واليوم »، المصدر نفسه، ع3، (4-8-1933م).

- أبو اليقظان، « القرآن بين الأمس واليوم »، المصدر نفسه، ع4، (11-8-1933م).

4. أبو اليقظان، « الحركة الوهابية »، وادي ميزاب، ع10، (30-12-1926م).

الإسلام والمسلمين، كما كتب عن مساعي "الإمام الخليلي" في إعادة مجد "عمان"<sup>(1)</sup>، وهو ما يفسر تتبع الرجل لكل الخطوات التي تخطوها "عمان" في بناء ذاتها<sup>(2)</sup>.

هذه مجمل المحطات التي تناولها "أبو اليقظان" بكل ما يرتبط بالعالم العربي الإسلامي، وعلى الرغم من عدم تعمقه في تناول هذه القضايا إلا أنه أكد على شعوره القومي تجاه إخوانه في المشرق العربي، فقد ناشد أن تنشأ بين أقطاره رابطة سياسية تقوم على أساس من القرآن الكريم، وأن يتجاوز حكامهم الخلافات التي تضر أكثر مما تنفع، وجسمت بذلك أفكاره بحق ما تعانيه أقطار الأمة العربية الإسلامية.

1. أبو اليقظان، «الإصلاح في الحجاز»، وادي ميزاب، ع26.  
 2. أنظر: - أبو اليقظان، «تعاقد ديني بحكومة عمان»، المصدر نفسه، ع37، (25-6-1927م)  
 - أبو اليقظان، «أنباء عمان»، المصدر نفسه، ع55.  
 - أبو اليقظان، «أنباء عمان»، المصدر نفسه، ع57، (17-10-1927م).  
 - أبو اليقظان، «أنباء عمان»، المصدر نفسه، ع58، (25-11-1927م).

# التحفة

جامعة الأمير عبد القادر العظم الإسلامي

لا شك أن البحث هو خلاصة لمجموعة من الأفكار، وقد تمكنا من خلال التتبع لمختلف جوانب الفكر الإصلاحى "أبى الیقظان" أن نقف على النتائج التالية:

فلقد أكد التتبع الدقیق لمقالات "أبى الیقظان" على شمولیة تفكیره الإصلاحى، واتضح لنا أن زوايا الإصلاح -كما كان یراها الرجل- كل متكامل لا تتحصر فى جانب دون آخر مما یوحى بتجاوز الرجل للنظرة الأحادیة للإصلاح والتي وقع فیها قبله بعض المصلحین، والذین حصروه إما فى جانب العقیدة أو السیاسة أو الثقافة.

فلقد جاء اهتمامه بالمجال التربوی والثقافى، تأكیدا منه على أن هذا الجانب یشكل المنطلق الأساسى لأیة نهضة اجتماعیة أو سیاسیة، وقد وافقت قناعته هذه قناعات رفقاءه فى الإصلاح، "كعبد الحمید بن بادیس"، و "البشیر الإبراهیمی"، "وإبراهیم بیوض" وغيرهم ما یدل على أن أفكار الجميع كانت تنطلق من نظرة موحدة، وقد برزت معالم اهتمام "أبى الیقظان" فى هذا الإطار على ضرورة بعث جهاز التریبة والتعليم كعمل مواز لمخططات الاستعمار، وإحیاء اللغة العربیة باعتبارها لغة القرآن، ومقوما من مقومات الأمة، والعمل على استغلال الصحافة كقناة فعالة فى التعبئة الجماهیریة لما لها من سرعة التأثير والانتشار.

وتفكیره فى المجال الاجتماعى أكد أيضا إیمانه بضرورة النهوض بالمجتمع وتخلیصه من المظاهر السلبیة والانهازامیة، وبناء الفرد الجزائرى فى أبعاده الفکریة والروحیة.

وحرصه الشدید لمقاومة كل ما یمس المرأة ویحط من شأنها جسمت قناعته بدورها الفعال باعتبارها حاضنة الجیل وحامیته.

ودعوته لتنشئة الشباب على أساس من التریبة السلیمة القائمة على معرفة مقومات الأمة من دین ولغة وتاریخ، وتحصینه ضد التيارات الوافدة،

منطلق من إيمانه بالدور المحوري الذي يمكن أن تقوم به هذه الشريحة في الدفاع عن الدين والوطن.

وإصراره على ضرورة الترفع عن ترديد شعارات التفارقة القائمة على الإقليمية والمذهبية والعمل على توحيد الشعب دليل إيمانه العميق أنها صمام الأمان الذي يحمي الأمة من التفرق.

وكانت آراؤه في المجال الاقتصادي بضرورة إنشاء مصرف أهلي مواز للمصارف الأجنبية وبعث التجارة الأهلية بادرة عبرت عن إيمانه بإمكانية النهوض بهذا القطاع والتخلص من التبعية الأجنبية.

وقد دل اهتمامه أيضا بقضايا وأحداث السياسة الداخلية، كمسألة التجنس، والمؤتمر الإسلامي، والتمثيل النيابي، على أنها في تفكير "أبي اليقظان" كل لا يتجزأ ما جعلنا نفند كل ما يثار ضد رجال الحركة الإصلاحية في الجنوب، والذي يتهمهم بحصر اهتمامهم في قضايا المجتمع الميزابي، ويغيب دورهم وانشغالهم بالاهتمام بقضايا الجزائر عامة.

وكان محور السياسة الخارجية مظهرا آخر أكد إيمانه بوحدة الوطن العربي الإسلامي الكبير.

لقد قام تفكير "أبي اليقظان" في كل هذا على أساس من عمليتي التخلية والتولية، وارتبط همه بالسعي لإبراز أسباب الانهزامية التي أصابت الفرد والمجتمع على السواء وإيجاد الحلول الكفيلة لبناء المجتمع الأفضل والتخلص من الهيمنة الاستعمارية، وقد بدا ذلك في ثورته على التعليم الفرنسي، ودعوته الملحة لإقامة منظومة تربوية موازية، وضرورة حماية اللغة العربية، والتصدي لكل الآفات والمظاهر السلبية التي تكرر الانهزامية في المجتمع، وقاوم مخططات الاستعمار الرامية لتغريب الشباب، والداعية لتفكيك شبكة العلاقات الاجتماعية، وكانت مساهمته في كل ذلك فعالة.

كما نجزم أن الرجل كان أصيلاً في أفكاره، إذ لم تكن بمعزل عن مرجعية الأمة القائمة على الكتاب والسنة، والتي لا تعارض فكرة الاستفادة من المكتسب البشري ما يجعلنا نعتبره امتداداً للتيار الإصلاحى الحديث الذى قاده "محمد عبده"، و"محمد رشيد رضا"، ومثله فى الجزائر "عبد الحميد بن باديس"، و"إبراهيم بيوض"، و"البشير الإبراهيمي" وغيرهم.

- وقد جسدت أفكاره فى كل ذلك استقلالية تفكيره، وهو وإن وافق فى أفكاره فى كثير من الأحيان أفكار بعض رفاقه فى الإصلاح "كعبد الحميد بن باديس"، و"الإبراهيمي"، و"إبراهيم بيوض"، فإنه فى الوقت ذاته ورغم تأثره بالكثير من أقطاب الفكر والإصلاح أمثال "عبد العزيز الثعالبي" و"الباروني" و"محب الدين الخطيب" باعتراف منه، إلا أن أفكاره ظلت حبيسة قناعاته، ومبادئه وسجلت حضوره المتميز، شهد له بذلك من عاصره، ومن جاء بعده إذ لم يكن ينتظر من أحد أن يرغمه على القول الفصل فى مسألة التجنس برده صاحبه، ولم يدفعه آخر إلى الدعوة بضرورة إنشاء مصرف أهلي....

- وعلى الرغم من كونه إباضى المذهب، ميزابى المنشأ إلا أن أفكاره لم تكن حبيسة رقعة جغرافية معينة- إلا عرضاً- وإنما كانت موجّهة إلى كل الجزائريين، فقضية التجنس بالجنسية الفرنسية لا تهم أبناء "وادي ميزاب" فقط، والمؤتمر الإسلامى لم يكن ليشغل تفكير أبناء الشمال الجزائرى فحسب، وإنما هى قضية الجميع، ما يستوجب الاهتمام بها.

ونعتقد أن الرجل فى كل هذا كان بحق رجل فكر إصلاحى قبل أن يكون رجل صحافة، وساهم إلى حد بعيد فى إثراء الفكر الإصلاحى فى الجزائر بأفكاره وأرائه.

ولا ندعى فى الأخير أن البحث قد استوفى جميع جوانب تفكير "أبي اليقضان" الإصلاحى، إذ يبقى المجال مفتوحاً لمن أراد أن يستقرب أفكاره، ويستكشف ما غاب، وحسبى أننى اجتهدت ورفعت بعض ما غيب فى حق الرجل، والله نسأل التوفيق، والله من وراء القصد.

زكية منزل غرابة.

# ملاتقى

جامعة الأميرة نورة بنت عبدالرحمن  
العلوم الإسلامية



ملحق رقم 01  
صورة للشيخ "أبي اليقظان"

















جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

بدر

## تراجم الأعلام

- إبراهيم بن صالح بوسحابة ،الحاج:  
هو المعلم الأول "لأبي اليقظان" في المرحلة الابتدائية ،عرف بدمائه الخلق وحسن العشرة وحزمه وحكمته في التربية أنظر:دبوز ،محمد علي،أعلام الإصلاح في الجزائر ،ج1،ص257 .
- إبراهيم بن كاسي،الحاج:  
أحد كبار العزابة و إمام مسجد "بالقرارة" أنظر: دبوز ،محمد علي ، أعلام الإصلاح في الجزائر ،ج1 ،ص263،و دبوز ،محمد علي،أعلام الإصلاح في الجزائر،ج3،ص259.
- ابن عاشر ،عبد الواحد بن أحمد :  
ولد سنة 484هـ ،يعتبر رأس المفتين في زمانه بالأندلس ،من مؤلفاته كتاب أسماء "الجامع البسيط"، توفي قبل إكماله، أنظر : الزركلي،خير الدين،الأعلام:قاموس لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين،ج3، دار العلم للملايين ،بيروت،لبنان،ط1 1986م.،ص247.
- أبو إسحاق، إبراهيم بن محمد بن يوسف اطفيش :  
ولد 1886م من علماء "بني يسجن" ، "بميزاب" ،أخذ مبادئ العلم بمسقط رأسه ،بعدها سافر إلى "تونس" ،ليستزيد من العلوم العقلية، أصدرت ضده "فرنسا" حكم الإبعاد عن "تونس"، فاختر التوجه إلى "القاهرة" وهناك أصدر مجلة "المنهاج" ،توفي سنة 1965م .أنظر: جمعية التراث ، معجم أعلام الإباضية ،ج2،ص44 وما بعدها ، و دبوز ،محمد علي ،نهضة الجزائر الحديثة و ثورتها المباركة،ج1، ص289-380.
- اطفيش ، محمد بن يوسف ، الشيخ :  
ولد سنة 1821م بمدينة "بني يسجن" وبها نشأ و تعلم ، أحد علماء الإباضية و من رجال النهضة الإصلاحية الحديثة " بالجزائر"، من مؤلفاته "هيمن الزاد ليوم المعاد" في التفسير و"كتاب التيسير" و "شرح النيل وشفاء العليل" توفي سنة 1914م ، انظر: نويهض، عادل ، معجم أعلام الجزائر من صدر الإسلام حتى العصر الحاضر ، مؤسسة نويهض الثقافية ، بيروت ، ط3 ، 1983م، ص19-20-21، و دبوز، محمد علي،نهضة الجزائر الحديثة و ثورتها المباركة،ج1،ص133، و أعرش، بكير بن سعيد ، قطب الأئمة حياته وآثاره الفكرية ، المطبعة العربية ، غرداية، ط1، 1991م ، ص، 57-58 .
- أبو عبد الله ، محمد بن بكر بن أبي بكر بن يوسف الفرستائي النفوسي :  
ولد سنة 956 م ، يعد أحد أقطاب الإباضية في المغرب ،ومن أبرز المصلحين في المجالين الديني و الاجتماعي، أخذ مبادئ العلوم في مسقط رأسه ، بعدها تنقل بين عدة مدن للاستزادة من الفنون على يد أكابر العلماء في زمانه ، وهو مؤسس حلقة العزابة من مؤلفاته كتاب "التحف المخزومة"

توفي سنة 1049م. أنظر :جمعية التراث،معجم أعلام الإباضية،معجم أعلام الإباضية من ق1هـ إلى ق15هـ،ج4،المطبعة العربية،غرداية،الجزائر،ط1، 1999م،ص772 وما بعدها .

■ أبو اليقظان ، محمد بن أفلح بن عبد الوهاب بن عبد الرحمن بن رستم :  
خامس الأئمة الرستميين ،و واسطة العقد عددا ، ولد "بتيهت" نشأ بها ، تلقى العلم عن أبيه وجدته ، تولى الإمامة سنة 874م ،ودامت خلافته أربعين سنة ، عرفت الدولة الرستمية في عهده انفتاحا كبيرا على العلم والعلماء .  
أنظر:جمعية التراث ، معجم أعلام الإباضية من ق1 هـ إلى ق15 هـ،ج 4 ص752.وما بعدها . وابن الصغير ، أخبار الأئمة الرستميين في القرن الثالث الهجري ، تحقيق وتعليق ، محمد ناصر و إبراهيم بحاز، المطبوعات الجميلة،الجزائر ،ط ، 1986م، ص77 وما بعدها .

■ الباروني ، سليمان بن عبد الله بن يحيى :  
ولد عام 1870م ، أحد زعماء النهضة العربية الإسلامية من عائلة البارونيين المعروفة بالعلم والسياسة والحكم "بطرابلس" و"تونس" ، أخذ العلم عن أبيه ثم انتقل إلى"جامع الزيتونة " بتونس" ، بعدها سافر إلى "مصر" ، أين التحق بالأزهر، وبعد عودته إلى موطنه أرسله والده إلى "ميزاب " بالجزائر" ليتخصص في العلوم في معهد "الشيخ اطفيش" " ببني يسجن" أنظر : الزركلي،خير الدين،الأعلام،مج3، ص129-130، وجمعية التراث ، معجم أعلام الإباضية، ج2،المطبعة العربية ،غرداية،الجزائر،ط1 ، 1999م، ص28-29.

■ بيوض ، إبراهيم بن عمر :  
من مواليد 1899م "بالقرارة" ،نشأ و تعلم بمسقط رأسه ، يعد زعيم الحركة الإصلاحية في الجنوب ، كما اشتغل بالتدريس و الوعظ و الإرشاد بالمسجد ،انتخب سنة 1940م رئيسا للجزاية ،توفي سنة 1981م .أنظر :جمعية التراث ،معجم أعلام الإباضية، ج2،ص40 وما بعدها. و دبوز ،محمد علي ، أعلام الإصلاح في الجزائر، ج2، ص77 و ما بعدها.

■ الثعالي ، عبد العزيز بن إبراهيم بن عبد الرحمن :  
ولد سنة 1874م زعيم تونسي ، عمل في المقاومة السياسية ضمن أحزاب ترأسها منها حزب تونس الفتاة ، والحزب الحر الدستوري التونسي ، من كتبه" تاريخ شمال إفريقية " . أنظر : الزركلي ، خير الدين ،الأعلام،مج3، ص12-13.

■ الثميني ، محمد بن صالح بن يحيى :  
ولد "ببني يسجن" سنة 1897م وأخذ العلم عن "الشيخ إسماعيل زرقون" ، وقطب الأئمة "محمد بن يوسف اطفيش" ،سافر إلى "تونس" لاستكمال دراسته سنة 1917م أسهم في الحركة العلمية والسياسية، أنضم إلى البعثة العلمية الميزابية وكان مساعدا "لأبي اليقظان" في تسيير شؤونها ، كان عضوا بارزا

في الحزب الدستوري التونسي أنظر: جمعية التراث، معجم أعلام الإباضية، ج4  
،ص802-803.

■ الحداد ، الطاهر :

ولد سنة 1899م ،تونسي من طلائع النهضة الحديثة في "تونس" ولد  
بها وتعلم في الزيتونة ، ودخل في الحزب الحر الدستوري عند تأسيسه سنة  
1920م ،سافر مع بعض الوفود إلى "باريس" للمطالبة بحرية بلاده، من  
مؤلفاته "إمرأتنا في الشريعة ". أنظر: الزركلي ، خير الدين ، الأعلام، مج3  
،ص220.

■ حسين ، طه :

ولد عام 1889م ،دخل كتاب القرية على شاكلة أترابه ، حفظ القرآن في  
سن مبكرة ، وكان قد كف بصره في العام الخامس على إثر مرض لم يعالج  
علاجاً حاسماً ، التحق بعدها بالأزهر سنة 1902م ، ثم انتقل إلى الجامعة  
المصرية من عام 1908م إلى 1914م ، وتخرج منها حين تقدم برسالته عن  
ذكرى "أبي العلاء" وكانت أول رسالة دكتوراه في الجامعة المصرية ، سافر  
إلى "فرنسا" وهناك تمكن من دراسة الأدب الفرنسي ، وتحصل على شهادة  
الدكتوراه عن "ابن خلدون" عام 1917م من جامعة "باريس" ، بعدها عاود  
الرجوع إلى "مصر" وتولى مهنة التدريس إلى جانب مناصب أخرى .أنظر :  
الجندي ،أنور ،طه حسين حياته وفكره في ضوء الإسلام ،دار بوسلامة  
للطباعة و النشر والتوزيع ،تونس ، ط ٤ ، د ت .

■ الزاهري ،محمد السعيد :

ولد بقرية "ليانة" في جنوب شرقي "الجزائر" قرب "بسكرة" وفيها حفظ  
القرآن واستكمل دراسته الابتدائية على مشايخ الأسرة (الزاهرية) ، ثم انتقل  
إلى "قسنطينة" ليتلمذ على يد "الشيخ عبد الحميد بن باديس" ، بعدها سافر إلى  
"تونس" أين التحق بجامع الزيتونة ،ليعود إلى "الجزائر" و ينشئ بها صحيفة  
"الجزائر" سنة 1925م ولم يصدر منها إلا ثلاثة أعداد ، وقد كان كاتباً  
وشاعراً و صحفياً مقتدراً، أنظر: خرفي ،صالح ،محمد السعيد الزاهري،  
م،و،ك، الجزائر ، ط ٤ ، ص 21 وما بعدها .

■ شريفي،سعيد (عدون) :

ولد سنة 1902م "بالقرارة" زاول تعليمه بالكتاتيب، نشأ يتيماً مارس  
التجارة و عمره عشر سنوات ، استظهر القرآن عام 1919م، وهو الآن على  
رأس إدارة معهد الحياة . مقابلة شخصية مع شريفي،سعيد،مدير معهد الحياة  
حالياً، القرارة،5جانفي 1997م.

■ ضياء الدين ، عبد العزيز بن الحاج إبراهيم بن عبد الله الثميني :

ولد سنة 1718م، من علماء "بني يسجن" ، ومصلحها ، له باع في العلم  
، ترك مؤلفات كثيرة في الفقه والعقيدة وغيرها ، توفي عام 1800م.  
أنظر: الزركلي، خير الدين ، الأعلام ، مج3 ، ص 12 .

■ الطهطاوي،رفاعة رافع

ولد الطهطاوي سنة 1801م، في مدينة "طهطا" إحدى مدن محافظة "سوهاج" بصعيد، "مصر" ، حفظ القرآن الكريم بمسقط رأسه ، والتحق بعدها بجامعة الأزهر سنة 1817م حيث تلقى العلم عن العديد من شيوخ الأزهر أشهرهم "الشيخ حسن العطار" ، واشتغل بالتدريس لمدة سنتين، ثم تحول إلى الوظائف "الميرية" ، وكان له حظ الخروج إلى "فرنسا" في إطار بعثة علمية ، وهناك تطلع إلى الحضارة الغربية ، من أشهر مؤلفاته "تخليص الإبريز في تخليص باريس"، توفي سنة 1873م، أنظر: الزركلي ، خير الدين، الأعلام ، مج3، ص29. وعمارة، د، محمد، رفاة رافع الطهطاوي رائد التوير في العصر الحديث ، دار الشروق ، القاهرة ، بيروت، د ط ، د ت .  
■ عبد الرازق، علي :

ولد عام 1888م وهو أحد علماء الأزهر ، وقاضي من قضاة المحاكم الشرعية "بمصر" ، توفي سنة 1966م . أنظر : الزركلي ، خير الدين، الأعلام: قاموس تراجم لأشهر الرجال و النساء من العرب والمستعربين والمستشرقين ، مج4، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ط7 ، 1986م، ص276.  
■ علي بن حمو ، الحاج :

مدير الكتاب الذي تعلم فيه "أبو اليقظان" عرف بحزمه وصرامته وورعه كان يعتمد في تعليمه على الإقناع في تقويم التلاميذ واعتنائه بالتربية الدينية أنظر : دبوز ، محمد علي ، أعلام الإصلاح في الجزائر ، ج1 ، ص258  
■ عمر بن يحيى، الحاج :

من كبار المصلحين في "الجزائر" سيما في "ميزاب"، عمل في حقل الإصلاح التربوي ، وحارب الفساد الخلقي ، وقاوم الاستعمار الفرنسي وجبروته ، كما قام بفتح معهد للتربية والتعليم فكان قبلة العديد من طلاب العلم. أنظر: دبوز ، محمد علي ، نهضة الجزائر الحديثة وثورتها المباركة، ج2، المطبعة العربية الجزائرية، ط1، 1971م، ص173 وما بعدها .  
■ العنق ، عمر :

أحد تلاميذ "الحاج عمر بن يحيى" البارزين ، حفظ القرآن و استظهره في معهده ، أتقن مختلف العلوم الشرعية والعربية ، كان أمين مال الجمعية الصديقية ومن مدرسيها الكبار البارزين ، توفي سنة 1956م ، أنظر: دبوز ، محمد علي ، نهضة الجزائر الحديثة وثورتها المباركة، ج2، ص272 ، وجمعية التراث ، معجم أعلام الإباضية ، ج3 ، المطبعة العربية ، غرداية، الجزائر، ط1 ، 1999م، ص628 وما بعدها  
■ الفرقد، سليمان بن يحيى بوجناح :

من أبناء "غرداية" "بميزاب" ولد سنة 1905م بدأ مرحلة دراسته بكتاتيب ومدارس بلدته ، ثم توجه إلى "تونس" بعدها عاد إلى "الجزائر" ليكمل دراسته الثانوية ، بثانوية "بوجو" "بالجزائر" العاصمة ، عرف بحماسة الوطني ، حرم من دخول امتحان البكالوريا بسبب مقالاته عن التبشير النصراني ، كتب في العديد من الصحف، خاصة صحافة "أبي اليقظان" ، و"ابن باديس" ، و نظرا لوطنيته فقد سجن بسجن "بربروس" سنة 1929م بعدها

نفي إلى الصحراء ، أنظر: الفرقد ، سليمان بوجناح ، كتاب الفرقد ، مكتبة  
الاستقامة، تونس، د م، نط، نت، ص 79 وما بعدها. وجمعية التراث ، معجم  
أعلام الإباضية ، ج 3 ، ص 443-444 .  
■ موسى، سلامة :

ولد سنة 1887م ، كاتب مصري ، شارك في تأسيس حزب اشتراكي، لم  
يلبث أن حله الإنجليز، أصدر مجلة "المستقبل" قبل الحرب العالمية الأولى، عمل  
بالتدريس، كتب في صحف متعددة، توفي سنة 1958م. أنظر: الزركلي ، خير  
الدين، الأعلام، ج 4 ، ص 107-108.

الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

## تراجم الصحف \*

### صحيفة الإقدام :

للأمير خالد" ، صدرت عام 1919 م ، كان هدفها توحيد القوى الوطنية في سبيل الدفاع عن الحقوق السياسية و الاقتصادية لمسلمي شمال إفريقيا وفي عام 1920 م ظهرت "الإقدام" باللغتين العربية والفرنسية ، أنظر: ناصر ، د،محمد ، الصحف العربية الجزائرية ، ص 47 - 48.

### صحيفة الإصلاح :

أصدرها "الطيب العقبى" ، للعمل على تحطيم الخرافات وهدم الأوهام ، وقد ظهر العدد الأول منها عام 1927 م "ببسكرة" ، توقفت عام 1948 م ، أنظر: ناصر ، د،محمد، الصحف العربية الجزائرية، ص 85 وما بعدها .

### صحيفة البصائر :

ظهرت عام 1935 م وهي رابع الصحف التي أصدرتها جمعية العلماء المسلمين ، تميزت بطابعها النضالي في جميع الجبهات ، كما خاضت معارك فكرية متنوعة ضد أعداء الحركة الإصلاحية ، كرجال الطرق والموظفين الرسميين ، توقفت عام 1939 م ، أنظر: ناصر ، د،محمد ، الصحف العربية الجزائرية، ص 190 وما بعدها .

### صحيفة البلاغ الجزائري :

أسسها "أحمد بن عليوة" شيخ الطريقة العليوية لتكون لسان حالها، ظهرت عام 1926 م، عارضت قضية التجنيس وكان من أهدافها أيضا الدفاع عن التصوف والطرقية توقفت عام 1943 م ، أنظر: ناصر ، د،محمد، الصحف العربية الجزائرية، ص 80 وما بعدها .

### صحيفة الجزائر :

ظهرت عام 1925 م لصاحبها "محمد السعيد الزاهري" ، جاءت لتواصل مسيرة صحيفة "الإقدام" ، تنوعت محتوياتها بين المواضيع السياسية والدينية والأخلاقية ، ولم يصدر منها سوى أعداد ثلاثة فقط ، أنظر : ناصر ، د،محمد، الصحف العربية الجزائرية، ص 32 وما بعدها .

### صحيفة ذو الفقار :

صدرت عام 1913 م شارك في تأسيسها "عمر راسم" ، جاءت لمحاربة أعداء الإسلام وكشف مكائد اليهود والمشركين ، وانتقاد أعمال المفسدين أنظر: ناصر ، د،محمد ، الصحف العربية الجزائرية، ص 38 و ما بعدها .

### صحيفة الزهرة التونسية :

أسبوعية "عبد الرحمن الصنادلي" ، صدرت عام 1889 م ، حازت على إقبال كبير من طرف فضلاء "تونس" ، فرأى صاحبها أن يجعل لها فرعا يوميا ، غرضه إذاعة الأخبار البرقية والحوادث المهمة بما يجب نشره سريعا وكان ذلك عام 1905 م ، أنظر :دي طرازي ، الفيكونت فيليب ، تاريخ

\* لم نعتز على ترجمة كل من صحيفة ليكودالجي ، مجلة الحق ، الفتح .

الصحافة العربية ، ج4، المطبعة الأميركانية ، بيروت ، دط ، 1933م ، ص 250-251 .

صحيفة السنة :

أولى إصدارات جمعية العلماء المسلمين الجزائريين و الناطق الرسمي بإسمها ، ظهرت عام 1933 م ، من أهدافها الوقوف أمام النشاط المعادي للعلماء ، غير أنها ما لبثت أن حجزت من طرف السلطات الإستعمارية. أنظر: ناصر ، د، محمد ، الصحف العربية الجزائرية ، ص132.

صحيفة الشهاب :

ظهرت عام 1925 م وقد أصدرها "عبد الحميد بن باديس" خلفا لصحيفة "المنتقد" ، وافقت آثار سابقتها من حيث المبدأ والفكرة ، تحولت بعدها إلى مجلة وجسمت بحق الحركة الفكرية الجزائرية أنظر: ناصر ، د، محمد ، الصحف العربية الجزائرية، ص 58 وما بعدها .

صحيفة صدى الصحراء :

ظهرت عام 1925 م ، وتوقفت سنة 1926 م لتعود إلى الظهور عام 1934 م لصاحبها "أحمد بن العابد العقبي" ، جاءت لتهاجم الجرائد ذات الاتجاه الانتقاعي ، المسالمة للحكم الفرنسي ، أنظر: ناصر ، د، محمد ، الصحف العربية الجزائرية، ص 62 وما بعدها .

صحيفة الصراط :

ظهرت سنة 1933 م و هي في مضمونها و أهدافها تعد امتدادا لصحيفتي "السنة" و"الشرعية" ، توقفت في عددها السابع عشر من جانفي 1934م ، أنظر: ناصر، د، محمد، الصحف العربية الجزائرية، ص 181 .

صحيفة الفاروق :

أصدرها "عمر بن قدور" عام 1913 م ، إنصب اهتمامها بقضايا المسلمين عامة ، وواقع المجتمع الجزائري البائس خاصة، كما حاربت البدع والمنكرات التي روجتها بعض الطرق الصوفية، أنظر: ناصر، د، محمد، الصحف العربية الجزائرية، ص36-37. و دي طرازي، الفيكونت فيليب ، تاريخ الصحافة العربية ، ج4، ص260.

صحيفة لسان الشعب :

لصاحبها "البشير الخنقي" ظهرت عام 1920 م أنظر: دي طرازي ، الفيكونت فيليب ، تاريخ الصحافة العربية ، ج4، ص256 .

صحيفة الليالي :

ظهرت سنة 1936م بالعاصمة ، وهي صحيفة فكاهية ، أدبية ، انتقادية منشؤها هو "الشيخ علي بن سعد القماري" ، لم تدم سوى بضعة أشهر ، أنظر: سعد الله ، د، أبو القاسم، تاريخ الجزائر الثقافي ، ج5 ، ص 257 ، وناصر ، د، محمد ، الصحف العربية الجزائرية، ص 198 وما بعدها .

### صحيفة المبشر :

صحيفة رسمية وثالث الجرائد العربية ظهورا في العالم، أمر بتأسيسها "فيليب الأول" لتكون لسان حكومته في القطر الجزائري ، وقد كانت تصدر باللغتين العربية والفرنسية ، أنظر: دي طرازي ، الفيكونت فيليب ، تاريخ الصحافة العربية ، ج 4 ، ص 260. وناصر، د، محمد ، الصحف العربية الجزائرية ، ص 19 - 21. وسيف الإسلام ، الزبير، تاريخ الصحافة في الجزائر ، ج 1 ، ص 44 وما بعدها

### مجلة المنار :

"محمد رشيد رضا" ، وهي رابع المجلات العربية في العالم من حيث طول استمرارها صدرت عام 1894 م ، أنظر: دي طرازي ، الفيكونت فيليب ، تاريخ الصحافة العربية، ج 4 ، ص 122 .  
صحيفة المنتقد :

أسبوعية صدرت عام 1925 م من طرف "عبد الحميد بن باديس" ، اتجهت إلى الإصلاح الديني وحاربت الخرافات والبدع التي كانت تروجها الطرق الصوفية المنحرفة توقفت بعد أربعة أشهر من صدورها ، أنظر :ناصر ، د، محمد، الصحف العربية الجزائرية ، ص 54 وما بعدها .  
صحيفة المنير التونسية:

"محمد الشاذلي المورالي" ، ظهرت عام 1907 م ثم توقفت وعادت إلى الصدور عام 1920 م أنظر : دي طرازي ، الفيكونت فيليب ، تاريخ الصحافة العربية ، ج 4، ص 252 .  
صحيفة النجاح :

أصدرها "عبد الحفيظ الهاشمي" بمدينة "قسنطينة" سنة 1919 م تعد من أطول الجرائد العربية عمرا ، وأحسنها إخراجا ، تتوعت محتوياتها بين السياسة والاجتماع والثقافة أنظر: ناصر، د، محمد، الصحف العربية الجزائرية، ص 43 - 45 ، ودي طرازي ، الفيكونت فيليب، تاريخ الصحافة العربية، ج 4، ص 262 .

### صحيفة النديم التونسية:

أصدرها "حسين الجزيري" عام 1921 م ، أنظر: دي طرازي ، الفيكونت فيليب، تاريخ الصحافة العربية ج 4 ، ص 256 .

# فهارس

جامعة الأميرة عبد القادر  
العلوم الإسلامية

فهرس الآيات القرآنية

الآية	السورة	الآية	الصفحة
228	البقرة	(... وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ)	146
186	آل عمران	(لَتَبْلُؤُنَّ فِي أَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ، وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ، وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا أَدَى كَثِيرٍ...)	36
29	النساء	( يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً عَنْ تَرَاضٍ مِنْكُمْ)	184
35	النساء	( وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَابْعَثُوا حَكَمًا مِنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا مِنْ أَهْلِهَا... )	40
51	المائدة	( يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ...)	204
29	الأنفال	( يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنْ تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا...)	60
88	هود	(..إِنْ أَرِيدُ إِلَّا الإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ)	40
24	إبراهيم	(الَّذِي تَرَى كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ)	102
36	الإسراء	( وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ )	141
05	المؤمنون	( وَالَّذِينَ هُمْ لِأَعْمَارِهِمْ حَافِظُونَ )	129
2	النور	( الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ، وَلَا تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ... )	127
31	النور	(وَقُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَعْضُوا مِنْ أُنْبُسَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ...)	129
21	الروم	( وَمِنْ ءَايَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا...)	131
59	الأحزاب	( يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلَابِيبِهِنَّ... )	147
9	الحجرات	( وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا... )	39
39-38	النجم	( وَأَنْ لَيْسَ لِلإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى، وَأَنْ سَعْيُهُ سَوْفَ يُرَى )	139

فهرس الأحاديث النبوية

الصفحة	بداية الحديث
184	أطيب كسب عمل الرجل بيده ...
40	إن الله يبعث على رأس كل مائة سنة...
145	كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته.....
128	لا يزني الزاني حين يزني .....
131	يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة ...

## فهرس الأعلام

- أ -

- ابراهيم بن بابا بن عيسى ، الحاج ، 32 .
- ابراهيم بن كاسي ، الشيخ ، 21 ، 32 .
- ابراهيم ابن صالح ، الحاج ، 21 .
- ابراهيم بوسحابه ، الحاج ، 21 ، 32 .
- أتاتورك ، كمال ، 228 .
- إحدادن ، زهير ، 51 .
- أحمد ، 36 .
- أطفيش ، الشيخ ، 22 ، 23 ، 32 مكرر \* ، 48 ، 249 .
- أطفيش ، أبو إسحاق ، 24 .
- أمين ، قاسم ، 143 .
- الإبراهيمي ، البشير ، 6 ، 7 ، 17 مكرر ، 19 ، 34 ، 38 ، 66 ، 74 ، 80 ، 96 ، 117 ، 121 ، 122 ، 131 ، 145 ، 161 ، 180 ، 181 ، 193 ، 234 ، 236 مكرر -
- ارسلان ، شكيب ، 30 .
- الأزهرري ، الحافظ ، 120 .
- إسماعيل زرقون ، الحاج ، 22 .
- الأشرف ، مصطفى ، 14 .
- الأفغاني ، جمال الدين ، 16 ، 38 ، 96 .
- ابن أجروم ، 192 .
- اينفة الحاج امحمد بن الحاج إبراهيم بو عروة ، عائشة ، 21 .
- ابن إياض ، عبد الله ، 20 .
- ابن الأكل ، محمد ، 5 .
- ابن باديس ، عبد الحميد ، 7 ، 16 ، 17 مكرر ، 18 مكرر ، 30 ، 35 ، 38 ، 50 ، 53 ، 54 ، 59 ، 74 ، 78 ، 81 ، 96 ، 105 ، 116 ، 119 ، 126 ، 145 ، 150 مكرر ، 195 ، 208 ، 234 ، 236 ، 250 ، 254 .
- ابن إبراهيم ، حمو ، 21 .
- ابن التهامي ، 4 مكرر .
- ابن جلول ، محمد الصالح ، 4 ، 208 .
- ابن حمانه ، عباس ، 23 .
- ابن خلدون ، 136 ، 250 .
- ابن داود ، 22 .
- ابن السعود ، 227 .
- ابن سينا ، 123 .
- ابن صالح ، الطاهر ، 23 .
- ابن عاشر ، 192 .

- ابن عاشور ، محمد الطاهر ، 23 .
- ابن عبد الوهاب ، محمد ، 38 .
- ابن علي ، عبد المؤمن ، 20 .
- ابن عليوة ، أحمد ، 253 .
- ابن عمر ، عبد الرحمن ، 54 .
- ابن عيسى ، عمر ، 30 .
- ابن قنور ، عمر ، 254 . 52 .
- ابن نبي ، مالك ، 18 ، 210 .
- أبو بكر ، رضي الله عنه ، 97 .
- أبو الحسن النجار ، الشيخ ، 23 .
- أبو العلاء ، 250 .

- ب -

- الباروني ، سليمان ، 32 مكرر ، 89 ، 189 ، 236 .
- بكلي ، عبد الرحمن بن عمر ، 178 .
- بلقور ، 218 ، 219 ، 222 مكرر ، 223 .
- بلقاسم ، 20 .
- بوجو ، 162 .
- بوحجام ، د ، محمد ناصر ، 24 ، 189 .
- بورد ، 51 .
- بوكوشة ، حمزة ، 52 .
- بو الصفصاف ، عبد الكريم ، 24 .
- بيل ، 220 .
- بيوض ، إبراهيم ، 17 ، 24 ، 38 ، 46 ، 50 ، 74 ، 93 ، 96 ، 120 ، 129 مكرر ، 131 ، 152 ، 216 ، 234 .

- ت -

- التازي ، محمد عبد الهادي ، 58 .
- التبسي ، العربي ، 58 .
- تعموت ، عيسى ، 51 ، 52 ، 56 .

- ث -

- الثعالبي ، عبد العزيز ، 24 ، 32 مكرر ، 189 مكرر ، 216 مكرر ، 236 .
- الثميني ، عبد العزيز ، 50 ، 54 .

- ج -

- جابر بن زيد ، الإمام ، 20 .
- الجابري ، محمد صالح ، 190 .
- الجزيري ، حسين ، 255 .

- ح -

- الحاج ، مصالي ، 5 مكرر .
- الحداد ، الطاهر ، 150 مكرر ، 151 .
- حسين ، الشريف ، 222 مكرر ، 227 .
- حسين ، طه ، 151 ، 152 .
- حمود رمضان ، 50 .

- خ -

- خالد ، الأمير ، 3 مكرر ، 4 ، 5 مكرر ، 18 ، 191 مكرر ، 253 .
- خرفي صالح ، 24 .
- الخطيب ، محب الدين ، 32 ، 59 ، 236 .
- الخنيلي ، الإمام ، 232 .
- الخنقي ، البشير ، 254 .
- الخوارزمي ، 123 .

- د -

- دبوز ، محمد علي ، 16 ، 31 .

- ر -

- راسم ، عمر ، 253 .
- الرافعي ، مصطفى صادق ، 112 .
- رضا ، محمد رشيد ، 148 ، 255 .

- ز -

- الزاهري ، محمد السعيد ، 19 مكرر ، 175 ، 200 ، 253 ،
- زغلول ، سعد ، 225 .

- س -

- سلام ، الأب ، 151 .
- سليمان عليه السلام ، 220 .
- سيف الإسلام ، الزبير ، 53 .

- ش -

- شريقي ، سعيد ، 50 ، 52 ، 53 .
- الشماخي ، 25 ، 27 .

• شوطان ، 15 .

- ص -

• صالح بن يحيى ، الشيخ ، 24 .

• الصنادلي ، عبد الرحمان ، 253 .

- ط -

• الطرابلسي ، 46 .

• الطهطاوي ، رفاعة رافع ، 152، 143 .

- ع -

• عباس ، فرحات ، 4 ، 208 .

• عبد الرازق ، علي ، 151، 152 .

• عبد العزيز جاويش ، الشيخ ، 88 .

• عبد القادر ، الحاج ، 5 .

• عبد القادر ، حاج علي ، 5 .

• عبده ، محمد ، 16 ، 38 ، 66 ، 70 ، 96 ، 188 ، 194 ، 236 .

• العقاد ، صلاح ، 214 .

• العقبي ، الطيب ، 17 .

• العقبي ، محمد بن العابد ، 18 ، 254 .

• علي بن حمو ، الحاج ، 32 .

• علي بن سعد القماري ، الشيخ ، 254 .

• عمر ، " رضى الله عنه " ، 97 .

• العمراوي ، المكي بن إدريس ، 58 .

• عمر بن يحيى ، الحاج ، 21 مكرر، 22 مكرر، 32 مكرر، 34 .

• العمودي ، الأمين ، 19 ، 205 .

• العنق ، عمر ، 88 .

• عيسى ، 36 .

• عيسى ، " عليه السلام " ، 163 .

• عيسى بن يحيى ، الحاج ، 20 .

- غ -

• الغزالي ، أبو حامد ، 164 .

• غريب ، عبد الرحمن ، 52 .

- ف -

• فؤاد ، 225 .

• فاروق ، 225 .

• فرصوص ، أحمد محمد ، 35 مكرر .

- الفرصي ، عبد الرحمان بن عمر ، 22.
- الفرقد ، سليمان بو جناح ، 52مكرر، 212.
- فليب الأول، 255.

#### - ق -

- قاسم بن الحاج عيسى ، 46 ، 105 .
- قطب ، سيد ، 26 .
- قنانش ، محمد ، 194 .

#### - م -

- ماكماهون ، هنري ، 222 ، 227 .
- محمد ، "عليه السلام" ، 163 .
- محمد الثميني ، الشيخ ، 24 ، 105 .
- المدني ، أحمد توفيق ، 19 ، 35 ، 114 ، 181 .
- مراد ، علي ، 111 .
- الملوحي ، فيصل ، 30 .
- المودودي ، 96 .
- المورالي ، محمد الشاذلي ، 255 .
- موسى ، سلامة ، 151 ، 152 .
- الميلى ، مبارك ، 17 ، 19 ، 38 ، 52 ، 58 ، 91 .

#### - ن -

- نابليون ، 98 .
- ناصر ، د ، محمد ، 35 ، 52 ، 53 ، 55 ، 58 ، 80 ، 170 ، 178 .
- النخلي ، محمد ، 23 .
- النيفر ، الصادق ، 23 .

#### - ه -

- الهاشمي ، عبد الحفيظ ، 18 ، 255 .

#### - و -

- والترشيلد ، 220 .
- الورتلاني ، فضيل ، 15 .
- وفيق ، أحمد ، 32 ، 88 .

#### - ي -

- يحي ، الإمام ، 231 .
- يوسف ، "عليه السلام" ، 26 .

## فهرس البلدان

- أ -

- الأردن، 220.
- أزمير، 23.
- إسبانيا، 98، 212.
- الإسكندرية، 4.
- إسرائيل، 220.
- ألمانيا، 98، 212.
- إنجلترا، 212، 223.
- أنطاكيا، 227.
- أنقرة، 228.
- إيطاليا، 212، 227.

- ب -

- باتنة، 33.
- باريس، 59، 110، 250.
- بجاية، 148.
- بروسيا، 98.
- بريطانيا، 219 مكرر، 220، 222، 223، 226.
- بسكرة، 250.
- بغداد، 148.
- البلقان، 88، 189.
- بني يسجن، 22، 23، 33، 34، 248، 249، 250.
- بيروت، 23، 26.

- ت -

- تبسة، 23.
- تلمسان، 20.
- تونس، 5، 11، 23 مكرر، 24 مكرر، 26 مكرر، 35 مكرر، 46 مكرر، 47 مكرر، 49، 51، 77، 89، 105 مكرر، 144، 177، 189، 190، 112 مكرر، 216، 248، 249، 250، 254.
- تيهرت، 249.

- ج -

- الجزائر، 2، 3، 4 مكرر، 5 مكرر، 6 مكرر، 7 مكرر، 8 مكرر، 9، 10 مكرر، 11، 14، 15 مكرر، 16 مكرر، 17، 18، 20، 24، 31 مكرر، 38، 39، 40، 41، 43، 44، 46، 49 مكرر، 50، 51، 59 مكرر، 62، 67، 69، 70 مكرر، 77، 80 مكرر، 86، 91، 94، 105 مكرر، 114، 115، 117، 119، 122، 141، 144 مكرر، 150، 153، 163، 170، 172، 174، 176، 178، 180، 182، 185 مكرر، 188، 190، 191 مكرر، 197، 203، 207، 208، 209، 211 مكرر، 212 مكرر، 248، 254.

- د -

- دمشق ، 23 .

- ر -

- روسيا ، 219 .

- س -

- الساقية الحمراء ، 20 .
- سوريا ، 5 ، 11 ، 109 .
- سوهاج ، 251 .

- ش -

- الشام ، 88 ، 97 .

- ص -

- الصحراء الغربية ، 20 .

- ط -

- طرابلس ، 22 ، 109 ، 212 .
- طهطا ، 251 .

- ع -

- العراق ، 88 ، 97 ، 109 .
- العطف ، 20 .
- عمان ، 231 مكرر .

- غ -

- غرداية ، 28 ، 251 .

- ف -

- فارس ، 97 .
- فرنسا ، 3 ، 4 مكرر ، 6 مكرر ، 9 ، 10 مكرر ، 11 مكرر ، 12 ، 23 ، 47 ، 68 ، 69 ، 98 ، 129 ، 185 ، 191 ، 192 ، 208 ، 209 ، 213 ، 228 ، 248 ، 251 .
- فلسطين ، 109 ، 212 مكرر ، 218 مكرر ، 219 مكرر ، 220 مكرر ، 221 مكرر ، 222 مكرر ، 213 ، 223 مكرر ، 224 .

- ق -

- القاهرة ، 77 ، 248 .
- القرارة ، 20 مكرر ، 21 ، 23 مكرر ، 24 مكرر ، 27 ، 28 ، 35 ، 143 ، 248 ، 249 ، 250 .
- قرطبة ، 148 .
- قسنطينة ، 16 ، 173 ، 174 ، 175 ، 180 ، 250 ، 255 .

- ك -

- كندا ، 219 .

- كيليكا ، 228 .

- ل -

- لبنان ، 11 .
- لواء الإسكندرون ، 227 ، 228 .
- ليانة ، 250 .
- ليبيا ، 28 .

- م -

- مراکش، 109، 212 .
- مصر ، 23 ، 33 ، 88 ، 97 ، 181 ، 212 ، 225 مكرر، 226 مكرر ، 227 ، 228 ، 250 ، 151 .
- المغرب ، 5 ، 11 ، 20 ، 46 ، 213 مكرر ، 215 .
- ميزاب، 48 ، 89 ، 191 ، 248 ، 249 ، 251 .

- و -

- وادي سوف ، 27 .
- وادي ميزاب ، 20 ، 27 مكرر ، 30 ، 191 ، 236 .
- وادي النيل ، 88 .
- ورجلان ، 20 .
- ورقلة ، 20 .

- ي -

- اليمن ، 227 مكرر، 231 .

## فهرس الدوريات

- أ -

• الإقدام ، 18، 253.

- ب -

• البصائر ، 19 .

• البلاغ الجزائري ، 53 .

- ج -

• الجزائر 19 .

- ح -

• الحق ، 88 .

- د -

• الدفاع 19 .

- ز -

• الزهرة ، 88 .

- س -

• السنة 19 .

- ش -

• الشريعة ،

• الشهاب، 18 .

- ص -

• صدى الصحراء ، 18 .

• الصراط ، 19 .

- ف -

• الفاروق ، 89 .

• الفتح ، 32 .

- ل -

• لسان الشعب، 89 ، 149 .

• اللواء المصري ، 32 ، 88 .

• الليالي ، 175 .

• ليكودالجي ، 27 ، 147 .

- م -

• المبشر ، 15 .

• المستقبل ، 252 .

• المصور المصرية ، 27 .

- المنار ، 88 .
- المنتقد ، 17 ، 18 ، 89 ، 254 .
- المنهاج ، 248 .
- المنير ، 189 ، 190 مكرر .

- ن -

- النجاح ، 18 ، 89 .
- النديم ، 147 .

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

فهرس مقالات " أبي اليقظان "   
 الفصل الأول : الفكر الإصلاحى عند " أبى اليقظان "   
 فى المجال التربوى والثقافى

المبحث الأول		
التارىخ	العدد	عنوان المقالة
1926/10/01م	01	نحن إلى التربىة أحوج وادى ميزاب
1926/10/08م	02	// نحن إلى التربىة أحوج
1926/10/15م	03	// نحن إلى التربىة أحوج
1926/10/22م	04	// العلم والتعلیم الصحیحان
1926/11/05م	06	// العلم والتعلیم الصحیحان
1926/11/19م	08	// ماهو حظنا من العلم ؟
1926/11/26م	09	// كیف الوصول إلى العلم النافع ؟
1926/12/10م	11	// ماهى العلوم التى نحتاجها ؟
1927/03/11م	23	// الثقة بالنفس
1927/07/29م	42	// شعور الأمة نائم فماذا ينبهه ؟
1927/11/10م	56	// التعلیم
1927/11/23م	62	// المرأة الجزائرىة و الحجاب
1928/05/25م	84	// العلم یحیی كل شعب میت
1928/10/19م	105	// الأمیة فى الأمم شلل
1928/11/07م	111	// رقى الأمم وانحطاطها
1929/02/01م	119	// أمات الرجال أم رفع القرآن ؟
1931/09/29م	03	النور ويسألونك عن فصل الحرث
1931/09/29م	03	// بین العلم والمال
1931/10/06م	04	// بین العلم والمال
1931/11/24م	11	// منزلة العلم لدى الأمم الحیة وقیمتها عند الأمم المیتة
1932/11/01م	55	// بین الحانوت والمدرسة
1933/01/24م	66	// وأد النبوغ أفطع من وأد البنات
1933/02/21م	69	// من هم أبناء المجرمین ؟ الفجور فى بنات الأفكار أفطع من الفجور فى بنات الأبكار
1933/06/13م	07	البستان أى هكذا
1934/10/09م	04	الأمة إذا كان فى الجوع موت الجسد ففى الجهل موت الروح .
1935/01/01م	16	// قبل أن نأخذ فى التعلیم یجب أن ننتبه ؟

1935/06/25م	30	//	من أكتوبر إلى جوان
1935 /08/06م	36	//	متى يعالج المريض و هو يدعي أنه صحيح
1935/09/03م	40	//	نبوغنا الضائع وكيف يجب حفظه واستثماره
1935/09/10م	41	//	نبوغنا الضائع وكيف يجب حفظه واستثماره
1935/09/17م	42	//	مذكرة بطلب العناية بالتعليم الديني في المدارس المصرية
1935/09/24م	43	//	هل يمكن أن ننال عزا أو سعادة ونحن لا نسلك إليهما سبيلا؟
1935/09/24م	43	//	مذكرة بطلب العناية بالتعليم الديني والتربية الدينية بالمدارس المصرية
1935/10/01م	44	//	ماذا أعددنا لموسم العقول ؟ فهل نحن مهيؤون ؟
1935/10/01م	44	//	مذكرة بطلب العناية بالتعليم الديني والتربية الدينية في المدارس المصرية
1936/04/29م	72	//	في الصف الأمامي: أين تقاس رغبة الأمة في العلم والتعليم ؟
1936/05/12م	74	//	نحو الصف الأمامي : أين تقاس رغبة الأمة في العلم والتعليم؟
1936/05/19م	75	//	شهية الأمم خامدة في العلم فما هي الوسائل التي تنبهاها ؟
1937/11/02م	142	//	يا من يطلبون الموت والناس يطلبون الحياة

المبحث الثاني			
التاريخ	العدد	الصحيفة	عنوان المقالة
1926/10/08م	02	وادي ميزاب	نشوء الصحافة في العالم
1926/10/15م	03	//	تأثير الصحافة في العالم
1926/10/29م	05	//	الصحافة والعلم
1926/11/05م	06	//	الصحافة والدين
1926/11/28م	07	//	مجمل القول في الصحافة
1927/01/14م	16	//	المنهاج في سنتها الثانية
1927/05/13م	31	//	الاستخفاف بحق الجرائد
1928/09/28م	102	//	الصراحة خير علاج
1929/02/01م	119	//	الشهاب مجلة شهرية
1930/01/25م	01	ميزاب	الافتتاحية
1932/04/26م	30	النور	الإخاء في سنتها التاسعة
1932/09/27م	50	//	النور تجتاز مرحلتها الأولى
1933/04/27م	01	البستان	بين الجريدة والجواق
1933/06/13م	07	//	أي هكذا
1933/07/21م	01	النبراس	الافتتاحية
1933/07/28م	02	//	الشريعة
1935/10/08م	45	الأمة	كيف تكون العلاقة بين الجريدة الصادقة والجمهور؟
1936/04/07م	69	//	"النديم" الممتاز
1936/06/08م	77	//	"الفلق" الأغر يخطو خطواته إلى المرحلة الثامنة
1936/12/08م	101	//	"الأمة" تخطو إلى مرحلتها الثالثة
1937/07/04م	120	//	عريضة إلى لجنة البحث البرلمانية
1937/06/08م	124	//	رسالة "الفتح"
1937/10/19م	140	//	تعطيل جريدة "الشعب"
1937/12/21م	147	//	"الأمة" في مرحلتها الرابعة

المبحث الثالث			
التاريخ	العدد	الصحيفة	عنوان المقالة
1927/11/03م	55	وادي ميزاب	اللغة العربية غريبة في دارها
1931/02/12م	35	المغرب	بشرى لكم يا عشاق العربية
1931/03/05م	33	//	الوحدة العربية وكيف تكون
1937/07/04م	120	الامة	عريضة إلى لجنة البحث البرلمانية

الفصل الثاني : الفكر الإصلاحى عند أبى اليقطان  
فى المجال الاجتماعى

المبحث الأول			
التاريخ	العدد	الصحيفة	عنوان المقالة
1926/11/19م	08	//	حسن الظن
1926/12/03م	10	//	الوقت
1926/12/10م	11	//	الوعد
1926/12/17م	12	//	الإرادة
1926/12/17م	12	//	العلم والعمل
1926/12/24م	13	//	النصح و الإرشاد
1926/12/24م	13	//	الأناية
1927/01/07م	15	//	المصلحة العامة
1927/01/14م	16	//	الشعور بالواجب
1927/01/21م	17	//	الاعتماد على النفس
1927/01/21م	17	//	الإسلام يحتضر و المسلمون يهزلون
1927/03/11م	23	//	الثقة بالنفس
1927/03/18م	24	//	هبوب الأمة لتأسيس المشاريع
1927/03/25م	25	//	هل الرأي للمال أو الرجال
1927/03/25م	25	//	الغرور
1927/05/13م	31	//	الحياء من الإيمان
1927/06/11م	35	//	الحسد
1927/06/18م	36	//	التقليد
1927/07/22م	41	//	الأمل داعية العمل
1927/07/22م	41	//	النظافة من الإيمان
1927/07/29م	42	//	الخاصة والعامة
1927/08/12م	44	//	النية

1927/09/30م	51	//	علي أن أعمل وليس علي أن أنجح
1927/10/28م	54	//	النسيان
1927/12/02م	59	//	الوشاية
1927/12/09م	60		أخلاق الدجاجلة
1927/12/23م	62	//	الألم يحرك العزائم
1927/12/30م	63	//	الاتحاد
1928/01/06م	64	//	الإعجاب بالنفس
1928/01/06م	64		ضعف النفس
1928/02/25م	71	//	وتعاونوا على البر والتقوى
1928/06/22م	88	//	وصاية كذاب لابنه
1928/07/06م	90	//	وباء الفجور
1928/07/13م	91	//	وباء الفجور
1928/07/27م	93	//	وباء الفجور
1928/08/10م	95	//	وباء الفجور
1928/09/07م	99	//	وباء الفجور
1928/11/09م	108	//	النفوس الرخوة
1928/11/22م	109	//	الشبح الأسود
1928/12/14م	112	//	يجب تقديم الأكفاء
1927/04/29م	28	//	الصدقة الصحيحة والزائفة
1931/01/06م	04	النور	تأثير الأزمة الاقتصادية في النفسية العامة
1932/11/01م	55	//	المسافة بين الأقوال والأفعال
1932/11/29م	59	//	إذا حسنت النيات حسنت النتائج
1933/05/16م	03	البستان	بارك الله فيك
1933/06/06م	06	//	كلامك هو الكبير
1933/06/13م	07	//	أي هكذا
1933/06/20م	08	//	ما زال الحال
1933/06/27م	09	//	أنظر المقدمين
1933/07/11م	10	//	فيك البركة
1933/07/11م	10	//	تعجباتي
1933/07/11م	10	//	محادثة مع أصم
1933/07/21م	01	النبراس	التعاون الاجتماعي وآثاره في الأمم والجماعات

1933/07/28م	02	//	التعاون الاجتماعي وآثاره في الأمم والجماعات
1933/08/17م	05	//	التعاون الاجتماعي وآثاره في الأمم والجماعات
1933/08/25م	06	//	التعاون الاجتماعي وآثاره في الأمم والجماعات
1933م/09/08	01	الأمّة	التعاون الاجتماعي وآثاره في الأمم والجماعات
101934/09م	04	//	إلى العمل في دائرة النوام والنظام
1934/11/13م	09	//	الأنانية وحب الذات وخطرهما على المجتمع
1935/01/15م	17		عواقب الدلال
1935/02/05م	19	//	هل الشعوب المنحطة بين الشعوب إلا كالطفل بين أفراد العائلة
1935/02/19م	21	//	الأثرة والمخاطبة بالفجور
1935/03/04م	23	//	الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر
1935/03/04م	23	//	تشخيص بعض الأدوية للآفات الاجتماعية
1935/07/02م	31	//	الميسر وآثاره السيئة
1935/07/09م	32	//	ما رأيك؟
1935/07/30م	35	//	النفوس المائعة
1935/08/06م	36	//	متى يعالج المريض وهو يدعي أنه صحيح؟
1935/10/29م	48	//	الانتحار التجاري وأخطاره
1935/12/17م	55	//	المستشفى العالمي لسائر الأسقام

المبحث الثالث			
التاريخ	العدد	الصحيفة	عنوان المقالة
1927/12/23م	62	وادي ميزاب	المرأة الجزائرية والحجاب
1928/01/27م	76	//	همسة في أذن ناقد النديم
1928/02/17م	70	//	أردنا نصيحة فأراد فضيحة
1928/03/02م	72	//	أردنا نصيحة فأراد فضيحة
1929/02/01م	119	//	ما هكذا الدفاع عن الحجاب

1930/11/18م	25	المغرب	قنبلة الإلحاد في تونس وانفجارها في الفضاء ، أو كتاب "إمرأتنا في الشريعة"
-------------	----	--------	--

### المبحث الثالث

التاريخ	العدد	الصحيفة	عنوان المقالة
1927/10/07م	52	وادي ميزاب	الوطنية الحققة
1928/03/02م	72	//	التمدن الممسوخ
1928/03/02م	72	//	حكمة التشريع الإسلامي
1928/03/16م	74	//	حكمة التشريع الإسلامي
1928/04/20م	79	//	حكمة التشريع الإسلامي
1928/06/02م	85	//	حكمة التشريع الإسلامي
1928/06/29م	89	//	حكمة التشريع الإسلامي
1928/10/12م	104	//	الإلحاد و الدين
1928/11/02م	107	//	الدعوة لتأسيس جمعية الشبان
1928/12/07م	111	//	إفتحوا عيونكم أيها الغافلون
1934/10/23م	06	الأمة	هل يستقيم للمسلم أمر في هذه الحياة بغير التمسك بالدين ؟
1935/11/26م	52	//	أحسنوا رعاية الشبان أيها الرعاة
1935/12/03م	53	//	أحسنوا رعاية الشبان أيها الرعاة

### المبحث الرابع

التاريخ	العدد	الصحيفة	عنوان المقالة
1929/10/01م	01	وادي ميزاب	أيها الجزائري
1926/10/29م	05	//	أيها الجزائري
1926/11/05م	06	//	تجارتنا و تجارتهم
1927/01/21م	17	//	الإسلام يحتضر والمسلمون يهزلون
1927/04/01م	26	//	نحن و أنتم
1927/07/29م	42	//	الخاصة والعامّة
1927/09/02م	47	//	من أين نستورد الرجال ؟
1932/02/01م	23	النور	رسالة خطيرة إلى المؤتمر الإسلامي العام
1932/11/01م	55	//	المسافة البعيدة بين الأقوال والأفعال
1932/11/29م	59	//	إذا حسنت النيات حسنت النتائج

هل في الإمكان تأسيس حزب وطني جزائري ؟	//	03	1934/10/02م
اليهود يبخرون بالفلفل	//	08	1934/11/06م
صرخة غضبان في وجه زعفان "تقديم" أبو اليقظان "	//	80	1936/06/23م

المبحث الخامس			
عنوان المقالة	الصحيفة	العدد	التاريخ
تجارتنا وتجارتهم	وادي ميزاب	01	1926/10/01م
تجارتنا وتجارتهم	//	03	1926/10/15م
تجارتنا وتجارتهم	//	04	1926/10/22م
تجارتنا وتجارتهم	//	05	1926/10/29م
تجارتنا وتجارتهم	//	06	1926/11/05م
حاجتنا إلى مصرف أهلي	//	89	1928/06/29م
الأزمة الاقتصادية	المغرب	01	1930/05/26م
الأزمة الاقتصادية	//	02	1930/06/03م
كيف يجب تسيير التجارة ؟	//	05	1930/06/23م
كيف يجب تسيير التجارة ؟	//	08	1930/07/15م

### الفصل الثالث: الفكر الإصلاحية عند "أبي اليقظان" في المجال السياسي

المبحث الأول			
عنوان المقالة	الصحيفة	العدد	التاريخ
ماهي الحرية الحققة ؟	وادي ميزاب	26	1927/4/1م
الوطنية الحققة	//	52	1927/10/7م
أعوذ بالله من السياسة... أديب و	البستان	06	1933/06/06م

المبحث الثاني			
عنوان المقالة	الصحيفة	العدد	التاريخ
السياسة الأهلية	وادي ميزاب	66	1928/01/20م
رأينا في التجنيس	//	70	1928/02/17م
مقياس الأمة برجالها	//	103	1928/10/05م
الانتخابات الأهلية	//	103	1928/10/05م
الانتخابات المقبلة	//	105	1928/10/19م
في الانتخابات الأخيرة	//	106	1928/10/26م
النيابة الأهلية	//	108	1928/11/09م

1928/11/30م	110	//	الانتخابات الأهلية
1928/12/04م	112	//	يجب تقديم الأكفاء
1928/12/21م	113	//	كيف يغالطون في الحق
1934/10/02م	03	الأمة	هل الانتخابات مسألة مصلحة أم مسألة ذات؟
1936/07/21م	82	//	حذار من الانحدار في هوة الاندماج
1936/07/28م	83	//	وفد المؤتمر الإسلامي بباريس
1936/08/04م	84	//	وصول وفد المؤتمر الإسلامي الجزائري
1936/03/01م	88	//	إلى قادة الإصلاح
1937/07/30م	130	//	أسبوع الحياة بالعاصمة
1937/08/17م	134	//	الجزائر: القضية الجزائرية تدخل في فضاء من السراب فسيح

### المبحث الثالث

التاريخ	العدد	الصحيفة	عنوان المقالة
1926/12/30م	10	وادي ميزاب	الحركة الوهابية
1927/01/21م	17	//	الإسلام يحتضر والمسلمون يهزلون
1927/01/28م	18	//	ماذا يخبئ الغرب للشرق؟
1927/03/11م	23	//	ماذا يخبئ الغرب للشرق: المعاهدة اليمنية الإيطالية
1927/04/01م	26	//	الإصلاح في الحجاز
1927/06/25م	37	//	تعانق ديني بحكومة عمان
1927/08/19م	45	//	إلى أين نسير؟
1927/09/23م	50	//	سياج جزيرة العرب
1927/11/03م	55	//	أنباء عمان
1927/10/17م	57	//	أنباء عمان
1927/11/25م	58	//	أنباء عمان
1928/03/02م	72	//	التمدن الممسوخ
1928/05/22م	88	//	الإسلام بين شقي المقراض
1929/01/11م	116	//	إنما المؤمنون إخوة
1929/02/25م	01	ميزاب	مسألة فلسطين
1937/11/02م	42	الأمة	ماذا تريد إيطاليا بانزال قواتها في طرابلس

1935/10/22م	47	//	من الفرقة والخصام إلى الألفة والوئام فهل من مدكر؟ لا بد للصبح من نهار
1936/05/26م	76	//	فلسطين الدامية : تنتصر لنفسها حين خذلها العالم
1937/06/15م	125	//	فلسطين: إنجليزا تقاوم إرادة الله زعيم شمال إفريقيا المنتظر
1937/07/20م	130	//	إنكلترا تطفئ حريق فلسطين بأنابيب البترول...!
1937/10/26م	141	//	إذا كان العدل أساس الملك فالعسف ماذا؟
1938/01/11م	150	//	الصراع في مصر بين حزب الوفد والقصر
1938/07/12م	02	الفرقان	الاتجاه السياسي في الشرق الأدنى

القادر للعلوم الإسلامية

## فهرس المصادر والمراجع

### - أ - بالعربية

- القرآن الكريم برواية حفص .  
الإبراهيمي، محمد البشير
- 2- آثار الشيخ محمد البشير الإبراهيمي، ج1، م، و، ك، الجزائر، ط1، 1978م
- 3- آثار محمد البشير الإبراهيمي، ج4، م، و، ك، الجزائر، ط، 1986م.
- 4- عيون البصائر، ش، و، ن، ت، الجزائر، ط، دت .  
ابن باديس، عبد الحميد
- 5- رجال السلف و نساؤه، مكتبة الشركة الجزائرية، الجزائر، ط، دت.
- 6- مجالس التنكير من كلام الحكيم الخبير، دار البعث للطباعة والنشر،  
قسنطينة، الجزائر، ط1، 1982 م.
- ابن خلدون، عبد الرحمان
- 7- المقمة، دار الكتاب اللبناني، بيروت، لبنان، ط، 1982م.
- ابن الصغير
- 8- أخبار الأئمة الرستميين، القرن الثالث هجري، تحقيق وتعليق  
محمد ناصر وإبراهيم بحاز، المطبوعات الجميلة، الجزائر، ط، 1986م.
- ابن عبد ربه
- 9- أخبار النساء في العقد الفريد، تجميع عبد مهنا سمير جابر، دار  
الكتب العلمية، بيروت، ط، 1990 م.
- ابن العقون، عبد الرحمان بن إبراهيم
- 10- الكفاح القومي والسياسي 1920 - 1926م، ج1، م، و، ك،  
الجزائر، ط، 1984 م .
- ابن ماجة، أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني
- 11- سنن ابن ماجة، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دار الفكر، ط، دت.
- ابن منظور .
- 12- لسان العرب، ج4، دار المعارف، القاهرة، ط، دت.
- ابن نبي، مالك
- 13- شروط النهضة، ترجمة عبد الصبور شاهين، دار الفكر، دمشق،  
سورية، دت، دت.
- 14- الصراع الفكري في البلاد المستعمرة، دار الفكر، دمشق، سورية، ط، دت
- ابن نعمان، د، أحمد
- 15- الأطروحة البربرية في الجزائر، منشورات دحلب، الجزائر، ط، 1991م.
- أبوداود، سليمان بن الأشعث السجستاني
- 16- سنن أبي داود، ج2، مطبعة مصطفى الباني الحلبي و أولاده، مصر، ط1  
، 1952م.

- أبو زهرة ،محمد
- 17- أصول الفقه، دار الفكر العربي، القاهرة ،دط،دت.
- أبوسليمان،د،عبد الحميد أحمد
- 18- أزمة العقل المسلم ،دار الهدى ،عين مليلة ،الجزائر ،ط2، 1992م.
- أبويحي ،د،محمد حسن
- 19- إقتصادنا في ضوء الكتاب والسنة ،دار عمار للنشر والتوزيع،عمان ،  
الأردن ،ط1، 1989م.
- أبو اليقظان ،إبراهيم
- 20- إرشاد الحائرين ،مطبعة العرب ،تونس،دط، 1923م.
- 21- أشعة النور من النور ،مخ.
- 22- أضواء على بعض أمثال القرآن،مخ.
- 23- أهدافي انعيا بالعمل في هذه الحياة،مخ.
- 24- ديوان أبي اليقظان ،ج1،جمعية التراث،القرارة،الجزائر،ط2، 1989 م.
- 25- سبيل المؤمن البصير إلى الله ،منشورات دار الدعوة ،نالوت ،ليبيا، ط1  
، 1969م.
- 26- فتح نوافذ القرآن ، دار الفتح، دار الفتح للطباعة والنشر ،بيروت ،ط1 ،  
1973م.
- 27- موجر حياة أبي اليقظان ،مخ.
- 28- نشأتي ،مخ.
- 29- نظام العشيرة في وادي ميزاب ،مخ.
- الإشراف ،د،مصطفى
- 30- الجزائر الأمة والمجتمع ،ترجمة حنفي بن عيسى ،م،و،ك،الجزائر،  
دط ، 1983 م.
- الأفغاني ، جمال الدين ،عبد،محمد
- 31- العروة الوثقى ،دار الكتاب العربي ،بيروت، ط3 ، 1983م.
- إمام ،د،إبراهيم
- 32- أصول الإعلام الإسلامي ،دار الفكر العربي ،القاهرة ،دط، 1984 م .
- أمين ،أحمد
- 33- زعماء الإصلاح في العصر الحديث ،دار الكتاب العربي ،بيروت،  
دط، 1979م
- أمين ،قاسم
- 34- تحرير المرأة ،دن،الجزائر ،موفم للنشر، دم، دط، 1988 م.
- أنطونيوس،جورج
- 35- نهضة العرب ،دار العلم للملايين ،بيروت ،ط8، 1987 م.
- البخاري،أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن المغيرة بن بردزبة
- 36- صحيح البخاري ،ج7، مطبعة مصطفى الباني الحلبي وأولاده،  
مصر،دط، 1980م.

- برغوث، الطيب
- 37- التغيير الإسلامي خصائصه و ضوابطه ، مكتبة رحاب ، الجزائر ، دط، دت .
- بقطاش، خديجة
- 38- الحركة التبشيرية الفرنسية في الجزائر 1830-1871م ، مطبعة بحلب، الجزائر ، دط ، 1992م
- بوجلال، محمد
- 39- البنوك الإسلامية، ش، و، ن، ت، الجزائر، دط، 1980م.
- بوحجام ، د، محمد ناصر
- 40- أبو اليقظان في الدوريات العربية ، المطبعة العربية ، غرداية ، الجزائر ، دط، 1985م.
- 41- حياة الشيخ أبي اليقظان ، مخ . 1978م.
- 42- الشيخ بيوض والعمل السياسي ، المطبعة العربية ، غرداية ، الجزائر ط1 ، 1981م.
- بوحوش، عمار
- 43- العمال الجزائريون في فرنسا، ش، و، ن، ت، الجزائر، ط2 ، 1979م .
- بول مسن ، جون كونجر، و جيروم، كاجان
- 44- أسس سيكولوجية الطفولة و المراهقة ، ترجمة أحمد عبد العزيز سلامة ، مكتبة الفلاح ، الكويت ، دط، 1986م .
- بيوض، إبراهيم بن عمر
- 45- حديث الشيخ الإمام ، إعداد وتسيق محمد إبراهيم سعيد كعباش، جمعية النهضة ، غرداية الجزائر، دط ، 1992م
- 46- في رحاب القرآن : تفسير سورة المؤمنون، ج5، تحرير عيسى محمد الشيخ بالحاج، المطبعة العربية، غرداية ، الجزائر، دط، 1998م.
- 47- في رحاب القرآن: تفسير سورة النور، ج6 ، تحرير عيسى محمد الشيخ بالحاج ، المطبعة العربية، غرداية ، الجزائر ، دط، 1998م .
- 48- المجتمع المسجدي، إعداد محمد ناصر بوحجام ، المطبعة العربية ، غرداية ، الجزائر ، دط، 1989م.
- اليومي، محمد رجب
- 49- النهضة الإسلامية في سير أعلامها ، المكتبة العصرية ، صيدا ، بيروت ، دط، دت.

- ت -

- تركي ، د، رابح
- 50- الشيخ عبد الحميد بن باديس رائد الإصلاح والتربية، م، و، ك، ط4، 1984م
- 51- عبد الحميد بن باديس : فلسفته وجهوده التربوية ، ش، و، ن، ت، الجزائر ، دط ، دت .
- 52- التعليم القومي والشخصية الوطنية ، ش، و، ن، ت، الجزائر، دط، 1975م.

الجابري، محمد صالح

53- التواصل الثقافي بين الجزائر وتونس، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 1990م.

54- النشاط العلمي والفكري للمهاجرين الجزائريين بتونس 1900-1962م، ش، و، ن، الجزائر، ط، 1983م.

جانسون، كولييت، وفرانسييس

55- الجزائر الثائرة، ترجمة علوي الشريف، خليل فهمي، هنري يوسف سردار، دار الهلال، القاهرة، مصر، ط، 1957م.

جدعان، فهمي

56- أسس التقدم عند مفكري الإسلام في العالم العربي الحديث، دن، بيروت، ط، 1941م.

جمعية التراث

57- معجم أعلام الإباضية من القرن الأول هجري إلى القرن الخامس عشر هجري، قسم المغرب، ج2، المطبعة العربية، غرداية، الجزائر، ط1، 1999م.

58- معجم أعلام الإباضية من القرن الأول هجري إلى القرن الخامس عشر هجري، قسم المغرب ج3، المطبعة العربية، غرداية، الجزائر، ط1، 1999م.

59- معجم أعلام الإباضية من القرن الأول هجري إلى القرن الخامس عشر هجري، قسم المغرب، ج4، المطبعة العربية، غرداية، الجزائر، ط1، 1999م  
جمعية العلماء المسلمين الجزائريين

60- سجل مؤتمر جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، دار الكتب، الجزائر، ط، 1982م.

جهلان، محمد

61- الفكر السياسي عند الإباضية من خلال آراء الشيخ محمد اطفيش، جمعية التراث، القرارة، غرداية، ط، دت

الجندي، أنور

62- الثقافة العربية، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ط، 1982م.

63- طه حسين: حياته وفكره في ضوء الإسلام، دار بوسلامة للطباعة والنشر و التوزيع، تونس، ط، دت

64- الفكر و الثقافة المعاصرة في شمال إفريقيا، الدار القومية للطباعة والنشر، القاهرة، ط، 1955م.

65- الجيلالي، صاري، قداش، محفوظ، المقاومة السياسية: الطريق للإصلاح والطريق الثوري 1900-1954م، ترجمة عبد القادر بن حراث، م، و، ك، الجزائر، ط، 1987م.

الحاجري، د، محمد طه

66- جوانب من الحياة العقلية والأدبية في الجزائر، معهد البحوث و الدراسات العربية، دط، 1968م .

حسنة ، د.، عمر عبيد

67- مراجعات في الفكر والدعوة والحركة، دار الهدى، عين مليلة، الجزائر، دط، دت.

حمزة، عبد اللطيف

68- الإعلام له تاريخه ومذاهبه، دار الفكر، بيروت، ط1، 1985م.

-خ-

خرفي، صالح

69- صفحات من الجزائر، ش، و، ن، ت، الجزائر، دط، 1974م .

70- محمد السعيد الزاهري، م، و، ك، الجزائر، دط، 1986م.

الخطيب، د، أحمد

71- جمعية العلماء المسلمين الجزائريين وأثرها الإصلاحي في الجزائر، م، و، ك، الجزائر، دط، 1981م .

72- حزب الشعب الجزائري، ج1، م، و، ك، الجزائر، دط، 1986م .

73- الثورة الجزائرية: دراسة وتاريخ، دار الملايين، بيروت، دط، 1958م .  
خير الدين، محمد

74- مذكرات، ج1، م، و، ك، الجزائر، دط، دت.

75- مذكرات، ج2، م، و، ك، الجزائر، دط، دت.

- د -

ديوز، محمد علي

76- أعلام الإصلاح في الجزائر، ج 1، مطبعة البعث، قسنطينة، الجزائر، ط1، 1974م.

77- أعلام الإصلاح في الجزائر، ج 2، مطبعة البعث، قسنطينة، الجزائر، ط1، 1976م.

78- أعلام الإصلاح في الجزائر، ج3، مطبعة البعث، قسنطينة، الجزائر، ط1، 1974م.

79- أعلام الإصلاح في الجزائر، ج4، دار البعث للطباعة والنشر، قسنطينة، ط1، 1976م.

- أعلام الإصلاح في الجزائر، ج5، دار البعث قسنطينة، ط1، 1982م.

81- نهضة الجزائر الحديثة و ثورتها المباركة، ج1، المطبعة التعاونية، ط1، 1965م.

82- نهضة الجزائر الحديثة و ثورتها المباركة، ج2، المطبعة العربية، الجزائر، ط1، 1976م .

83- نهضة الجزائر الحديثة و ثورتها المباركة، ج4، دار البعث للطباعة و النشر، قسنطينة، ط1، 1980م.

دي طرازي ، الفيكونت فيليب  
84- تاريخ الصحافة العربية، ج4 ،المطبعة الأميركانية ،بيروت، دط، 1933م.

- ر -

- الرافعي ،مصطفى صادق  
85- وحي القلم ، ج3، دار الكتاب العربي ، دط، دت.  
رضا، محمدرشيد  
86- تاريخ الإمام الشيخ محمد عبده ج1، مطبعة المنار، مصر ، ط1، 1931م.  
الركيبي، د، عبد الله  
87- القصة الجزائرية القصيرة ،الدار العربية للكتاب، ليبيا، تونس، ط3، 1977م  
رمضان ، د، عبد العظيم  
88- الصراع بين الوفد والعرش، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ،  
بيروت، ط1، 1979م.

- ز -

- الزاهري ،محمد السعيد  
89- الإسلام في حاجة إلى دعاية وتبشير ،دار الكتب، الجزائر، ط1، 1983م.  
الزحيلي، وهبة  
90- التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، ج5، دار الفكر المعاصر ،  
بيروت، دط، 1991م .  
الزركلي، خير الدين  
91- الأعلام: قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعمرين  
والمستشرقين، ج3 ، دار العلم للملايين ،بيروت ، لبنان ، ط7 ، 1986م.  
92- الأعلام: قاموس تراجم لأشهر الرجال و النساء من العرب والمستعربين  
، ج4، دار العلم للملايين ،بيروت ، لبنان ، ط7، 1986م.  
زوزو، د، عبد الحميد  
93- دور المهاجرين الجزائريين بفرنسا في الحركة الوطنية بين الحربين،  
ش، و، ن، ت، الجزائر ، دط، دت.

- س -

- السايح، أحمد عبد الرحيم  
94- بحوث في مقارنة الأديان ،دار الثقافة ،الدوحة، ط1، 1931م.  
سعد الله، د، أبو القاسم  
95- تاريخ الجزائر الثقافي 1500-1830م، ج1، دار الغرب الإسلامي، بيروت،  
ط1، 1998م.  
96- تاريخ الجزائر الثقافي 1830- 1954م، ج5، دار الغرب  
الإسلامي، بيروت، لبنان، ط1، 1998م

- 97- الحركة الوطنية الجزائرية 1900-1930م، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط4، 1992م.
- 98- الحركة الوطنية الجزائرية 1930-1954م، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط4، 1992م .
- 99- دراسات في الأدب الجزائري الحديث، م، و، ك، الجزائر، دط، 1985م. سلمان، د، نور
- 100- الأدب الجزائري في رحاب الرفض والتحرير، دار العلم للملايين، بيروت، ط1، 1981م.
- السنوسي، محمد الهادي
- 101- شعراء الجزائر في العصر الحديث، ج1، مكتبة العرب، تونس، ط1، 1926م. سيف الإسلام، الزبير
- 102- تاريخ الصحافة في الجزائر، ج1، م، و، ك، الجزائر، دط، 1985م.
- 103- تاريخ الصحافة في الجزائر، ج4، م، و، ك، الجزائر، دط، 1985م.
- 104- تاريخ الصحافة في الجزائر، ج6، م، و، ك، الجزائر، ط2، 1985م. السيوطي، جلال الدين
- 105- شرح سنن النسائي، مج2، ج4، دار الكتاب العربي، دم، دط، 1971م.
- ش -

- شاليال، جيار
- 106- المقاومة الفلسطينية، ترجمة صباح نعمان، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، ط1، 1970م.
- شريقي، سعيد
- 107- معهد الحياة : نشأته وتطوره، المطبعة العربية، الجزائر، ط1، 1989م . شلبي، د، أحمد
- 108- موسوعة التاريخ الإسلامي، ج4، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ط7، 1947م.
- الطائبي، د، عمار
- 109- ابن باديس: حياته وآثاره، ج1، دار اليقظة العربية، الجزائر، ط1، 1968م
- 110- ابن باديس: حياته وآثاره، ج2، دار اليقظة العربية، الجزائر، ط1، 1968م.
- 111- ابن باديس: حياته وآثاره، ج3، دار اليقظة العربية، الجزائر، ط1، 1968م.

- ع -

- عاصم، د، أحمد علجية
- 112- حرية الفكر وترشيد الواقع الإسلامي، مطابع نهضة مصر، القاهرة، ط2، 1990م.
- عاصي، د، ميشال، بديع يعقوب، د، راميل
- 113- المعجم المفصل في اللغة والأدب، دار العلم للملايين، بيروت، ط1، 1987م.

عبد، محمد

114- الأعمال الكاملة، ج1، تحقيق محمد عمارة ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت ، ط1 ، 1972م.

عدي، الهواري

115- الاستعمار الفرنسي في الجزائر: سياسة التفكيك الاقتصادي - الاجتماعى 1830-1960م ، ترجمة جوزيف عبد الله ، دار الحدائق للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت ، لبنان ، ط1 ، 1983م .

العسلي، بسام

116- الثورة الجزائرية ، دار الشورى، بيروت، ط1، 1982م.

117- عبد الحميد بن باديس وبناء قاعدة الثورة الجزائرية ، دار النفائس، بيروت، لبنان، ط1، 1982م.

118- الله أكبر وانطلقت الثورة الجزائرية ، دار النفائس، بيروت، ط2، 1986م. العقاد، د، صلاح

119- المغرب العربى ، مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة، ط2، 1966م . عمارة، د، محمد

120- رفاة رافع الطهطاوي رائد التنوير في العصر الحديث ، دار الشروق، القاهرة ، بيروت، ط1، دت.

عوض، صالح

121- معركة الإسلام والصلبية في الجزائر، ج1، الزيتونة للإعلام و النشر، باتنة ، الجزائر، ط2، 1992م.

- غ -

الغزالي، أبو حامد

122- إحياء علوم الدين ، ج3، دار المعرفة ، بيروت ، لبنان ، ط1، دت.

- ف -

فايد ، عبد الحميد

123- رائد التربية وأصول التدريس، دار الكتاب اللبناني، بيروت، لبنان، ط1، 1984م.

124- الفخري، د، أحمد شوقي، الحرية السياسية...أولاً، دار القلم للنشر و التوزيع ، الكويت ، ط2، 1986م.

فرحات ، عباس

125- ليل الاستعمار، ترجمة أبو بكر رحال، مطبعة فضالة، المحمدية، المغرب، دت.

فرصوص، أحمد محمد

126- الشيخ أبو اليقظان إبراهيم كما عرفته، دار البعث، قسنطينة، الجزائر، ط1، دت.

فضيل ، عبد القادر، رمضان، محمد الصالح

127- إمام الجزائر عبد الحميد بن باديس، دار الأمة ، الجزائر، ط1، 1998م .

- أنفرد، سليمان بوجناح  
128- كتاب الفرقد، مكتبة الإستقامة، تونس، دم، دط، نت.
- الفيروز ابادي، مجد الدين يعقوب  
129- القاموس المحيط، ج 1، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت، دط، 1983م.  
قاسم، محمود
- 130- عبد الحميد بن باديس الزعيم الروحي لحرب التحرير الجزائرية، دار  
المعارف، القاهرة، ط3، 1979م.  
قداش، محفوظ، قنانش، محمد
- 131- نجم الشمال الإفريقي 1926-1937م، ديوان المطبوعات الجامعية،  
الجزائر، دط، 1984م .  
قطب، محمد
- 132- الإنسان بين المادية و الإسلام ، دار الشروق ، القاهرة ، بيروت ،  
ط11، 1993م.  
قنانش، محمد
- 133- الحركة الاستقلالية في الجزائر بين الحريين، ش، و، ن، ت، الجزائر، دط ،  
1982م.
- 134- المواقف السياسية بين الإصلاح والوطنية في فجر النهضة الحديثة ،  
ش، و، ن، ت، الجزائر، دط، دت.
- ك -
- الكيالي، د، عبد الوهاب  
135- موسوعة السياسة، ج3، المؤسسة الوطنية للدراسات و النشر، بيروت،  
ط1، 1981م.
- ل -
- اللبان، د، إبراهيم  
136- إيمان الشباب: صيانتته و وسائل دعمه، منشورات المكتبة العصرية،  
بيروت، لبنان، دط، 1971م.
- م -
- الماجد، جعفر  
137- الطاهر الحداد، الشركة التونسية للتوزيع، تونس، ط2، 1985م.  
محفوظ، محمد
- 138- الإسلام، الغرب و حوار المستقبل ،المركز الثقافي العربي، بيروت،  
لبنان، ط1، 1998م.  
محمد عمر، د، نوال
- 139- دور الإعلام الديني في تغيير بعض قيم الأسرة الريفية والحضرية ،مكتبة  
نهضة الشرق ، القاهرة، دط ، 1984م .

محمد كرد، د، أبو القاسم

140- الطاهر الحداد رائد النهضة ونصير المرأة، المطبعة العصرية، تونس، ط1، دت.

مدكور، د، أحمد علي

141- منهج التربية الإسلامية : أصوله و تطبيقاته، مكتبة الفلاح، دم، ط1، 1987م

المدني، أحمد توفيق

142- حياة كفاح، ج1، ش، و، ن، ت، الجزائر، دط، 1976م.

143- كتاب الجزائر، م، و، ك، الجزائر، ط2، 1984م.

144- هذه هي الجزائر، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ط1، 1956م .

مرتاض، د، عبد الملك

145- فنون النشر الجزائري، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، دط، 1983م.

146- نهضة الأدب العربي المعاصر في الجزائر، ش، و، ن، ت، الجزائر، دط، دت.

معروف، نايف

147- الأدب الإسلامي في عهد النبوة وخلافة الراشدين، دار النفائس، لبنان، دط، 1990م .

معلوف، لونيس

148- المنجد في اللغة والأدب، المطبعة الكاثوليكية، بيروت، دط، 1927م.

معمر، علي يحي

149- الإباضية بين الفرق الإسلامية، مكتبة وهبة، القاهرة، ط1، 1976م.

150- الإباضية في موكب التاريخ، ج1، دار الكتاب العربي، القاهرة، ط1، 1964م.

151- الأقاليم الثلاثة، دار الفتح، دم، ط1، 1973م.

مهداوي، محمد

152- البشير الإبراهيمي نضاله وأدبه، دار الفكر، دمشق، سوريا، ط1، 1988م.

- ن -

ناصر، د، محمد

153- أبو اليقظان وجهاد الكلمة، م، و، ك، الجزائر، ط2، 1983م.

154- الصحف العربية الجزائرية من 1847م إلى 1939م، ش، و، ن، ت،

الجزائر، دط، 1980م.

155- المقالة الصحفية الجزائرية: نشأتها، تطورها، أعلامها، مج1، ش، و، ن، ت،

الجزائر، دط، 1978م .

156- المقالة الصحفية الجزائرية، نشأتها، تطورها، أعلامها، مج2، ش، و، ن، ت،

الجزائر، دط، 1978م .

النجار، د، حسين فوزي

157- الإعلام المعاصر، دار المعارف، القاهرة، دط، 1984م

النجمي، محمد لبيب

158- الأسس الإجتماعية للتربية، مكتبة الأنجلومصرية، القاهرة، ط2، 1965م.

نسيب، محمد

159- زوايا العلم والقرآن بالجزائر، دار الفكر، مطبعة النخلة، بوزريعة، الجزائر، ط، دت.

النووي، محي الدين

160- شرح صحيح مسلم، مج5، ج9، دار الفكر للطباعة و النشر و التوزيع، دم، دت، 1981م.

نويهض، عا دل

161- معجم أعلام الجزائر من صدر الإسلام حتى العصر الحاضر، مؤسسة نويهض الثقافية، بيروت، ط3، 1983م.

- ه -

هستر، ألبرت ل، ولانج ل، تو

162- دليل الصحفي في العالم الثالث، ترجمة كمال عبد الرؤوف، الدار الدولية للنشر والتوزيع، القاهرة، ط، 1992م.

- و -

الورتلاني، فضيل

163- الجزائر الثائرة، دار الهدى، عين منيلة، الجزائر، ط، 1992م.

وزارة الشؤون الدينية

164- آثار الإمام عبد الحميد بن باديس، ج3، دار البعث، قسنطينة، الجزائر، ط1، 1984م.

- ي -

يحي، د، جلال

165- فلسطين و الاتجاهات الدولية، منشأة المعارف، الإسكندرية، ط، 1965م.

- ب - بالفرنسية

166- Ihadden , Zahir , histoire de la presse indigène en algérie j'usqu'au 1930 , Enal, 1983 .

## دراسات ومؤتمرات وملتقيات وندوات (بالعربية والفرنسية)

167- إحدادن، زهير "الصحافة الجزائرية من بدايتها إلى الاستقلال"، عالم الإتصال سلسلة الدراسات الإعلامية، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، دط، 1992م .

168- الجمل، د، شوقي عطاء الله "الحركة الصهيونية و انعكاساتها على العالم العربي والإسلامي" مؤتمر الحركات الهدامة في التاريخ الحديث قديما وحديثا، مج2، 20-22 نوفمبر 1990م، كلية الآداب، جامعة الزقازيق .

169- تركي، د، رابح، "سياسة فرنسا الإستعمارية من أجل تحطيم الكيان الجزائري والشخصية القومية للجزائر 1830-1962م" الملتقى الدولي الأول حول ثقافة السلم في فكر عبد الحميد بن باديس، 16-17-18 أفريل، قسنطينة، 2000م .

170- Ragon , michel ( la caricature et le dessin humoristique en France) , paris , edition de seuil , janvier , 1992.

171- السروخي، محمد محمود، "وعد بنفور والتنافس الدولي في المشرق العربي" مؤتمر الحركات الهدامة في التاريخ الحديث قديما و حديثا، مج2، 20-22 نوفمبر 1990م كلية الآداب، جامعة الزقازيق .

172- مزيان، د، عبد المجيد، "قضايا التعريب، عقبات وتحديات" ندوة قضايا استعمال اللغة العربية في المغرب، أكاديمية المملكة المغربية، الرباط، نوفمبر 1993م .

### رسائل جامعية .

173- زغينة، محمد، أبو اليقظان ونثره، رسالة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه دولة، جامعة باتنة، معهد الآداب واللغة العربية، 1998م .

174- مناصرية، يوسف، الحزب الدستوري التونسي 1919-1934م، رسالة مقدمة لنيل شهادة الماجستير، جامعة الجزائر، معهد التاريخ، 1986م .

### المقابلات

175- مقابلة شخصية مع شريفي سعيد (عدون)، مدير معهد الحياة، القرارة، 5-1-1997م .

176- مقابلة شخصية مع بوحجام محمد ناصر، أستاذ الأدب العربي، جامعة باتنة، (12-7-1998) .

### الصحف

177- الإصلاح، ع6، (24-10-1929م)، بسكرة.

178- الإقدام، ع38، (5-8-1921م)، الجزائر.

179- الإقدام، ع86، (7-7-1922م)، الجزائر.

180- الأمة، نسخة كاملة من ع1 إلى ع170، الجزائر.

- 181- البستان ،نسخة كاملة من ع1 إلى ع10، الجزائر .  
 182- البصائر ،ع84،(29-10-1937م) ، الجزائر .  
 183- الفرقان ،نسخة كاملة من ع1 إلى ع6، الجزائر .  
 184- المغرب،نسخة كاملة من ع1 إلى ع38، الجزائر .  
 185- ميزاب ،نسخة كاملة ع1 (عدد واحد) ، الجزائر .  
 186- النبراس،نسخة كاملة من ع1 إلى ع6 ، الجزائر .  
 187- النور ،نسخة كاملة ،من ع1 إلى ع78 ، الجزائر .  
 188- وادي ميزاب،نسخة كاملة من ع1 إلى ع119 ، الجزائر .  
 -الدوريات-

- 189- مجلة الأصالة ،ع14-15، السنة الثالثة .جوان - جويلية - أوت، 1973م، الجزائر .  
 190- مجلة الحياة ع1، جانفي 1998م ،القرارة، غرداية .  
 191- مجلة الحياة ،ع2، جانفي ، 1999م ،القرارة، غرداية .  
 192- مجلة الثقافة ،ع14، السنة الثالثة، أفريل-ماي، 1973م، الجزائر .  
 193- مجلة الثقافة ،ع21، السنة الرابعة ،جوان - جويلية ، 1974م ،الجزائر .  
 194- مجلة الثقافة ،ع22، السنة الرابعة ،أوت- سبتمبر، 1974م، الجزائر .  
 195- مجلة الثقافة ،ع80 ،ديسمبر - جانفي، 1976م، الجزائر .  
 196- مجلة الشريعة ،ع4 ،سنة 1994-1995م، قسنطينة .  
 197- مجلة الشهاب ،م5، ج1، فيفري، 1929م، قسنطينة .  
 198- مجلة الشهاب،م7، ج10، أكتوبر ، 1931م، قسنطينة .  
 199- مجلة الشهاب ،م13، ج1، مارس، 1938م، قسنطينة .  
 200- مجلة الشهاب ،م14، ج3، ماي، 1938م، قسنطينة .  
 201- مجلة الفكر، ع1 ،السنة الأولى ، 1993م، باتنة .  
 202- مجلة عالم المعرفة ،ع35 ، 1980م، الكويت .  
 203- المجلة الجزائرية للإتصال، ع3، مارس، 1989م ، الجزائر .  
 204- مجلة مجمع اللغة العربية ،ع31، 1966م ، القاهرة، مصر .  
 205- مجلة مجمع اللغة العربية ،مج34 ، 1974م، القاهرة، مصر .  
 206- مجلة المنار ،م1، ج17،(1898-1899م)، القاهرة، مصر .  
 207- مجلة المنار،م8، ج13،(1905/08/31م)، القاهرة، مصر .  
 208- مجلة المنار ،م29، ج6،(1928/10/14م)، القاهرة، مصر .  
 209- مجلة الموافقات ،ع5 ،السنة الخامسة ،جوان ، 1996م، الجزائر .  
 210- Ibla N°105 1<sup>er</sup> trimestre , 1964 , Algérie .

#### الجراند الرسمية

- 211- Journal officiel de l'algerie republique francaise 15 janvier 1929 .  
 212- Journal officiel de l'algerie republique francaise, N°15, 5eme-  
 trimestre , 10avril 1931 .  
 213- Journal officiel de l'algerie republique francaise, N°25 , 7 eme-  
 trimestre , 23 juin 1933 .

Journal officiel de l'Algérie république française , 7 eme trimestre , 7-214  
juillet 1933.

Journal officiel de l'Algérie république française, N°25 24 mai 1938.-215

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

## فهرس الموضوعات

أ	مقدمة .....
	<b>الفصل التمهيدي: العصر والشخصية</b>
1	المبحث الأول: الأوضاع العامة في الجزائر .....
2	المبحث الثاني: حياة أبي اليقظان وآثاره .....
20	المبحث الثالث: مفهوم الإصلاح ووسائله عند "أبي اليقظان" .....
38	
	<b>الفصل الأول: الفكر الإصلاحي عند "أبي اليقظان" في المجال</b>
	<b>التربوي والثقافي</b>
61	المبحث الأول: فلسفة "أبي اليقظان" التربوية .....
63	المبحث الثاني: الصحافة ودورها الإصلاحي في فكر "أبي اليقظان" ..
88	المبحث الثالث: إحياء اللغة العربية وبعثها في فكر "أبي اليقظان" ....
112	
	<b>الفصل الثاني: الفكر الإصلاحي عند "أبي اليقظان" في المجال</b>
	<b>الاجتماعي</b>
125	المبحث الأول: الآفات الاجتماعية والنزعات والمظاهر انسلابية
	وطرق النهوض بالمجتمع .....
127	المبحث الثاني: المرأة في فكر "أبي اليقظان" .....
143	المبحث الثالث: الشباب في فكر "أبي اليقظان" .....
155	المبحث الرابع: الوحدة الاجتماعية في فكر "أبي اليقظان" .....
170	المبحث الخامس: آراء اقتصادية في فكر "أبي اليقظان" .....
178	
	<b>الفصل الثالث: الفكر الإصلاحي عند "أبي اليقظان" في المجال</b>
	<b>السياسي</b>
187	
	المبحث الأول: علاقة أبي اليقظان بالسياسة وموقفه منها .....
189	المبحث الثاني: قضايا وأحداث السياسة الداخلية .....
196	المبحث الثالث: السياسة الخارجية .....
211	الخاتمة .....
233	ملاحق .....
237	تراجم .....
247	فهارس .....
256	